



المملكة العربية السعودية .
وزارة التعليم العالي .
كلية الآداب والعلوم الإنسانية .
قسم اللغة العربية .
البلاغة العربية .

الصورة البديعية في الأحاديث القدسية

(دراسة بلاغية تحليلية)

(بحث تكميلي مقدم لقسم اللغة العربية ضمن متطلبات الحصول على درجة الماجستير في البلاغة العربية)

إعداد الطالبة :

عائشة سعود معروف العروي .

إشراف :

الدكتور / بدر عبد العال حسين .

(أستاذ البلاغة المشارك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة طيبة بالمدينة المنورة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى :

﴿الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدَنَا لِهَذَا وَمَا كَانَ﴾

﴿لِنَهَتِدِي لَوْلَا أَنَّ هَدَنَا اللّٰهُ﴾

[الأعراف : ٤٣]

الإله داء :

- إلى من غرسا في نفسي حب العلم

إلى من مهدا لي طرقه و دروبه

إلى من مكناني من ورود مناهله

إلى من سهرت علي الليالي الطوال

إلى أبي و أمي

إلى من ساندني و آزني في درובי

زوجي العزيز

أهدي هذا العمل ٠٠٠ الباحثة

شكر و تقدير

الحمد لله الموصوف بصفات الجلال ، امتن على خلقه بجزيل الإنعام و الإفضال ، أحمده فهو محمود على كل حال ، لا غنى إلا بطاعته ، ولا عز إلا بالتدلل لعظمته ، وأصلي وأسلم على محمد بن عبد الله رسوله وصفيه و خليله ، و على آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المآب و بعد :

أتقدم بالشكر والتقدير إلى والدي الكريمين ٠٠٠

و إلى أستاذي المشرف الذي منحني خالص نصحه وسديد توجيهاته ٠٠٠

و إلى أساتذتي الأفاضل الذين قدموا لي كل نقد بناء ، وإرشاد صادق ٠٠٠

و إلى كل من مدّ لي يد العون حتى خرج هذا البحث على هذه الصورة ٠٠٠

مُسْتَخْلِصُ الرِّسَالَةِ

العنوان ((الصورة البدعية في الأحاديث القدسية دراسة بلاغية تحليلية)) .

الحمد لله و الصلاة و السلام على رسول الله ﷺ و بعد :

فقد كان منهجي في الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، و قسمت بحثي إلى فصلين : و اقتضت طبيعة البحث أن يكون من تمهيد وفصلين ، تسبقها مقدمة و تتلوهما خاتمة ، وكان الفصلان كالتالي : الفصل الأول : الألوان البدعية المعنوية في الأحاديث القدسية ، و قيمتها البلاغية ، و يتضمن : البحث الأول : الطلاق و المقابلة ، و البحث الثاني : المشاكلة ، و البحث الثالث : التورية ، و البحث الرابع : المبالغة ، و البحث الخامس : مراعاة النظير ، و البحث السادس : الجمع و التقسيم ، و البحث السابع : حسن الابتداء و حسن الانتهاء .

و الفصل الثاني : الألوان البدعية اللفظية في الأحاديث القدسية و قيمتها البلاغية ،
و يتضمن : المبحث الأول : الجناس ، والمبحث الثاني : السجع ، والمبحث الثالث : رد العَجُز على الصدر ، والمبحث الرابع : لزوم ما لا يلزم .

و لعلَّ من أبرز النتائج التي توصلتُ إليها ما يلي : أولاً : أنَّ الصورةَ البدعيةَ في الحديثِ القدسيِّ ليستُ من قبيلِ الحاليةِ الفوضيَّةِ التي يمكنُ الاستغناءُ عنها ، بل هي من صلبِ المعنى جاءت لأنَّ السياقَ والمقامَ يتطلَّبُها و يستدعي وجودَها في الكلامِ . ثانياً : يعُدُّ فنَّا الطباقيِ و الجناسيِّ من أبرزِ الفنونِ البدعيةِ الموجودةِ في الأحاديثِ القدسيَّةِ و أشهرُها و أكثرُها شيوعاً و انتشاراً . ثالثاً : تتراوحُ المقابلاتُ في الأحاديثِ القدسيَّةِ بين معنيين إلى ثلاثةِ معانٍ ، و لم توجَدْ أكثرُ من ذلك – كما بدا لي – . رابعاً: قلة ظهورِ فنيِّ المبالغةِ و التوريةِ في الأحاديثِ القدسيَّةِ بالنسبةِ للألوانِ البدعيةِ الأخرىِ – كما بدا لي – . خامسًا: خلوُ الأحاديثِ القدسيَّةِ – كما أظهرتُ الدراسةُ – من حناسِ التركيبِ لما يظهرُ فيه من تكليفٍ و تصنِّعٍ ترفضُه الفطرةُ السليمةُ و الطبعُ القويمُ . و صلى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ و على آله و صحبِه و سلم ، ، ،

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، أنزل القرآن كلاماً مؤلفاً منظماً بحسب المصالح منجماً ، جعله متشارجاً و محكمًا ، استأثر بالأولية و القدم ، و وسم كل شيء بالعدم ، أنشأ كتاباً ساطعاً للتبيان ، قاطع البرهان ، حيا ناطقاً ببيانات و حجج ، قرآناً عريضاً غير ذي عوج ، مفتاح كل منفعة دينية و دنيوية ، مصدق لما سبقه من كتب سماوية .

و الصلاة و السلام على معدن البلاغة و الفصاحة ، و منبع الجود و السماحة ، رسول الله محمد بن عبد الله أبي القاسم ، ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ، ذي اللواء المرفوع في بني لؤي ، و ذي الفرع المنيف في بني عبد مناف بن

قصي ، المثبت بالعصمة ، و الناطق بالحكمة ، الواضح الغرة و التحجيل ، المذكور في التوراة و الإنجيل ، المؤيد بجبريل ، و على آله الأطهار ، و خلفائه الأبرار ، و من تزوج الأخنان منهم و الأصحاب ، و على جميع المهاجرين و الأنصار ، ثم أمّا بعد :

فإن الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم قد وقفت دونه العقول ، و قصرت عنه الأفهام ليكون حجة بالغة على بلاغة العربية و فصاحتها ، التي كان يتبااهى بها أصحابها قبل نزوله ، ثم كانت البلاغة النبوية قبسًا من نور الله أضاء به وجه البيان العربي عامـة.

و قد شاءت الرحمة الربانية أن تكون لي مع سنة الحبيب المصطفى ﷺ صحبة تضيء دربي بحمد الله و منته ، فكان موضوع هذه الدراسة الصورة البدعية في الأحاديث القدسية دراسة بلاغية تحليلية ، و هذا بتوفيق من الله ثم بتوجيهه من الأستاذ المشرف سعادة الدكتور : بدر عبد العال - حفظه الله و رعاه - الذي أعايني على إدراك الموضوع و الإحاطة به ، و قد أخذ هذا الموضوع يلح علي إلحاحاً، و يتسرب إلى منافذ إحساسي و شعاب تفكيري تسرباً يجبرني على بحثه و معالجته ، فقللت في

نفسي: لعلَّ يكون لي شرف المحاولة في وضع جزءٍ ولو كان بسيطاً من لبنات هذا الصرح الشاهق ألا و هو البلاغة النبوية .

و عندما تحدث عن الصورة البدعية في الأحاديث القدسية ، " فإنما تتحدث عن لون من ألوان الإبداع النبوي ، جاء على أكمل تمامه وأبهى أصbagه وأورف ظلاله و به ارتفع أسلوبه إلى منزلة لم يبلغها أديب في العربية ... فإن المتبع للآثار النبوية يجد صورها الفنية من أحسن المثل لما تجذب إليه النفوس من القول لما فطر عليه ﷺ من معرفة عناصر التأثير في البيان وأوجه الجمال في اللسان ، فجاء حديثه النبوي من البلاغة العالمية في موضع تتطلع نحوه الأبصار و تتقاصر دونه الأعناق " (١) .

و البلاغة سمة واضحة جلية في كلامه ﷺ ، حيث ورد في الحديث الشريف : (بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ) (٢) ، وقد وصف العلماء - رحمهم الله - بلاغته ﷺ ، و ما تميزت به من ميزات فاضت بلاغة كل بلغ ، فالجاحظ يصف بلاغته ﷺ فيقول في الجزء الثاني من البيان والتبيين : " و أنا أذكر بعد هذا فناً آخر من كلامه ﷺ ، و هو الكلام الذي قل عدد حروفه ، و كثر عدد معانيه ، و جل عن الصنعة ، و نزه عن التكلف ، و كان كما قال الله تعالى : قل يا محمد : ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ . فكيف و قد عاب التشديد و جانب أصحاب التعمير ، و استعمل المبسوط في موضع البسط ، و المقصور في موضع القصر ، و هجر الغريب الوحشي ، و رغب عن المجنين السوقي ، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة ، و لم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة و شيد بالتأييد ، و يسر بالتوفيق ، و هذا الكلام الذي ألقى الله المحبة عليه ، و غشاه بالقبول ، و جمع بين المهابة و الحلاوة و بين حسن الإفهام و قلة عدد الكلام ، مع

(١) : البيان النبوى ، محمد رجب البيومى ، ط٢ ، (مصر : دار الوفاء ، ١٤٢٣ھ) ، ص ٢٢٩ .

(٢) : صحيح البخاري ، كتاب الجهاد و السير ، باب قول النبي ﷺ : (نصرت بالرعب مسيرة شهر) ، رقم الحديث : ٢٩٧٧ ، (الرياض : بيت الأفكار الدولية ، ١٤١٩ھ) ، ص ٥٧١ .

استغناه عن إعادته و قلة حاجة السامع إلى معاودته لم تسقط له كلمة ، و لا زلت له قدم و لا بارت له حجة ، و لم يقم له خصم و لا أفحمه خطيب ، بل يُدْخُلُ الخطيب الطوال بالكلام القصير ، و لا يلتزم إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم ، و لا يحتاج إلا بالصدق ، و لا يطلب الفُلْجُ إلا بالحق ، و لا يستعين بالخلابة ، و لا يستعمل المواربة ، و لا يهمز و لا يلمز ، و لا يبطئ و لا يجهل و لا يسهب و لا يحصر . ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ، و لا أَفْصَدَ لفظا ، و لا أعدل وزنا ، و لا أجمل مذهبها و لا أكرم مطلبا ، و لا أحسن موقعا ، و لا أسهل مخرجا ، و لا أفصح معنى ، و لا أبين في فحواه من كلامه ﷺ ^(١) .

كما تحدث الرافعي عن بلاغته ﷺ بقوله : " هذه البلاغة الإنسانية التي سجدت الأفكار لآياتها ، و حسرت العقول دون غايتها ، لم تصنع و هي من الأحكام كأنها مصنوعة ، و لم يتكلف لها و هي على السهولة بعيدة ممنوعة " ^(٢) .

" فقد صنف المتأخرون البلاغة في ثلاثة علوم : المعاني و البيان و البديع ، و جعلوا علم البديع مختصاً بوجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة و وضوح الدلالة ^(٣) ، و بهذا أنزلوه منزلة دانية بعد علمي المعاني و البيان ، و وصفوه في ذيل

(١) : البيان و التبيين ، الجاحظ ، ج ٣ ، ط ٤ ، تحقيق : عبد السلام هارون ، (القاهرة : مكتبة الخاتمي ، د.ت) ، ١٦.

(٢) : إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، د. ط ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ٢٧٩ هـ ١٤٤٠) .

(٣) : و من بين هؤلاء : السكاكي في كتابه مفتاح العلوم و الخطيب القزويني الذي عرف علم البديع بأنه : " علم يعرف به وجوه تحسين الكلام ، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال و وضوح الدلالة " . انظر : (الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، ط ١ ، (بيروت : المكتبة العصرية ، ١٤٢٢ هـ) ٣٣٣) . و أيضاً من بين هؤلاء : ابن خلدون حيث عَرَفَ البديع بأنه : " النظر في تزيين الكلام و تحسينه بنوع من التنميق : إما بسجع يفصله ، أو تخييس يشابه بين ألفاظه ، أو ترصيع يقطع أوزانه ، أو تورية عن المعنى المقصود بإيهام معنى أخفى منه ، لاشتراك اللفظ بينهما ، أو طباق

البلاغة ، و حكموا على مباحثه بأنها محسنات عرضية لا ذاتية ، و حلّي للتربيتين و التحويل ، لا دخل لها في بلاغة الأسلوب و لا تتوقف عليها مطابقته لمقتضيات الأحوال .

و قد صادف هذا الحكم رواجاً لدى أصحاب الشروح و المحواشي و التقريرات ، و شائعهم بعض الدارسين و الباحثين ، و تخوض ذلك عن انصراف الهمم عن تحصيل مباحث هذا العلم و توقف الأذهان عن بحث أسراره و سير أغواره ، فخللت معظم الكتب البلاغية الحديثة من مباحثه و اقتصر بعضها على عرض الدائع من ألوانه عرض الزاهدين .

و في هذا غلط لمكانة هذا العلم و حط لقدره و شأنه ، و هو الذي احتل المنزلة العالية لدى السابقين ، و كثيراً ما أطلقوا اسمه على الفنون البلاغية كلها " ^(١) .

و قد وقف علم البديع من البلاغة العربية وقوف الجزء من الكل الذي لا يحيى بذاته بقية الأجزاء ، لكن الخصوصية تبرز في كل جزء و تمده بالطاقة التي تجعله فاعلاً في البقية . و هذه هي النقطة الفاعلة التي تبث الحيوية في التركيب .

و من يهمل الجانب البديعي عند تعرضه بالنقد لأي نص (قرآني ، نبووي ، شعري ، ...) ظناً منه أنه جانب لا يقدم و لا يؤخر عند الحكم على جودة التعبير و حسن الأداء للمعنى فقد جانب الصواب و أحجف في الحكم على النص .

بالتقابل بين الأضداد و أمثال ذلك " . انظر : مقدمة ابن خلدون ، ط ٤ ، (بيروت : دار القلم ، ١٩٨١ م) ، ١٠٦٦ .

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، ط ١ ، (مصر : دن ، ١٩٩٤ م)

و المتأمل في فنون البديع يرى أن بعضها لا يزيد عن كونه حلية شكلية ، و تلاغياً لفظياً ، و هذه الفنون ينبغي طرحها و عدم الاعتداد بها ، و يرى أن كثيراً من فنون البديع له أثر جليل في الأسلوب شكلاً و مضموناً ، و هذه الفنون التي لها قيمة وزن في الكلام ، و تؤدي أغراضًا لا توجد بدوخها ، نعتبرها من جوهر البلاغة و لبها و صورها الأصلية و لا تقل قيمه عن التشبيه أو الاستعارة أو غيرها من الصور التي جعلوها داخله في حد البلاغة^(١).

و صور البديع بألوانها المختلفة – (طباق ، مقابلة ، جناس ، سجع ، مراعاة النظير ، حسن ابتداء ، حسن انتهاء ، تورية ، ...) – من الأساليب التي شاعت في أحاديثه ﷺ سواء أكانت قدسية أم غيرها ، في سياقات مختلفة ، و موضوعات متعددة ، لذلك فهي جديرة بالدراسة و التحليل ، إثراء و خدمة للدرس البلاغي العربي.

و عند دراستي لتلك الصور البدوية كانت دراسة بلاغية تحليلية دون التعرض لأصول الصور البدوية من الناحية التاريخية – باستثناء تعريف اللون البدوي – ، فتتبعث فيها و رصدت كل ما وقع من حديث قدسي – ما أمكن لي – يحمل صورة بدوية سواء أكان هذا الحديث واردا في صحيح الإمام البخاري ، أم صحيح الإمام مسلم ، أم جامع الترمذى ، أم سنن الإمام أبي داود ، أم سنن الإمام النسائي ، أم سنن الإمام ابن ماجة ، أم موطأ الإمام مالك ، أم مسند أحمد . و قمت بدراستها دراسة بلاغية تحليلية لم أهمل فيها صياغة الجمل و ما فيها من دقائق انعكست على الصورة التي لا يمكن أبداً أن تدرك دلالاتها من غير تأمل للعلاقة ، و الوشائج بين

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ٢٦١ .

كلماتها ، و الإيحاءات التي توحى بها الكلمة ، و التي هي بمثابة الخيوط و الخطوط التي لا يوجد التصوير إلا معتمداً عليها .

و تبرز أهمية الدراسة في الآتي:

- مكانة الحديث النبوي ؛ إذ إنه المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي .
 - كون الصور البدعية من الأساليب البارزة في النظم النبوي عامة ، و في الحديث القدسي خاصة ، ما يدعو إلى دراستها دراسة جادة تكشف عن طبيعة هذا الأسلوب و أهميته في إيصال المعنى و القدرة على التأثير .
 - تعد دراسة بيانه ﷺ - دراسة بلاغية تحليلية - دراسة لنموذج أسمى في البيان و الإبلاغ ، نموذج يحتذى به داخل الأسرة ، و المدرسة ، و المسجد
 - تتطلب دراسة بيانه ﷺ دراسة بلاغية الكشف عن معانٍ الحديث و مقاماته ، مما يتبع معرفة واسعة بالمضامين النبوية : أحكام ، و تشريعات ، و عادات ، و آداب ، و معاملات
 - إبراز أهمية التصوير البدعوي في نقل المعانٍ مع خصوصية البيان النبوي .
 - أن دراسة الصورة البدعية في الأحاديث القدسية يتصل اتصالاً مباشراً بالتراث النقدي القائم على البلاغة العربية عامة و علم البدع خاصه .
 - أن دراسة الصورة البدعية في الأحاديث القدسية دراسة بلاغية تحليلية فيها تحرير و بيان لمكانة الصور البدعية من الدرس البلاغي .
- و للصورة البدعية في أحاديثه ﷺ القدسية ما يشيري الفكرة و يحدد المعانٍ و يجعلها ماثلة في الذهن ، و مع ذلك لم تnel من الدرس و البحث ما تستحق ، فقد راسلت عدداً من المراكز البحثية فلم أثر على أي دراسة تحمل هذا الموضوع ، و ربما قد علق في أذهان البعض أن تلك الفنون مجرد زخرف شكلي ، و تلاعيب لفظي لا

دخل له في بلاغة الكلام ، و أنه في منزلة دون علم البيان و علم المعاني ، و أنه – في حدود اطلاقي – قد عوّل الحديث القدسي معاملة الحديث النبوى . و قد اجتهدت – قدر ما يسر الله لي – في عرض اللون البلاغي البدعى ، من حيث:

- ❖ عمق الدلالة البلاغية الموضوعية .
- ❖ الإضافة اللغوية و المعنوية التي أضيفت إلى السياق .
- ❖ ربط اللون البلاغي بالخبر الوارد ارتباط الروح بالجسد .
- ❖ بيان الفضل الوارد في تعدد روایات الحديث التي تصحبها إضاءات بيانية تحدیدیة موضوعیة .

فإن أصبت فلي أجران ، و إن أخطأت فلي أجر واحد .

و تهدف الدراسة إلى :

- تحليل لغوي و معنوي في آن واحد للصورة البدعية في الحديث القدسى ، إذ إنَّ الصورة البدعية من طباق و مقابلة و جناس و سجع و مشاكلة و إلخ في الحديث القدسى ليست زخرفاً لفظياً و لا تحسيناً ظاهراً ، بل إنها لتمتزج بالمعنى امتزاجاً لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر .
- الوقوف على معنى الحديث القدسى ، وكذلك إيضاح الحدود الفاصلة بين القرآن الكريم و بينه.
- إظهار أوجه الفرق بين الحديث النبوى و الحديث القدسى .
- إبراز أهمية الصورة البدعية في الحديث القدسى .
- بيان المقصود بالبدع لغة و اصطلاحاً ، و إيضاح منزلته بين الدراسات البلاغية .
- إبراز ألوان البدع المعنوية و اللغوية في الحديث القدسى و قيمتها البلاغية .

و قد اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي ، بمعنى تحليل الصورة البدعية الموجودة في الحديث القدسي ، و الكشف عن كل الملابسات الخفية بها : الألفاظ ، المعاني ، الأسلوب الحقيقى و المجازى ، و خصائصه و صوره ، و مدى تأثير اللون البدعى فى سياق الكلام و مقامه .

و الأنسب للوقوف على تلك الأبعاد هو استخدام المنهج الوصفي التحليلي إذ إنه " يقوم على رصد و متابعة دقیقة لظاهرة أو حدث معين بطريقة أو نوعية ، من أجل التعرف على الظاهرة أو الحدث من حيث المحتوى أو المضمون و الوصول إلى نتائج و تعميمات تساعده فى فهم الواقع و تطويره " ^(١) .

و عند الوقوف على مصطلحات عنوان الدراسة (الصورة البدعية في الأحاديث القدسية – دراسة بلاغية تحليلية) نجد أنها تعنى :

❖ الصورة :

الصورة في اللغة : الشكل و الهيئة ، جاء في تاج العروس : الصورة بالضم :
الشكل و الهيئة و الحقيقة و الصنعة ^(٢) .

و قد أختلف في المقصود بالصورة كل حسب توجهه ، فمثلاً يقصد بالصورة : صياغة الكلام أو التركيب ، إذ من التركيب " تبني علاقات جديدة بين الأشياء تكسبها صفات لم تكن لها من قبل ، اشتراك العقل و الفكر و الفؤاد

(١) : البحث العلمي أسسه و مناهجه و أساليبه و إجراءاته ، رحي مصطفى ، د . ط ، (عمان : بيت الأفكار الدولية . د . ت) ، ٤٨ .

(٢) : تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزبيدي ، تحقيق : مصطفى حجازي ، د . ط ، (الكويت : التراث العربي ، ١٣٩٣ هـ) مادة " صور " ، باب : الراء ، فصل : الصاد ، ١٢ / ٣٥٧-٣٥٨ .

في تكوينها ^(١) . و "الصورة في الشعر هي : الشكل الفني الذي تتحذه الألفاظ و العبارات بعد أن نظمها الشاعر في سياق يباني خاص يعبر عن جانب من جوانب التجربة الشعرية الكاملة في القصيدة مستخدماً طاقات اللغة و إمكاناتها في الدلالة و التركيب و الإيقاع ، و الحقيقة و المجاز ، و الترادف و التضاد و المقابلة و التجانس ، و غيرها من وسائل التعبير الفني " ^(٢) .

و قد سرت في هذه الدراسة على رأي من قصد بالصورة الفنون البدعية من طباق و مقابلة و جناس و مشاكلة و تورية ... إلى جانب دراسة الأصوات و الموسيقى و الحروف و الألفاظ داخل التركيب ما استطعت إلى ذلك سبيلا .

❖ البدعية :

جاء في لسان العرب : بدع الشيء يدعه بدعًا ، و ابتدعه : أنسأه و بدأه ، و بدع الركبة استنبطها و أحدثها . و البديع و البدع : الشيء الذي يكون أولا . و في التنزيل : ﴿ قُلْ مَا كُنْتِ بِدَعَاءِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف: ٩] أي ما كنت أول من أرسل ، قد أرسل قبلي رسل كثير . و البديع المحدث العجيب ، و البديع المبدع ، و أبدع الشيء : اختبرته لا على مثال سابق . و سقاء بديع : جديد ، و حبل بديع : جديد و أبدع الشاعر : جاء بالبديع ^(٣) .

(١) : الصورة البلاغية و أثرها في المتنقي ، نجاح الظهار ، ٢٠-٢١.

(٢) : الاتجاه الوجданاني في الشعر العربي المعاصر ، عبد القادر القط ، ط ٣ ، (لبنان : دار النهضة العربية . د . ت) ، ٣٩١ .

(٣) : لسان العرب ، جمال الدين ابن منظور ، ط ١ ، (بيروت : دار صادر ، د . ت) ، مادة بدع .

البديعية عائدة إلى علم البديع ذلك العلم الذي نشأ وتطور على مر العصور وقد كان " عبد الله بن المعتز هو أول من قام بمحاولة علمية جادة في سبيل تأسيس علم البديع و تحديد مباحثه التي كانت من قبل مختلطة بباحث علم المعاني و علم البيان . و تمثل محاولته هذه في كتاب " البديع " الذي ألفه و ضمّنه ثمانية عشر فنًا من فنون البديع . و قد مهدت محاولته السبيل أمام البلاغيين من بعده فتأثروا بها و أفادوا منها في تطوير هذا العلم و استكمال مباحثه و قضياباه .

فقدامة بن جعفر و هو من معاصرى ابن المعتز أولى البديع اهتمامه و زاد فيه تسعه أنواع جديدة ، و أبو هلال العسكري اعتمد ما أتى به ابن المعتز و قدامة من فنون البديع و أضاف إليها حتى بلغت عنده سبعة و ثلاثين نوعاً ، ثم جاء ابن رشيق القيرواني فزاد على من تقدموه تسعه أنواع لم يرد لها عندهم .

و هكذا أخذت فنون البديع تنموا و تتکاثر على تعاقب الأجيال و العصور حتى بلغت في القرن الثامن الهجري عند الشاعر صفي الدين الحلبي مائة و خمسة و أربعين محسناً بديعاً . و هذه المحسنات يقصد بها تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة لمقتضى الحال ، و رعاية وضوح الدلالة بخلوها من التعقيد المعنوي . و المحسنات البديعية ضربان : معنوي يرجع إلى تحسين المعنى أولاً و بالذات ، و إن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضًا . و ضرب لفظي يرجع إلى تحسين اللفظ أصلًا ، و إن تبع ذلك تحسين المعنى لأن المعنى (إن) عبر عنه بلفظ حسن استتبع ذلك زيادة في تحسين المعنى " ^(١) . و الذي يعنينا في ذلك إن هذه الدراسة ركزت على أهم ألوان البديع و أبرزها و بيان أثرها في جودة الكلام و بلاغته لفظاً و معنى .

(١) في البلاغة العربية علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، د . ط ، (بيروت : دار النهضة العربية ،

.٧٥-٧٦) هـ ١٤٠٥ .

❖ الأحاديث القدسية :

لل الحديث القدسي تعاريفات عديدة و متنوعة ، و هي إن اختلفت في الشكل فمضموها – إلى حد ما – سواء ، و سوف أقتصر على تعرفي من تلك التعاريفات ، أو همما ما أورده صاحب كتاب الإتحافات السننية في الأحاديث القدسية :

قال رحمة الله تعالى : " (الخاتمة في شرح معنى الحديث القدسي) القدس بضمتين و بإسكان الثاني ، هو الظهر ، و الأرض المقدسة : المطهرة . و بيت المقدس منها معروف – و تقدس الله: تنزه ، و هو القدس كذلك في المصباح .

و إنما نسب الأحاديث ، لإضافة معناها إلى الله وحده على ما في التعاريفات للحديث القدسي : فإن ما أخبر الله به نبيه ﷺ بالإلهام أو بالمنام ، فأخبر عليه الصلاة و السلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه – فالقرآن مفضل عليه ؛ لأن لفظه منزل أيضًا – أي من عند الله تعالى . انتهى .

و قال مولانا على القارئ – عليه الرحمة – : الحديث القدسي ما يرويه صدر الرواة ، و مصدر الثقات – عليه أفضل الصلوات و أكمل التحيات – عن الله – تبارك و تعالى – تارة بواسطة جبريل – عليه السلام ، و تارة بالوحى أو بالإلهام أو المنام ، مفوضًا إليه التعبير بأي عبارة شاء ، من أنواع الكلام .

و هي تغایر القرآن الحميد ، و الفرقان الجيد بأن نزوله لا يكون إلا بواسطة الروح الأمين ، و يكون مقيدًا باللفظ المنزل من اللوح المحفوظ على وجه اليقين ، ثم يكون

نقله متواتراً قطعياً ، في كل طبقة ، و في كل عصر و حين ، و يتفرع عليه فروع كثيرة عند العلماء ... " ^(١) .

و ثانيهما ما ورد في كتاب المدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية : "

الحديث القدسي كل ما رواه النبي ﷺ عن ربه عز و جل ، لأنه منسوب إلى النبي ﷺ تبليغاً ، و ليس من القرآن بالإجماع ، و إن كان كل واحد منهما قد بلغه النبي ﷺ أمه عن الله عز وجل و قد اختلف العلماء رحمهم الله في لفظ الحديث القدسي ، هل هو كلام الله تعالى ، أو أن الله تعالى أوحى إلى رسوله ﷺ معناه و اللفظ لفظ رسول الله ﷺ ؟ على قولين :

القول الأول : أن الحديث القدسي من عند الله لفظه و معناه ؛ لأن النبي ﷺ أضافه إلى الله تعالى ، و من المعلوم أن الأصل في القول المضاف أن يكون بلفظ قائله لا ناقله . لا سيما أن النبي ﷺ أقوى الناسأمانة و أوثقهم روایة .

و القول الثاني : أن الحديث القدسي معناه من عند الله و لفظه لفظ النبي ﷺ ؛ و ذلك لوجهين : **الوجه الأول :** لو كان الحديث القدسي من عند الله لفظاً و معنى ، لكان أعلى سندًا من القرآن ؛ لأن النبي ﷺ يرويه عن ربه تعالى بدون واسطة ، كما هو ظاهر السياق ، أما القرآن فنزل على النبي ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام . **الوجه الثاني :** أنه لو كان لفظ الحديث القدسي من عند الله ، لم يكن بينه

(١) : الإتحادات السنوية في الأحاديث القدسية ، الشيخ العلامة : محمد المد니 ، د . ط ، (المهد : دار المعارف ، ١٤٢٣ھ ، ١٨٧) .

و بين القرآن فرق ؛ لأن كليهما على هذا التقدير كلام الله تعالى ، و الحكمة تقتضي تساويهما في الحكم حين اتفقا في الأصل " ^(١) .

❖ دراسة بلاغية تحليلية :

يقصد بدراسة بلاغية تحليلية : هو تحليل الصور البدعية في الأحاديث القدسية تحليلاً بلاغياً ، كاشفاً ما بهذه الأحاديث القدسية من محسنات معنوية أو لفظية ، سواءً أجمعت تلك الألوان في حديث واحد أم كانت متفرقة .

و البحث في هذا الموضوع عظيم النفع ، بل ينبع الأثر ، محمود العاقبة ؛ لاتصاله الوثيق بل لنبعه من مصدر ديني تشرعي جاء تاليًا في الأهمية لكتاب الله عز و جل ، و كان عنان هذه الدراسة ملزماً بخصوصية الخبر و خصوصية القائل ، و ملزماً قبل ذلك بالنظر إلى الحديث قيد الدراسة أنه ضمن رسالة سماوية هي خاتمة الرسالات و قائلها هو خاتم المرسلين ، و أنها النذير الذي لا يخفى صوته حتى قيام الساعة ، و المبشر الذي لن يزال حتى تلتقي كل نفس باليقين .

و نظراً لتدخل الصور البدعية و تزاحمتها في حديث قدسي واحد ، فقد وجدت من الصعب أن أدرس الحديث القدسية مرة تحت مبحث الطلاق ، و مرة تحت مبحث المشاكلة ، و مرة تحت مبحث السجع ، و مرة تحت مبحث الجناس ... ، لذا فضلت أن أقسم الأحاديث القدسية على فصول بحسب الموضوعات و أدرس و

(١) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، لأصحاب الفضيلة العلماء – الإمام / ابن شرف النووي ، و شيخ الإسلام / ابن تيمية ، و الإمام / ابن القيم الحوزية ، و الشيخ عبد العزيز بن باز . و الشيخ / محمد العثيمين ، و الشيخ / صالح آل الشيخ ، و الشيخ / عبد العزيز الراجحي ، جمع و ترتيب : محمد سيد فرج ، ط ١ ، ج ١ ، (مطبعة العمارة ، ١٤٣١ھ) ، ٥-٦ .

أحلل كل حديث على حدة ، و عند الانتهاء من البحث الأول وجدت نفسيأشكوا
من أمرين :

أولهما : طول البحث نظرا لكتلة الأحاديث القدسية التي قد تجاوزت ثلاثة و
خمسين حديثاً قدسياً .

ثانيهما : التكرار المتسرب عنوة إلى حشایا البحث .

و لذا ، و بعد معاودة النظر ، و جدت أنه من الأرجح تقسيم البحث إلى
مقدمة و تمهيد و فصلين : فصل خاص بالألوان البديعية المعنوية ، و فصل خاص
بالألوان البديعية اللفظية ، و خاتمة ، و بهذه الطريقة سأخلص من تلك الصعوبات ، و
قد اعتمدت عند اختياري لتلك الألوان البديعية إلى مقياس الأشهر و الأكثر ذيوعاً و
انتشاراً .

خطة البحث :

جاء البحث في مقدمة و تمهيد و فصلين ثم خاتمة ، على النحو الآتي :

المقدمة :

ذكرت فيها أهمية الدراسة و أهدافها ، وأسباب اختيارها ، و خطة البحث ،
و الصعوبات التي واجهتني ، كما قمت بتحليل معاني المصطلحات الواردة في عنوان
الدراسة .

التمهيد ، و يتضمن :

١. معنى الحديث القدسي .
٢. الفرق بين القرآن الكريم و الحديث القدسي .

٣. الفرق بين الحديث النبوى و الحديث القدسى .

٤. البدع و منزلته بين الدراسات البلاغية .

الفصل الأول : الألوان البدعية المعنوية في الأحاديث القدسية ، و

قيمتها البلاغية ، و يتضمن :

❖ المبحث الأول : الطباق و المقابلة .

❖ المبحث الثاني : المشاكلة .

❖ المبحث الثالث : التوربة .

❖ المبحث الرابع : المبالغة .

❖ المبحث الخامس : مراعاة النظير .

❖ المبحث السادس : الجمع و التقسيم .

❖ المبحث السابع : حسن الابتداء و حسن الانتهاء .

الفصل الثاني : الألوان البدعية اللفظية في الأحاديث القدسية و قيمتها

البلاغية، و يتضمن :

❖ المبحث الأول : الجناس.

❖ المبحث الثاني : السجع .

❖ المبحث الثالث : رد العجز على الصدر.

❖ المبحث الرابع : لروم ما لا يلزم .

الخاتمة ، و تتضمن :

❖ خلاصة البحث .

❖ النتائج .

❖ التوصيات والمقترنات .

الفهارس الفنية ، وتشمل :

١. فهرس الآيات .

٢. فهرس الأحاديث .

٣. فهرس المصطلحات البلاغية .

٤. فهرس المصادر و المراجع .

٥. فهرس الموضوعات .

ثم لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر أولاً إلى الله عَزَّوجَلَّ على إتمام هذا البحث ، ثم إلى جميع أعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب و العلوم الإنسانية بجامعة طيبة فجزاهم الله خير الجزاء ، ثم أخص بالشكر سعادة الدكتور بدر عبد العال حسين على ما بذله من جهد و توجيه و نصح ، و ما أكرمني به من وقته حتى تم هذا البحث .

ثم أتقدم بخالص الدعاء إلى والدي اللذين حرصا على توجيهي و الدعاء لي بال توفيق في الدنيا و الآخرة .

ثم أتقدم بالشكر إلى كل من مدد لي يد العون حتى خرج هذا البحث إلى النور .

وأخيراً أرجو من الله العلي القدير أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، كما أسأله أن يضاعف لنا أجر ما بذلنا من نظر في كتابه الكريم و حدث نبيه الأمين ، و الحمد لله رب العالمين .

انتهى ...

التمهيد

و يحتوي على :

١. معنى الحديث القدسي .
٢. الفرق بين القرآن الكريم و الحديث القدسي .
٣. الفرق بين الحديث النبوي و الحديث القدسي .
٤. البديع و منزلته بين الدراسات البلاغية .

١. معنى الحديث القدسي :

الحديث لغة :

"**الْحَدِيثُ** : نقيضُ الْقَدْسِم . و **الْحَدُوثُ** : نقيضُ الْقَدْمِة . و **الْحَدِيثُ** : الجديدُ من الأشياء . و الحديثُ يأتي على القليل و الكثير ، و الجمع : أحاديث ، كقطعٍ و أقاطِيع ، و هو شاذٌ على غير قياس . و الحديثُ ما يُحَدِّثُ به المُحَدِّثُ تَحْدِيثًا ؛ و قد حَدَّثَه الحديثُ و حَدَّثَه به " ^(١) .

الحديث اصطلاحاً :

" ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير - فالقول مثل : روى أنه عليه الصلاة و السلام قال : إنما الأعمال بالنيات و إنما لكل امرئ ما نوى . و الفعل مثل ما روى أنه عليه السلام كان يعلم أصحابه الصلاة و مناسك الحج . و التقرير : أن يصدر من أحد عمل أو قول في حضرة الرسول ، أو في غيبته ثم يبلغه و لا ينكر عليه الفعل أو القول ، أو تظهر عليه إمارات الرضا و الاستبشار ، و لم يكن قد سبق الرسول نهي عن هذا الفعل ، كالذى روى عن الرسول ﷺ على من أكل لحم الضب على مائدةه .

و بعض العلماء يضم إلى الحديث ما كان من وصف خلقي للرسول عليه السلام ككونه عليه السلام كان ربيعة (غير طويل و لا قصير) - أو خلقي ككونه ﷺ في رمضان أجود من الريح المرسلة .

(١) : لسان العرب ، ابن منظور المصري ، مادة : " حدث " ، مرجع سابق ، ٤ / ٥٢-٥٣ ،

و من الناس من خص الحديث : بما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل ، أو تقرير والأوصاف بنوعيها فليست من مفهوم الحديث ، بل إن بعض الناس خص الحديث بما أضيف إلى النبي ﷺ من قول فقط ، و لعل هذا الرأي الأخير يراعي المعنى اللغوي للحديث و هو الصوت الذي يعبر عما في النفس " (١) .

القدسية لغة :

" التَّقْدِيسُ : تَنْزِيهُ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ . وَ فِي التَّهذِيبِ : الْقُدْسُ تَنْزِيهُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَ هُوَ الْمَتَقَدَّسُ الْقُدُّوسُ الْمُقَدَّسُ . وَ يَقَالُ : الْقُدُّوسُ فَعُولُ مِنَ الْقُدْسِ ، وَ هُوَ الطَّهَارَةُ ، وَ الْقُدْسُ وَ الْقُدْسُ ، بِضمِ الدَّالِ وَ سَكُونِهَا ، اسْمٌ وَ مَصْدَرٌ ، وَ مِنْهُ قِيلُ لِلْحَجَّةِ : حَضِيرَةُ الْقُدْسِ . وَ التَّقْدِيسُ : التَّطْهِيرُ وَ التَّبَرِيكُ . وَ تَقْدِيسُ أَيِّ تَطْهِيرٍ . وَ فِي التَّنْزِيلِ : وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ ؛ الزِّجاجُ : مَعْنَى نُقَدِّسُ لَكَ أَيِّ نُظَهَّرُ أَنفُسَنَا لَكَ ، وَ كَذَلِكَ نَفْعَلُ مِنْ أَطْاعَكَ نُقَدِّسُهُ أَيِّ نُظَهَّرُهُ . قَالَ : وَ مِنْ هَذَا بَيْتُ الْمَقْدِيسِ ، أَيِّ الْبَيْتِ الْمُطَهَّرِ ، أَيِّ الْمَكَانِ الَّذِي يُتَطَهَّرُ بِهِ مِنَ الذَّنَوبِ . ابْنُ الْكَلْبِيُّ :

الْقُدُّوسُ الطَّاهِرُ ، وَ قَوْلُهُ تَعَالَى : الْمَلَكُ الْقُدُّوسُ الطَّاهِرُ فِي صَفَةِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ ، وَ قِيلَ قَدُّوسٌ ، بِفَتْحِ الْقَافِ ، قَالَ : وَ جَاءَ فِي التَّفْسِيرِ أَنَّهُ الْمَبَارَكُ . وَ الْقُدُّوسُ :

هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ . وَ الْقُدْسُ : الْبَرَكَةُ . وَ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ : الشَّامُ ، مِنْهُ ، وَ بَيْتُ الْمَقْدِيسِ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا ، وَ رُوحُ الْقُدْسِ جَبَرِيلُ ، عَلَيْهِ السَّلَامُ " (٢) .

(١) : الحديث النبوي الشريف تاريخه و مصطلحاته ، بدران أبو العينين بدران ، د. ط ، الإسكندرية : مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٣ م) ، ٥ - ٦ .

(٢) : لسان العرب ، ابن منظور المصري ، مرجع سابق ، مادة : " قدس " ١٢ / ٣٩ - ٤٠ ، و انظر : تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزييدي ، مرجع سابق ، مادة : " قدس " ١٦ / ٣٥٤ - ٣٦٠ ، و مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، مرجع سابق ، مادة : " قدس " ٢١٩ ، ٢١٩ .

الحديث القدسي اصطلاحاً :

ورد للحديث القدسي تعريفات عديدة و هي إن اختلفت في الشكل فمضموها

- إلى حد ما - سواء . و تعود أغلب التعريفات التي وجدتها في ثنايا الكتب ^(١) للشيخ العلامة محمد المدین صاحب كتاب الإتحافات السنیة في الأحاديث القدسية ، وكذلك تعريف السيد جمال الدين القاسمي الدمشقي ، و سأورد هذين التعرفيین يعقبهما تعريفات عدة للحديث القدسي .

عَرِفَ الشِّيخُ الْمَدِينُ الْحَدِيثَ الْقَدِيسَ بِأَنَّهُ : " قَالَ رَحْمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : (الْخَاتَمَةُ فِي شَرْحِ مَعْنَى الْحَدِيثِ الْقَدِيسِ) الْقَدْسُ بِضَمْتَيْنِ وَ بِإِسْكَانِ الثَّانِيِّ ، هُوَ الطَّهْرُ ، وَ الْأَرْضُ الْمَقْدَسَةُ : الْمَطْهَرَةُ . وَ بَيْتُ الْمَقْدَسِ مِنْهَا مَعْرُوفٌ - وَ تَقْدِسُ اللَّهُ : تَنْزِهُ ، وَ هُوَ الْقَدُوسُ كَذَا فِي الْمَصْبَاحِ .

و إنما نسب الأحاديث ، لإضافة معناها إلى الله وحده على ما في التعريفات للحديث القدسي : - إِنَّمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ نَبِيُّهُ - ﷺ - بِالْإِلَهَامِ أَوْ بِالْمَنَامِ ، فَأَخْبَرَ عَلَيْهِ الصلوة و السلام عن ذلك المعنى بعبارة نفسه - فالقرآن مفضل عليه ؛ لأن لفظه منزل أيضاً - أي من عند الله تعالى . انتهى .

و قال مولانا على القاري - عليه الرحمة - : الحديث القدسي ما يرويه صدر الرواة ، و مصدر الثقات - عليه أفضل الصلوات و أكمل التحيات - عن الله - تبارك و تعالى - تارة بواسطة جبريل - عليه السلام ، و تارة بالوحى أو الإلهام أو المنام ، مفوضاً إليه التعبير بأي عبارة شاء ، من أنواع الكلام .

(١) : على سبيل المثال لا الحصر : الأحاديث القدسية ، د. م ، ط ٢ ، (بيروت : دار الكتاب العربي ، ١٤١٦ھ) ، ٧ . و أيضاً : الأحاديث القدسية و منزلتها في التشريع ، شعبان محمد اسماعيل ، ط ١ ، (الرياض : دار المريخ للنشر ، ١٤٠٢ھ) ، ٢٣ .

و هي تغاير القرآن الحميد ، و الفرقان المجيد بأن نزوله لا يكون إلا بواسطة الروح الأمين ، و يكون مقيداً باللفظ المنزّل من اللوح المحفوظ على وجه اليقين ، ثم يكون نقله متواتراً قطعياً ، في كل طبقة ، و في كل عصر و حين ، و يتفرع عليه فروع كثيرة عند العلماء ، بها شهيرة : منها عدم صحة الصلاة بقراءة الأحاديث القدسية ، و منها عدم حرمة لمسها و قراءتها للجنب و الحائض و النساء ، و منها عدم تعلق الإعجاز بها ، - و منها عدم كفر جاحدها . اه . " ^(١) .

و قد عرّف الإمام أبي الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد القاري الحديث القدسي بتعريف قريب جداً من التعريف السابق فقال : " يطلق هذا الاصطلاح على مجموعة من الأحاديث النبوية يرويها الرسول ﷺ عن الله تبارك و تعالى ، بالوحى و الإلهام و المنام ، و تبدأ بعض الأحاديث بقوله ﷺ : (قال الله تعالى ...) أو (يقول الله تعالى ...) ، و البعض الآخر يروي فيه الرسول ﷺ مشاهد يوم القيمة و الشفاعة و الصراط و في أثناء كلامه ﷺ يقول : (يقول الله : ...) مثل حديث الشفاعة الذي تكلم فيه النبي ﷺ بكلام نبوي ثم يروي لنا قول المولى تبارك و تعالى له : (ارفع رأسك ، و قل ، تسمع ، و اشفع تشفع ...) ، و حديث الإسراء و غيرهمـا كثير " ^(٢) .

و عرّف الدكتور أحمد الشريachi الحديث القدسي بعبارة قريبة مما سبق فقال : هو " ما أخبر الله تعالى به رسول الله ﷺ ، بطريق جبريل عليه السلام ، أو بطريق

(١) : الاتحافات السننية في الأحاديث القدسية ، محمد المديني ، د . ط ، (الهند : دار المعارف ، ١٣٢٣ھ ، ٢٣٥) .

(٢) : معجم الأحاديث القدسية الصحيحة و معها الأربعون القدسية ، الإمام أبي الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد القاري ، إعداد و تحقيق : أبي عبد الرحمن كمال بن بسيون الأبياري المصري ، ط ١ ، (بيروت : مؤسسة الكتب الثقافية ، ١٤١٣ هـ) ، ٣ .

الإلهام ، أو بطريق الرؤيا في النوم ، فأخبر رسول الله عن ذلك المعنى بعبارة وفقه الله سبحانه إليها " ^(١) .

في حين عَرَفَ الأَسْتَاذُ مُحَمَّدُ سِيدُ فَرْجُ الْحَدِيثِ الْقَدِيسِيَّ بِأَنَّهُ " كُلُّ مَا رَوَاهُ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، لِأَنَّهُ مُنْسُوبٌ إِلَيْهِ تَبَليغاً ، وَ لَيْسَ مِنَ الْقُرْآنِ بِالْإِجْمَاعِ ، وَ إِنْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَدْ بَلَغَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَمْتَهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَ قَدْ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ رَحْمَمُ اللَّهِ فِي لَفْظِ الْحَدِيثِ الْقَدِيسِيِّ ، هَلْ هُوَ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى ، أَوْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى رَسُولِهِ ﷺ مَعْنَاهُ وَ الْلَّفْظُ لَفْظُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ؟ عَلَى قَوْلِيْنِ :

القول الأول : أَنَّ الْحَدِيثَ الْقَدِيسَيْنَ مِنْ عَنْدِ اللَّهِ لِفَظَهُ وَ مَعْنَاهُ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَضَافَهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى ، وَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْأَصْلَ فِي الْقَوْلِ الْمُضَافِ أَنَّ يَكُونَ بِلِفْظِ قَائِلِهِ لَا نَاقِلِهِ . لَا سِيمَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَقْوَى النَّاسَ أَمَانَةً وَ أَوْثَقَهُمْ رَوَايَةً .

وَ الْقَوْلُ الثَّانِي : أَنَّ الْحَدِيثَ الْقَدِيسَيْنَ مَعْنَاهُ مِنْ عَنْدِ اللَّهِ وَ لِفَظَهُ لَفْظُ النَّبِيِّ ﷺ وَ ذَلِكَ لِوَجْهَيْنِ :

الوجه الأول : لِوَكَانَ الْحَدِيثَ الْقَدِيسَيْنَ مِنْ عَنْدِ اللَّهِ لِفَظًا وَ مَعْنَى ، لِكَانَ أَعْلَى سِنَدًا مِنَ الْقُرْآنِ ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَرْوِيهُ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى بِدُونِ وَاسْطَةٍ ، كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ فِي السِّيَاقِ ، أَمَّا الْقُرْآنُ فَنَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِوَاسْطَةِ جَبَرِيلٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الوجه الثاني : أَنَّهُ لِوَكَانَ لِفَظُ الْحَدِيثِ الْقَدِيسِيِّ مِنْ عَنْدِ اللَّهِ ، لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْقُرْآنِ فَرْقٌ ؛ لِأَنَّ كُلَّيْهِمَا عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَ الْحِكْمَةُ تَقتَضِي تَسَاوِيَهُمَا فِي الْحِكْمَةِ حِينَ اتَّفَقَا فِي الْأَصْلِ " ^(١) .

(١) : أدب الأحاديث القدسية ، أحمد الشريachi ، ط ٢ ، (د . م : دار الاعتصام ، ١٣٩٨ھ) ٧ .

و بالنسبة لخلاف العلماء رحهم الله في لفظ الحديث القدسي ، فهو كلام الله تعالى ، أم من كلام الرسول ﷺ ؟ أشار الدكتور أحمد الشريachi إلى أن " هناك من يقول إن الألفاظ في الحديث القدسي من عند الله لا من عند الرسول ، لأن الله تعالى هو المتكلم به أولا ، و من المستبعد أن ينسب الرسول إلى الله إلا ما نسبه الوحي إلى الله حل جلاله . و إذا كان الحديث القدسي يُنسب في الجملة إلى الرسول ، فهذه النسبة نسبة إخبارية ، لأن الرسول هو الذي أخبر الناس بهذا الحديث .

و هناك من يقول إن لفظ الحديث القدسي من عند الرسول ، و إنما تُسب إلى الله لأن معناه قد أُوحى به من عند الله . و لكن هناك من يعارض على هذا بأن الرواة يقولون عند روایة الحديث القدسي : (قال رسول الله فيما يرويه عن ربه ...) .

و يرد بعض العلماء على هذا الاعتراض بأن الله تعالى فَوْضَنَّ نَبِيَّاً يَلْعَنُ عَنْهُ ، و يُنسب الحديث إليه .

و الذي لا شك فيه أن الرسول ﷺ قد روى بعض الأحاديث القدسية بمعناها لا بل بلفظها ، كما في الحديث الذي جاء بهذه الصورة : (قال رسول الله ﷺ : أَتَانِي آتٍ مِّنْ رَبِّي فَأَخْبَرَنِي أَوْ فَبَشَّرَنِي أَنَّهُ مَمْتُّلٌ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً دَخَلَ جَنَّةً) .

(١) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، الإمام النووي ، ابن شرف ، وشيخ الإسلام ابن تيمية ؛ و الإمام ابن القيم الجوزية ؛ و الشيخ عبد العزيز بن باز ؛ و الشيخ محمد العثيمين ؛ و الشيخ صالح آل الشيخ ؛ و الشيخ عبد العزيز الراجحي ، جمع و ترتيب : محمد سيد فرج ، مرجع سابق ، ٦ - ٥ / ١ .

فهذه العبارة التي قالها الرسول لا يمكن أن تكون حكاية لنفس الألفاظ التي أُوحِيت
إليه " (١) .

(١) : أدب الأحاديث القدسية ، أحمد الشريachi ، مرجع سابق ، ٧ - ٨ ، و انظر أيضا تعليق الدكتور
شعبان محمد اسماعيل على هذه القضية : **الأحاديث القدسية و منزلتها في التشريع** ، شعبان محمد
اسماعيل ، مرجع سابق ، ٢٧ - ٢٨ .

٢. الفرق بين القرآن الكريم و الحديث القدسي :

فرق العلماء بين القرآن الكريم و الحديث القدسي بجموعة من الفروق ، ذكر صاحب الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية عدداً كبيراً منها ، و من بعده أخذ العلماء و ما وجدته في عددٍ من المؤلفات^(١) ما هو إلا تكراراً لما ورد في هذا الكتاب .

قال رحمه الله : " فائدة في الفرق بين القرآن و الحديث القدسي ، قال المولى الكرماني في أول كتاب الصوم : القرآن لفظ معجز ، و متزل بواسطة جبرائيل – عليه السلام – و هذا غير معجز ، و بدون الواسطة ، و مثله يسمى بالحديث القدسي و الإلهي و الرباني .

ثم قال : فإن قلت : الأحاديث كلها كذلك ، كيف لا ، و هو ما ينطق عن الموى ؟ قلت : الفرق بأن الحديث القدسي مضاف إلى الله تعالى ، و مروري عن بخلاف غيره .

و قد يفرق بأن القدسي ما يتعلق بتزييه ذاته و صفاته الجلالية و الجمالية . قال الطبي : القرآن هو اللفظ المتزل به جبرائيل – عليه السلام – على النبي ﷺ – و القدسي : إخبار الله معناه بالإلهام أو المنام ، فأخبر النبي عليه الصلاة و السلام – أمهاته

(١) : انظر المؤلفات التالية : أدب الأحاديث القدسية ، أحمد الشريachi ، مرجع سابق ، ١٠-٩ . و الأحاديث القدسية و منزلتها في التشريع ، شعبان محمد اسماعيل ، مرجع سابق ، ٦ . و معجم الأحاديث القدسية الصحيحة و معها الأربعون القدسية ، الإمام أبي الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد القاري ، إعداد و تحقيق : أبي عبد الرحمن كمال بن بسيوني الأبياري المصري ، مرجع سابق ، ٤-٥ . و التعريف بالحديث الشريف ، محمد السعدي فرهود ، مرجع سابق ، ١٩ . و د . م ، الأحاديث القدسية ، مرجع سابق ، ٨-٧ .

عبارة نفسه ، و سائر الأحاديث لم يضفها إلى الله ، و لم يروها عنه ، كذا في كتاب الفوائد لحفيد التفتازاني .

و هناك أيضاً وجوه في الفرق بين القرآن و الحديث القدسي ذكرها الشيخ محمد علي الفاروقى ، في (كشاف الاصطلاحات و الفنون) .

عند بيان أنواع الحديث و تقسيمهما ، فقال :

الحديث إما نبوي و إما إلهي ، و يسمى حديثاً قدسياً أيضاً . فالحديث القدسي ؛ هو الذي يرويه النبي - ﷺ - عن ربه عز وجل . و النبوي : ما لا يكون كذلك . هكذا يفهم مما ذكر ابن حجر في (الفتح المبين ، في شرح الحديث الرابع و العشرين) .

و قال الحلبى في حاشية التلويع ، في الركن الأول عند بيان معنى القرآن : الأحاديث الإلهية : هي التي أوحاها الله تعالى ، إلى النبي - ﷺ - ليلة المعراج ، و تسمى بأسرار الوحي . أ.ه.

(فائدة) قال ابن حجر هناك : لا بد من بيان الفرق بين الوحي المتلق ، و هو القرآن ، و الوحي المروي عنه - ﷺ - عن ربه عز وجل و هو ما ورد من الأحاديث الإلهية ، و تسمى القدسية ، و هي أكثر من مائة ، و قد جمعها بعضهم في جزء كبير : — قال :

اعلم أن الكلام المضاف إليه تعالى أقسام : أولها و أشرفها القرآن لتميزه عن البقية بإعجازه ، و كونه معجزة باقية على مر الدّهور ، محفوظة من التغيير و التبدل ، و بحرمة مسه للمحدث ، و تلاوته للجنب ، و روایته بالمعنى ، و بتعيينه في الصلاة ، و

بتسميته قرآنًا ، و بأن كل حرف منه بعشر حسنات و بامتناع بيده ، في رواية عند أَحْمَدَ ، و كراحته عندنا ، و بتسمية الجملة منه آية و سورة .

و غيره من بقية الكتب ، و الأحاديث القدسية ، لا يثبت لها شيء من ذلك ، فيجوز مسه و تلاوته من ذكر ، و روايته بالمعنى ، و لا يجزئ في الصلاة ، بل يطلها ، و لا يسمى قرآنًا ، و لا يعطى قارئه بكل حرف عشر حسنات ، و لا يمنع بيده ، و لا يكره اتفاقاً ، و لا يسمى بعضه آية و لا سورة اتفاقاً أيضاً .

و ثانيتها - كتب الأنبياء - عليهم الصلاة و السلام - قبل تغيرها و تبدلها .

و ثالثتها - بقية الأحاديث القدسية ، و هي ما نقل إلينا أحاداً عنه - ﷺ - مع إسناده لها عن ربه ، ف فهي من كلامه تعالى ، فتضاف إليه و هو الأغلب ، و نسبتها إليه حينئذ نسبة إنشاء ، لأن المخبر بها عن الله تعالى ، فيقال فيه : قال الله تعالى - و فيها قال رسول الله ﷺ ، فيما يروي عن ربه .

و اختلف في بقية السنة ، هل كل السنة بوحي أو لا ؟ و آية ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهُوَى ﴾ تؤيد الأول ، و من ثم قال ﷺ : (ألا إني أوتيت الكتاب و مثله معه) - و لا تنحصر تلك الأحاديث في كيفية من كيفيات الوحي ، بل يجوز أن تنزل بأي كيفية من كيفياته ، كرؤيا النوم و الإلقاء في الروع ، و على لسان الملك .

و لراويها صيغتان : إحداهما أن يقول : قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه ، و هي عبارة السلف .

و ثانيهما : أن يقول قال الله تعالى ، فيما رواه عنه رسوله ﷺ و المعنى واحد . هـ كلامه .

و في فوائد الأمير حميد الدين : (الفرق بين القرآن و الحديث القدسي) على ستة

أوجه :

الوجه الأول : أن القرآن معجز ، و الحديث القدسي ليس معجزاً .

والثاني : أن الصلاة لا تكون إلا بالقرآن ، بخلاف الحديث القدسي .

والثالث : أن جاحد القرآن يكفر ، بخلاف جاحد الحديث القدسي فلا يكفر .

والرابع : أن القرآن لا بد فيه من كون جبرائيل - عليه السلام - واسطة بين النبي ﷺ و بين الله تعالى ، بخلاف الحديث القدسي .

والخامس : أن القرآن يجب أن يكون لفظه من الله تعالى ، بخلاف الحديث القدسي ، فيجوز أن يكون اللفظ من النبي ﷺ .

وال السادس : أن القرآن لا يمس إلا بالطهارة ، و الحديث القدسي يجوز مسه من المحدث . ا . ه .

ثم قال : و تبين بهذا الفرق بين الحديث القدسي ، و بين ما نسخ تلاوته أيضاً ، لما عرفت فيما نقلناه من الإتقان ، من أنه يسمى بالقرآن و الآية " ^(١) .

و ذكر الأستاذ محمد سيد فرج أنه " من المعلوم أن بين القرآن و الحديث القدسي فروقاً كثيرة :"

(١) : الإتحادات السنوية في الأحاديث القدسية ، محمد المدين ، مرجع سابق ، ٢٣٥-٢٣٦ .

منها : أن الحديث القدسي لا يتبعد بتلاوته ، بمعنى أن الإنسان لا يتبعد الله تعالى بمجرد قراءته ، فلا يثاب على كل حرف منه عشر حسنات ، و القرآن يتبعد بتلاوته بكل حرف منه عشر حسنات .

و منها : أن الله عز و جل تحدى أن يأتي الناس بمثل القرآن أو آية منه ، و لم يرد مثل ذلك في الأحاديث القدسية .

و منها : أن القرآن محفوظ من عند الله عز و جل ، كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْكِتَابَ رَوِيَ إِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] ، و الأحاديث القدسية بخلاف ذلك ، ففيها الصحيح و الحسن ، بل أضيق إليها ما كان ضعيفاً أو موضوعاً ، و هذا و إن لم يكن منها لكن نسب إليها ، و فيها التقديس و التأثير و الزيادة و النقص .

و منها : أن القرآن لا تجوز قراءته بالمعنى بإجماع المسلمين ، أما الأحاديث القدسية ، فعلى الخلاف في جواز نقل الحديث النبوي بالمعنى ، و الأكثرون على جوازه.

و منها : أن القرآن تشريع قراءته في الصلاة ، و منه ما لا تصح الصلاة بدون قراءته ، بخلاف الأحاديث القدسية .

و منها : أن القرآن لا يمسه إلا طاهر على الأصح ، بخلاف الأحاديث القدسية.

و منها : أن القرآن ثبت بالتواتر القطعي المفيد للعلم اليقيني ، فلو أنكر منه حرفاً أجمع القراء عليه ، لكان كافراً ، بخلاف الأحاديث القدسية ، فإنه لو أنكر شيئاً منها

مدعياً أنه لم يثبت لم يكفر ، أما لو أنكره مع علمه أن النبي ﷺ قاله لكان كافراً
لتکذیبه النبي ﷺ " (١) .

و يلاحظ على الفروق التي ذكرها الأستاذ محمد سيد فرج أنها تعود في مجملها إلى
ما ذكره صاحب الإتحافات السننية في الأحاديث القدسية في كتابه ، في حين أضاف
كل من الدكتور شعبان محمد إسماعيل ، و الدكتور عمر علي عبد الله محمد فرقاً آخر
إضافة إلى ما سبق ذكره ، و هو " أن القرآن الكريم يحرم بيعه عند الإمام أحمد – رحمة
الله – ، و يكره عند الإمام الشافعي – رحمة الله – ، و الحديث القدسي ليس كذلك
" (٢) .

(١) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، الإمام النووي ، ابن شرف ، و شيخ الإسلام ابن تيمية ، و الإمام ابن القيم الجوزية ، و الشيخ عبد العزيز بن باز ، و الشيخ محمد العثيمين ، و الشيخ صالح آل الشيخ ، و الشيخ عبد العزيز الراجحي ، جمع و ترتيب : محمد سيد فرج ، مرجع سابق ، ٦ .

(٢) : انظر : الأحاديث القدسية جمعاً و دراسة ، عمر علي عبد الله محمد ، ط١ ، (المدينة المنورة : مكتبة العلوم و الحكم ، ١٤٢٤ هـ - ١٤٢٥ هـ) ، ٢٥ . و انظر أيضاً : الأحاديث القدسية و منزلتها
في التشريع ، شعبان محمد إسماعيل ، مرجع سابق ، ٢٥ .

٣. الفرق بين الحديث القدسي و الحديث النبوي :

يختلف الحديث القدسي عن الحديث النبوي بعدة فروق ، ذكر الدكتور محمد إسماعيل عدداً منها ، حيث قال : " يفرق بين الحديث القدسي و الحديث النبوي بأن الحديث القدسي ، لفظه و معناه كلاماً من الله سبحانه و تعالى على أشهر القولين ، موحى بهما ، سواءً أوحى إليه بوحي جلي ؛ بأن ينزل بهما جبريل عليه السلام على النبي ﷺ يقظة ، أو بوحي خفي كإلهام أو منام ، و الحديث النبوي لفظه من عند النبي ﷺ ، أما معناه فتارة يكون بـوحي جلي ؛ بأن ينزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ يقظة ، مثل ما رواه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال : (سمعت رسول الله ﷺ بـوادي العقيق يقول : آتاني الليلة آت من ربِّي فقال : صلّ في هذا الوادي المبارك ، و قل عمرة في حجة) . و تارة يكون بـوحي خفي كإلهام و منام مثل حديث : (إن الروح الأمين نفت في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفى رزقها ، فاتقوا الله و أجملوا الطلب) ، و تارة يكون باجتهاد منه ؛ لأن اجتهاده منزل منزلة الوحي ؛ إذ لا يقر على خطأ ، مثل حديث البخاري الذي رواه في صحيحه عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : (حرق رسول الله ﷺ نخل بنى النمير و قطع و هي البويرة فنزلت ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمْ هَا قَاءِمَةً عَلَى أَصُولِهَا فَإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر : ٥] ... إن الحديث القدسي معناه يتعلق في الغالب بالحق سبحانه و تعالى بتبيين عظمته ، أو بإظهار رحمته ، أو بالتنبيه على سعة ملكه و كثرة عطائه ، فينزل هذا المعنى على رسول الله - ﷺ - و يترك له التعبير عنه بعبارة يؤلفها من عنده ، على أنها صادرة عن الحق سبحانه ، فينطبق - ﷺ - بها على لسان الله سبحانه و تعالى ... أما الحديث النبوي : فإنه يتعلق بما يصلح البلاد و العباد ، بذكر

الحلال و الحرام ، و الحث على الأمثال ، بذكر الوعد و الوعيد ، و ترك لرسول الله -

- التعبير عنه ، على أنه صادر عنه ، لا عن الحق سبحانه و تعالى ^(١) .

أمّا الدكتور محمد السعدي فرهود فقد ذكر أن الحديث القدسي هو الحديث المسند إلى الله - سبحانه و تعالى - فيما يرويه عنه رسول الله ﷺ ، و الحديث النبوى هو الحديث المسند إلى رسول الله ﷺ إسناداً مباشراً ، و أن الفرق بينهما على رأيين :

الرأي الأول : أن الحديث القدسي من عند الله - جل شأنه - باللفظ و المعنى ، و أمّا الحديث النبوى فقد ألمّم الرسول ﷺ معناه ، أو أوحى إليه به ، و صاغه الرسول ﷺ بلفظ من عنده .

و الرأي الآخر : أن الحديث القدسي معناه من عند الله بإلهام ، و لفظه من عند الرسول ﷺ . و الحديث النبوى لفظه و معناه من عند الرسول ﷺ ^(٢) .

و وأشار الدكتور عمر علي عبد الله محمد أن من الفروق بين الحديث القدسي و الحديث النبوى الآتي :

١. "أن الحديث القدسي لفظه و معناه من عند الله تعالى ، كما هو القول الراجح . و الحديث النبوى معناه من عند الله عز و جل ، و لفظه من كلام الرسول ﷺ ."

٢. الحديث القدسي يسنه النبي ﷺ و يضيغه إلى الله تعالى . و الحديث النبوى ليس كذلك .

(١) : الأحاديث القدسية و منزلتها في التشريع ، شعبان محمد اسماعيل ، مرجع سابق ، ٢٧-٣٠ .

(٢) : التعريف بالحديث الشريف ، محمد السعدي فرهود ، مرجع سابق ، ١٩ .

و قد فرق بعضهم بينهما من حيث المحتوى والموضوع .

فقال الكرماني : و قد يفرق بأن القديسي ما يتعلق بتنزيله ذات الله تعالى ، و بصفاته الجلالية والجمالية ، منسوبا إلى الحضرة المقدسة ، تعالى و تقدس . اه . و الحديث النبوى يتعلق ما يصلح البلاد و العباد بذكر الحال و الحرام ، و الحث على الامتثال بذكر الوعيد . قلت : و هذا هو الغالب ، و إلا فهناك أحاديث قدسية فيها الوعيد و الوعيد " (١) .

و ذكر الدكتور أحمد الشريachi أنه فرقوا بين الحديث القديسي و الحديث النبوى " بأن الحديث القديسي يكون عن طريق الإيحاء ، سواء أكان بوساطة جبريل ، أم بوساطة الرؤيا ، و أما الحديث النبوى فقد يكون بوحى ، و قد يكون باجتهاد من رسول الله ﷺ " (٢) .

(١) : الأحاديث القدسية جمعاً و دراسة ، عمر علي عبد الله محمد ، مرجع سابق ، ٢٥ .

(٢) : أدب الأحاديث القدسية ، أحمد الشريachi ، مرجع سابق ، ١٠ .

٤. تعريف البديع و منزلته بين الدراسات البلاغية :

تعريف البديع لغة : جاء في لسان العرب بَدَعُ الشيءَ يَبْدَعُه بَدْعًا وَ ابْتَدَعَه : أَنْشَأَه وَ بَدَأَه . وَ بَدَعُ الرَّكِيْمَةَ : اسْتَبْطَأَهَا وَ أَحْدَثَهَا . وَ الْبَدْعُ الشيءَ الَّذِي يَكُونُ أَوْلًا . وَ فِي التَّنْزِيلِ : قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرَّسُولِ ؟ أَيْ مَا كُنْتُ أَوْلَ مِنْ أَرْسَلَ ، قَدْ أَرْسَلَ قَبْلِي رُسُلٌ كَثِيرٌ .

وَ الْبَدِيعُ الْمُحَدَّثُ الْعَجِيبُ . وَ الْبَدِيعُ الْمُبْدِعُ . وَ أَبَدَعْتُ الشيءَ : اخْتَرَعْتُه لا عَلَى مِثَالٍ . وَ الْبَدِيعُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لِبَدَاعِهِ الْأَشْيَاءِ وَ إِحْدَاهِ إِيَّاهَا وَ هُوَ الْبَدِيعُ الْأَوْلُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِعْنَى مُبْدِعٍ أَوْ يَكُونَ مِنْ بَدَعِ الْخَلْقِ أَيْ بَدَأَهُ ، وَ اللَّهُ تَعَالَى كَمَا قَالَ سَبَحَانَهُ : بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ؛ أَيْ خَالقُهَا وَ مُبْدِعُهَا ، فَهُوَ سَبَحَانُهُ الْخَالقُ الْمُخْتَرُعُ لَا عَنْ مِثَالٍ سَابِقٍ ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ : يَعْنِي أَنَّهُ أَنْشَأَهَا عَلَى غَيْرِ حِذَاءٍ وَ لَا مِثَالٍ^(١).

تعريف البديع في اصطلاح البلاغيين : علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة^(٢).

وَ هَذَا التَّعْرِيفُ يَجْعَلُ وَظِيفَةَ فُنُونِ الْبَدِيعِ فِي الْأَسْلَوبِ مَقْصُورَةً عَلَى مُجْرِدِ تَحْسِينِهِ وَ تَنْمِيقِهِ ، دُونَ أَنْ تَكُونَ مِنْ عَوَامِلِ بَلَاغَتِهِ . كَمَا أَنَّهُ يَضْعُفُ عِلْمُ الْبَدِيعِ فِي مَرْتَبَةِ دَانِيَةٍ وَ مَرْحَلَةِ مَتَّخِرَةٍ بَعْدِ عِلْمِيِّ الْمَعَانِيِّ وَ الْبَيَانِ ، فَعِلْمُ الْمَعَانِيِّ مُخْتَصٌ بِاعتِبارَاتِ مَطَابِقَةِ الْكَلَامِ لِمَقْتَضِيِّ الْحَالِ ، وَ عِلْمُ الْبَيَانِ مُخْتَصٌ بِاعتِبارَاتِ وَضُوحِ الدَّلَالَةِ ، وَ بِمَرَاعَاةِ الْاعْتِباَرَاتِ الْمُقرَّرَةِ فِي الْعِلْمَيْنِ تَتَحَقَّقُ بِلَاغَةُ الْكَلَامِ ، ثُمَّ تَأْتِي فُنُونُ الْبَدِيعِ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْكَلَامِ الْبَلِيجِ لِتَكْسُوَهُ رَدَاءَ الْحَسَنِ وَ تُلْبِسَهُ قَلَائِدَ الزَّيْنَةِ ، دُونَ أَنْ تَكُونَ أَسَاسًا فِي بَلَاغَتِهِ .

(١) : لسان العرب ، جمال الدين ابن منظور ، المجلد الثاني . ط ١ ، مرجع سابق ، مادة بَدَع ، ص ٣٧ .

(٢) : الإيضاح ، الخطيب القزويني ، مرجع سابق ، ٣٣٣ .

و هذه نظرة ممحفة بعلم كان البحث فيه الخطوة الأولى في مسيرة البلاغة ، و كثيراً ما أطلق عليها ، و ضم تحت رايته – لفترات طويلة – معظم فنون البلاغة ، و منها ما هو من علم المعاني ، و ما هو من علم البيان حسب مصطلحات المؤخرين ^(١) .

و الحق أن علم البديع له مدخل كبير في مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، إن استدعي المقام وجوده ، فربط الألوان البدوية بالمقام والسياق مهم في بلاغة الكلام ، و هذا ما سوف نلاحظه – بعون الله تعالى – في القادم من البحث .

و المحسنات البدوية عند البلاغيين على قسمين : معنوية و لفظية .

فالمحسنات المعنوية : هي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى المعنى أولاً ، و يتبع ذلك تحسين اللفظ ، و منها : الطباق و المشاكلة و التورية ... الخ .

و المحسنات اللفظية : هي التي يكون التحسين فيها راجعاً إلى اللفظ أولاً ، و يتبع ذلك تحسين المعنى ، و منها : الجناس و السجع و رد العجز على الصدر الخ ^(٢) .

منزلة البديع من الدراسات البلاغية :

بدأت الدراسات المنهجية في البلاغة العربية بدراسة فنون البديع على يد عبد الله ابن المعترٌت ٢٩٦ هـ ، و ذلك في كتابه "البديع" و مضت مسيرة البحث البلاغي عبر العصور الأدبية ، و نالت فيها فنون البديع جل اهتمام العلماء ، كما نرى في مؤلفات قدامة بن جعفر و أبي هلال العسكري و ابن رشيق و ابن سنان الخفاجي و غيرهم ، و كان البديع عندهم يطلق على معظم الصور البلاغية التي صنفت بعد ذلك في علوم ثلاثة : المعاني و البيان و البديع .

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٧ .

(٢) : الإيضاح ، الخطيب القزويني ، مرجع سابق ، ٣٣٣ .

ثم عصفت رياح الضعف الأدبي حاملة معها تياراً مفرقاً في الصنعة مولعاً بالتفنن و التشعيّب في ألوانه الأصيلة . و ظهرت البدائيّات و تفرّغت عقول صائغيها لرصد كل الوشي البدائيّ صحيحه و عليه ، أصيله و دخيله ، فتراكم من ذلك كم هائل من فنون البديع منها ما له قيمة في التعبير ، و منها ما لا وزن له ، و منها ما تداخل مع غيره فلا يفترقان إلا في الاسم .

و من جراء ذلك تحول الفن التعبيري الجميل إلى زخرف شكلي و تلاعب لفظي ، و هذا مما هون من شأن البديع لدى المتأخرين من علماء البلاغة ، و أضعف من قيمته ، و اعتبروه حلية و زينة في الأسلوب ، و لا دخل له في بلاغة الكلام ^(١) .

و يحمل الباحثون الخطيب القزويني تبعه إخراج البديع من الخصائص البلاغية التي تتوقف عليها بلاغة الكلام ، حيث عرف البلاغة بأنّها " مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته " ^(٢) و بعد أن شرح التعريف و بين مراتب البلاغة قال : " و اعلم أنه يتبعها وجوه كثيرة غير راجعة إلى مطابقة مقتضى الحال ، و لا إلى الفصاحة ، تورث الكلام حسناً و قبولاً " ^(٣) - يعني وجوه البديع - . و بهذا أخرج فنون البديع من تعريف البلاغة ؛ إذ عدها غير راجعة إلى مقتضى الحال و لا إلى الفصاحة ^(٤) .

و يرى بعض الباحثين أن الخطيب مقتد في هذا بالسكاكي ، الذي حصر البلاغة في علمي المعاني و البيان ، و بعد أن انتهى من شرح أبواهما قال : " و إذ تقرر أن البلاغة بمرجعيها - المعاني و البيان - و أن الفصاحة بنوعيها - اللفظية و المعنوية - مما يكسو الكلام حلية التزيين ، و يرقيه أعلى درجات التحسين ، فهمنا وجوه

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٥٧ .

(٢) : الإيضاح ، القزويني ، مرجع سابق ، ص ١٦ .

(٣) : المرجع السابق ، ١٨ .

(٤) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٥٨ .

مخصوصة كثيرة ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام ، فلا علينا أن نشير إلى الأعراف منها ، و هي قسمان : قسم يرجع إلى المعنى ، و قسم يرجع إلى اللفظ ^(١) ، ثم مضى يشرح هذه الوجوه دون أن يطلق عليها اسم البديع ^(٢) .

" و يظهر أن أول من جعل هذه المسائل - مسائل البديع - علمًا مستقلًا بدر الدين بن مالك في مصابحه ، حيث قسم البلاغة إلى ثلاثة فنون هي المعاني و البيان و البديع ، و هذا هو ما استقر عليه الأمر إلى يومنا هذا " ^(٣) ، و مضى في جل مباحثه على نهج السكاكي ، إلا أنه أعطى وجوه تحسين الكلام مزيداً من الأصالة ، و وضعها في مرتبة مباحث المعاني و البيان ^(٤) .

و المتأمل في فنون البديع يرى أن بعضها لا يزيد عن كونه حلية شكلية و تلاعباً لفظياً ، و هذه الفنون ينبغي طرحها و عدم الاعتداد بها ، و يرى أن كثيرة من فنون البديع له أثر جليل في الأسلوب شكلاً و مضموناً ، فهذه الفنون لها قيمة و وزن في الكلام ، و تؤدي أغراضًا لا توجد بدونها ، فتعتبرها من جوهر البلاغة و لها و صورها الأصلية ، و لا تقل قيمة عن التشبيه أو الاستعارة أو غيرهما من الصور التي جعلوها داخلة في حد البلاغة .

و هذا الرأي يؤيده و يؤكده عدة أمور منها :

- أن صور البديع تفيد أغراضًا و قيمًا في التعبير لا يمكن إغفالها أو التقليل من قيمتها ، ففي الألوان البدوية ما يفيد التوضيح و التقرير ، و منها ما يفيد بيان

(١) : مفتاح العلوم ، السكاكي ، ط١ ، (مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده ، د.ت) ، ٢٠٠ .

(٢) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٥٨ .

(٣) : البلاغة فنونها و أدفانها (علم البيان و البديع) ، فضل حسن عباس ، ط ١١ ، (عمان : دار الفرقان ، ٢٠٠٦ م) ، ص ٢٧٦ .

(٤) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٥٩ .

الإمكان و المبالغة ، و منها ما يحقق التنااسب و التلاؤم و تلامح الأجزاء ، و قد تعرضت في بحثي لعدد كبير منها .

- بعض صور البدع تدخل في علم المعاني ، أو علم البيان ، و قد درسها بعض العلماء في مواطنها من هذين العلمين ، من ذلك : الالتفات ، و التذليل ، و التكميل ... الخ ، و هذه الصور تدخل في تعريف البلاغة عندما تدرس في أحد هذين العلمين ، فكيف لا تدخل في حد البلاغة إذا درست في علم البدع .
- وردت فنون البدع في الأدب الجاهلي و الإسلامى شعره و نثره ، و استخدمها العرب الخالص في التعبير عن أغراضهم كغيرها من طرق التعبير بطريقة فطرية لا تستند إلى قواعد ، فجاء في أساليبهم التشبيه و القصر و الاستعارة بجوار الطلاق و السجع و الجناس دون فرق ، فالحكم على الأساليب الأولى بالذاتية و الأخرى بالعرضية حكم غير صحيح ؛ لأن جميعها عند الناطقين بها من طرق التعبير التي يؤدون بها معانיהם .
- يشتمل القرآن الكريم على قدر كبير من فنون البدع ، و قد جاءت فيه على نهجه المعجز ، لا تختلف في سمو بلاغتها عن بقية الأساليب و الصور القرآنية ، و الحكم على فنون البدع بالعرضية يعني اشتتمال النظم القرآني ، على حل عرضية ، و هذا اتهام تدحضه البلاغة القرآنية العالية التي أعجزت الإنس و الجن .
- سلك الشيخ عبد القاهر الجرجاني المزاوجة ، و التقسيم ، و التشبيه المتعدد في سلك واحد حين جعلها من النظم العالي الذي يتحد في الوضع و يدق فيه الصنع^(١) ، فهو لا يفرق في النظم بين لون بديعي و لون بياني ما دام كل منهما يزيد من حسن النظم و يرفع من شأنه و يعلي من قيمته .
- لا يصح الحكم على الفنون البدعية احتجاجا بما لها من أثر شكلي في الأسلوب ، لأن وراء هذا الأثر الشكلي أغراضًا معنوية هي المقدمة في الحكم عليها بالحسن ، و قد أكد الشيخ عبد القاهر على أن الحسن في هذه الفنون راجع إلى المعنى أولاً ،

(١) انظر : دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه و علق عليه : محمود محمد شاكر ، ط ٣ ، (مصر : مطبعة المدنى ، ١٤١٣ هـ) ، ص ٩٣-١٠٥ .

و ضرب أمثلة بالطبقات والتجنيس وال-song بين فيها أن حسنها راجع إلى ما لها من آثار معنوية ، وأن الحكم عليها ينبغي أن يكون من خلال المعنى^(١) .

و بناءً على ما سبق نرى أن فنون البداع إذا جاءت غير متكلفة وكان لها أثر في الأسلوب يقتضيه المقام فإنها تكون محسنا ذاتيا و لا فرق بينها وبين الصور البلاغية الأخرى التي تدخل في علمي المعاني والبيان^(٢) .

و قد ركزت في تناولي لألوان البداع على تعريف تلك الألوان ، و الكشف عن سرّ بلاغتها ، و بيان أثرها في المعنى و قيمتها في الأسلوب .

و أرجو أن يكون هذا البحث مزيلا لبعض ما تراكم من غبار على ألوان البداع و معيناً على كشف لطائفها و تذوق حسنها و جمالها ، و باعثاً على مواصلة البحث في أفنانها الوارفة .

و لعله قد اتضح فيما تقدم معنى الحديث القدسي ، و الفرق بينه و بين القرآن الكريم ، و بينه وبين الحديث النبوي ، و تعريف البداع و منزلته بين الدراسات البلاغية . و فيما يلي ندخل إلى صلب الموضوع و هو تحليل الصور البدائية في تلك الأحاديث القدسية .

(١) : انظر : *أسرار البلاغة* ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه و علق عليه : محمود محمد شاكر ، ط ١ ، (مصر : مطبعة المدیني ، ١٤١٢ھ) ، ص ٥ - ١٨ .

(٢) : *دراسات منهجية في علم البداع* ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٦١ - ٢٦٦ .

الفصل الأول

الألوان البدعية المعنوية في الأحاديث القدسية ،

و قيمتها البلاغية ، و يتضمن :

- ❖ المبحث الأول : الطباق و المقابلة .
- ❖ المبحث الثاني : المشاكلة .
- ❖ المبحث الثالث : التورية .
- ❖ المبحث الرابع : المبالغة .
- ❖ المبحث الخامس : مراعاة النظير .
- ❖ المبحث السادس : الجمع و التقسيم .
- ❖ المبحث السابع : حسن الابتداء و حسن الانتهاء .

المبحث الأول :

أولاً : الطلاق.

ثانياً : المقابلة.

أولاً : الطباق .

التعریف باللون البدیعی :

و الطباق عند ابن أبي الإصبع المصري : " الطباق اللغوي الذي أخذ منه الصناعي هو قول العرب : طباق البعير في مشيه إذا وضع خفَّ رجله موضع خف يده ، و قد رد ابن الأثير على كل من أللَّف في الصناعة هذا الباب ، وقال : إن الجمَع من تسميتهم الصدرين في هذا الباب خطأً محض ، لأنَّ أصل الاشتقاد يقتضي الموافقة لا المُضادَّة ، و هو أولى بالخطأِ منهم ؛ لأنَّ القوم رأوا أنَّ البعير قد جمع بين الرجل و اليد في موطئ واحد ، و الرجل و اليد ضدان ، أو في معنى الصدرين ، فرأوا أنَّ الكلام الذي قد جمع فيه بين الصدرين يحسن أنَّ يسمى مطابقًا لأنَّ المتكلِّم به طباق فيه بين الصدرين " ^(١) .

و المطابقة عند السكاكي : " هي أن تجتمع بين متضادين " ^(٢) .

و المطابقة عند الخطيب القرزياني : " هي الجمع بين المتضادين ، أي معنيين متقابلين في الجملة " ^(٣) .

و فسرَ سعد الدين التفتازاني قول الخطيب السابق : " أي يكون بينهما تقابل و تناف و لو في بعض الصور ، سواء كان التقابل حقيقة أو اعتباريا ، و سواء كان تقابل

(١) : تحرير التحبير في صناعة الشعر و الشروق و بيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري ، تقدِّم و تحقيق : حنفي محمدشرف ، يشرف على إصدارها : محمد توفيق عويسة ، الجمهورية العربية المتحدة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث ، د . ط ، د . ن ، د . ت ، ١١١ .

(٢) : مفتاح العلوم ، السكاكي ، مرجع سابق ، ٢٠٠ .

(٣) : الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القرزياني ، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، مرجع سابق ،

التضاد ، أو تقابل الإيجاب و السلب ، أو تقابل العدم و الملة ، أو تقابل التضاديف ،
أو ما يشبه شيئاً من ذلك " ^(١) .

و شرح ابن عثيمين قوله : " (الجمع) أي هو أن تجتمع (بين متضادين) في كلام واحد ، أو ما هو كالكلام الواحد في الاتصال ، و لما كان المراد بالتضاد هنا و جود مطلق التقابل و التنافي لا التضاد الذي هو أن يكون بين شيئين وجود بين غاية الاختلاف فسر المتضادين بقوله : (أي معنيين متقابلين في الجملة) أي من غير تفصيل في ذلك التقابل و التنافي بأن يعين مقداره من كونه فيما بين معنيين كالنقيضين أو الضدرين أو غير ذلك . . . " ^(٢) .

و شرح أيضاً بهاء الدين السبكي قوله : " قوله : (و هي) أي المطابقة (الجمع) أي في الذكر (بين متضادين) أي معنيين متضادين ، و المراد بالمتضادين المتقابلان في الجملة ، أي : سواء أكان التقابل من وجه ما ألم من كل وجه ، و سواء أكان التقابل حقيقة أم اعتبارياً ، و سواء أكان بين وجوديين كما هي في حقيقة التضاد أم بين وجودي و عدمي أو عدميين ، فإن قوله تعالى ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ ليس فيه تقابل حقيقة بين العلم المنفي و العلم المثبت في الآية ، و لكن بينهما تقابل في الجملة إذا أحدا على الإطلاق ، كذا قالوه و فيه نظر ؛ لأنهما إذا أحدا على الإطلاق كان بينهما تناقض لا تضاد ، و يمكن الجواب بأنه إذا كان المراد بالتضاد التقابل فهو بين النقيضين أوضح ، و قد جمع بين الحقيقي و غيره في قوله :

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة *** و من إساءة أهل الشرّ إحسانا

(١) : شروح التلخيص ، تلخيص المفتاح للخطيب القزويني ، سعد الدين الفتاوازي ، ج٤ ، ٢٨٦-٢٨٧ .

(٢) : شروح التلخيص ، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ، ابن عثيمين المغربي ، ج٤ ، ٢٨٦-٢٨٧ .

فمقابلة الإحسان بالإساءة حقيقة و مقابلة الظلم بالغفرة غير حقيقة ، ... " ^(١) .

و ذكر الدسوقي على شرح سعد الدين : " (قوله الجمع بين متضادين) أي في كلام واحد ، أو ما هو كالكلام الواحد في الاتصال ، و قوله : بين متضادين أخذ بالأقل ، كما في قولهم : الكلام ما تضمن كلمتين بالإسناد و إلا فالجمع بين الأمور المتضادة مطابقة و لو كثرت تلك المتضادات . (قوله : و تناه أي معنيين متقابلين) لما كان يتوهم أن المراد بالمتضادين هنا خصوص الأمرين الوجوديين المتwardين على محل واحد بينهما غاية الخلاف كالسوداد و البياض و ليس ذلك شرطا بين المصنف أن المراد بالمتضادين هنا ما هو أعم من ذلك أعني الأمرين اللذين بينهما تقابل و تناه . (قوله : في الجملة) أي و لو في الجملة فليس التناه في بعض الأحوال شرطا بدليل التعميم . (قوله : و تناه) تفسير لما قبله (قوله : و لو في بعض الصور) أي و لو في بعض الأحوال و من المعلوم أن المتقابلين في بعض الأحوال ، إنما يكون التناه بينهما باعتبار ذلك البعض فلذا قال : لبيان عموم التقابل سواء كان التقابل حقيقيا الخ (قوله : و لو في بعض الصور) أي كما في الاعتباري ، فإن التناه فيه باعتبار المتعلق (قوله : سواء كان التقابل حقيقيا) أي كتناسب الأمرين اللذين بينهما غاية الخلاف لذاتهما كتناسب القدم و الحدوث (قوله : أو اعتباريا) أي كتناسب الإحياء و الإمامة فإنهما لا يتقابلان إلا باعتبار بعض الأحوال و هو أن يتعلق الإحياء بحياة جرم في وقت الإمامة بإماتته في ذلك الوقت و إلا فلا تقابل بينهما باعتبار أنفسهما و لا باعتبار المتعلق عند تعدد الوقت ، (قوله : و سواء كان) أي التقابل الحقيقي تقابل التضاد كتناسب الحركة و السكون على الجرم الموجود بناء على أنهما وجوديان (قوله : أو تقابل الإيجاب و السلب) أي كتناسب مطلق الوجود و سلبه (قوله : أو تقابل عدم و الملكة) أي كتناسب العمى و البصر و القدرة و العجز بناء على أن العجز نفي القدرة ومن شأنه الاصناف بها (قوله : أو تقابل التضاديف) أي كتناسب الأبوة و البنوة و

(١) : شروح التلخيص ، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح ، بهاء الدين السبكي ، ج٤ ، ٢٨٦ -

قيل : إن الجمع بين الأبوة و البنوة من باب مراعاة النظير لا من المطابقة ، ورد بأن مراعاة النظير الجمع بين أمور لا تناهى فيها كالشمس و القمر بخلاف ما فيه التناهى كالأبوة و البنوة (قوله : أو ما يشبه شيئاً من ذلك) أي أو تقابل ما يشبه شيئاً مما ذكر مما يشعر بالتناهى لاشتماله بوجه ما على ما يوجب التناهى كهاتا و تلك في قوله : منها الوحوش إلا أن هاتا أوانس *** قナ الحط إلا أن تلك ذوابل لما في هاتا من القرب و تلك من البعد و كما في قوله تعالى ﴿أَغْرِقُوا فَأَدْخِلُو نَارًا﴾ لما يشعر به الإغراق من الماء المشتمل على البرودة غالباً و ما يشعر به إدخال النار من حرارة النار ^(١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البدوي المعنوي " الطباق " ، و قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، حاشية الدسوقي على شرح السعد ، ٢٨٦-٢٨٧ .

الحديث الأول :

حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ خَشْرَمٍ . أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ زَائِدَةَ بْنِ نُشَيْطٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْوَالِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : (يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنَّى وَأَسْدُ فَقْرَكَ ، وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلاً وَلَمْ أَسْدُ فَقْرَكَ) .

قال : هذا حديث حسن عريب ، وأبو خالد الولي اسمه هرم ^(١) .

المضمون العام للحديث :

وضَّحَ الحديث القدسي السابق فضل تفرُّغ القلب لعبادة الله و التوكيل عليه ، حيث بدأ الحديث بنداء من الله عَجَلَ لابن آدم ، و في ذلك إشارة إلى العموم و الشمول و لم يخص الله تعالى المسلم فقط ، حيث أمره الله بأنْ يتفرغ لعبادته و يترك انشغاله بالدنيا ، و إن فعل ابن آدم ذلك ملأ الله عَجَلَ صدره بالغنى أي " بالإيمان ... و بالقناعة و الرضا بالرزق المقسم و بالزهد بالدنيا ، و عدم التعلق بزهرتها الفانية ، فمن خرج حب الدنيا من قلبه و غنى بريه كان أسعد الناس ؛ لأنَّه سلك سبيل النجاة يوم الدين " ^(٢) ، و كذلك سدَّ الله فقره " أي أصلاح فدرك بأن أرضيك به بحيث لا يحصل

(١) : سنن الترمذى ، إعداد : الشيخ هشام سمير البخارى ، د.ط ، ج٤ ، كتاب صفة القيامة ، باب ٣٠ ، رقم الحديث : ٢٤٧١ ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤١٥ هـ) ، ٦٤٢-٦٤٣ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، لأصحاب الفضيلة العلماء - الإمام / ابن شرف النووى ، و شيخ الإسلام / ابن تيمية ، و الإمام / ابن القيم الجوزية ، و الشيخ عبد العزيز بن باز . و الشيخ / محمد العشيمين ، و الشيخ / صالح آل الشيخ ، و الشيخ / عبد العزيز الراجحي ، جمع و ترتيب : محمد سيد فرج ، ج٢ ، مرجع سابق ، ٦ .

لك ضجر ، و بفتح أبواب الرزق لك ، و إفاضة الخير عليك ، و جعل البركة فيما
قسم لك ، فلا تحمل هم معاشك ؛ لأن الله تعالى تكفل لك برزقك " ^(١) .

و إن لم يتفرغ العبد لعبادة الله فهذا تحديد من الله تعالى بأن يملاً يديه شغلاً أي " جعلتك مشغولاً بدنياك جميع أوقاتك ، و أتعبتك في طلب الدنيا ، و جعلتك تلهث خلفها ليلاً و نهارك بلا راحة و لا هناء " ^(٢) ، و لم يسد الله فقره " أي تستمر فقير القلب منهمكاً في طلب الدنيا ، و إن كنت غنياً من المال " ^(٣) .

موضع الشاهد :

- (... تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي ، أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِيَّ ...) .
- (... وَأَسْدُدْ فَقْرَكَ ، وَلَمْ أَسْدُدْ فَقْرَكَ ...) .
- (... أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِيَّ ، وَأَسْدُدْ فَقْرَكَ ...) .

التحليل البلاغي :

تكرر الطباق في الحديث السابق ثلاث مرات بأشكال مختلفة ، حيث نجد بين الفعلين : (تَفَرَّغْ ، أَمْلَأْ) ، وكذلك الفعلين : (أَسْدُدْ فَقْرَكَ ، ولَمْ وَأَسْدُدْ فَقْرَكَ) ، و بين الاسمين : (غِيَّ ، و فَقْرَكَ) ، " و ما من ريب في أن الجمع بين الأمور المضادة يكسو الكلام جمالاً و يزيده بهاءً و رونقاً . فالضد - كما قالوا - يظهر حسه الضد ، و لكن وظيفة الطباق لا تقف عند هذا الزخرف و تلك الزينة الشكلية بل

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ٧ .

(٢) : المرجع السابق ، ٧ .

(٣) : المرجع السابق ، ٨ .

تتعداها إلى غايات أسمى ، فلا بد أن يكون هناك معنى لطيف و مغزى دقيق وراء جمع الضدين في إطار واحد و إلا كان هذا الجمع عبّاً و ضرّاً من المذيان ... " (١) .

و حاشا أن يكون ﷺ قد جمع بينها عبّاً ، إلا أنه كان وراء انتقامه ﷺ لتلك الألفاظ و جمعه بين الأمور المتضادة سُرّ بلاغي وضحّ به المعنى و أظهره و أكّده و عمل على تقويته و إبرازه ، فعندما جمع بين الفراغ و الامتناء قرّب و قرّر المعنى في ذهن السامع ، فالإنسان المترفع لعبادة الله يملاً الله بجحده قلبه غنى و المقصود بالغنى ليس المال إنما القناعة و الرضا بما قسم الله له و يسد فقره .

و عند جمع الرسول ﷺ بين : (أَسْدُ فَقْرَكَ ، وَلَمْ أَسْدُ فَقْرَكَ) أتى بعباراتين متباhtتين إلا أنه سبق الثانية بحرف نفي و هذا يسمى طباق سلب (٢) ، فقد عمل ﷺ على تقريب المعنى في ذهن السامع و تقريره ، فالأولى يسد فقره بآلا يحتاج إلى أحدٍ ، و تشبع نفسه وتزهد بالدنيا ، و الثانية لم يسد فقره بمعنى لا يشبع من حطام الدنيا لانهماكه فيه بحيث يكون دائمًا محتاجًا فيها ، ظاهره الفقر و إن كان لديه مال كثير .

و لهذا فإن حقيقة الغنى إنما هي القناعة التي يقذفها الله تعالى في قلوب من شاء من عباده ، فيرضون معها بما قسم الله ، و لا يتطلعون إلى مطامع الدنيا أو يلهثون وراءها لـث الحريص عليها المستكثرون منها .

و يظهر مما سبق قيمة الطباق البلاغية حيث أسهمن في إيضاح المعاني و تقريرها إلى النفوس ، و ليس هو مجرد حلية لفظية و زينة شكلية .

(١) : علم البديع ، بسيوني عبد الفتاح فايد ، ط ٣ ، (القاهرة : مؤسسة المختار ، ١٤٣١ھ ، ١٣٩) .

(٢) : طباق السلب : هو الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت و منفي ، أو أمرٍ و نهي ، (الإيضاح ، ٣٣٥) .

الحديث الثاني :

حدثنا أبو جعفر السُّنْمَانِي حدثنا أبو مُسْهِرٍ حدثنا إسماعيل بن عَيَّاشٍ عن بحير بن سعد عن خالد بن مَعْدَانَ عن جُبَيْرٍ بن نُفَيْرٍ عن أبي الدَّرْدَاءَ أو أبي ذَرٍّ عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (عن اللَّهِ عز و جلَّ أَنَّهُ قَالَ : ابْنَ آدَمَ ارْكَعْ لِي مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ أَكْفِكَ آخِرَهُ) .

قال أبو عيسى هذا حديث [حسن] غريب ^(١) .

المضمون العام للحديث :

إنَّ التأمل في مثل هذه الأحاديث القدسية العظيمة تبعث في قلب المؤمن معاني إيمانية عظيمة ، فقد وضَّحَ بِكَلِيلِهِ في هذا الحديث القدسي فضل صلاة الضحى ، و ممَّا لا شك فيه أنَّ صلاة الضحى من الصلوات التي حَثَّ عليها رسول الله بِكَلِيلِهِ فهي صلاة الأوابين ، فعلها يسير و فضلها عظيم و ثوابها جزيل .

فقد قال الله تَعَالَى (ابنَ آدَمَ) للعوم و الشمول و لم يخص المؤمن فقط ، (ارْكَعْ لِي) بمعنى صلٌّ لي خالصاً لوجهي ، (مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ) أي منذ شروق الشمس ، (أَكْفِكَ آخِرَهُ) بمعنى يكفيه الله تَعَالَى شرور آخر النهار الحسية كالآفات أو

(١) : سنن الترمذى ، إعداد : الشيخ هشام سمير البخارى ، ج ٢ ، كتاب الوتر، باب ١٥ ، رقم الحديث : ٤٧٤ ، مرجع سابق ، ٣٤٠ .

الشّرور المعنوية كحفظه من شرور المعاصي ^(١) ، وتعني أيضًا : أفرغ بالك بعادي في أول النهار أفرغ بالك في آخره بقضاء حوائجك ^(٢) .

موضع الشاهد :

(... ارْكَعْ لِي مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ أَكْفِكَ آخِرَهُ) .

التحليل البلاغي :

تظهر لي ببلاغة الطلاق في الحديث القدسي السابق من ناحيتين : لفظية و معنوية ، فأماماً اللّفظية فتضمن من خلال جمع الرسول ﷺ للاسمين : (أَوَّلِ النَّهَارِ) ، (آخِرَهُ) ، فعندما جمع الرسول ﷺ بين الاسمين جعل ذهن المتلقى أكثر تركيزاً و شد انتباذه لفضل صلاة الضحى و مدى عظم أجراها ملأ أداتها خالصة لوجهه الكريم ، فكان أسلوبه ﷺ سلساً يكسوه الجزلة و الفخامة .

و من الناحية المعنوية فعند جمع الرسول ﷺ بين الضدين حقق إيضاح المعنى و تأكيده و تقويته ، ففضل صلاة الضحى عظيم ، أيًا كان عدد الركعات ، المحددة في هذا الحديث بأربع ركعات ، فصلاة الضحى سبب من أسباب كفاية العبد من كل شر ، و أدى فيحفظه الله تعالى من جهتين : من جهة دنياه : فيحفظ بدنه و ولده و عقله و ماله ، و يتمتع بصحته و عافيته و سمعه و بصره و يحفظ ذريته من بعده ، و من جهة أخرى يحفظ دينه و إيمانه ، و أيضًا تعد سببًا من أسباب قضاء الحوائج ، فحربي بالمؤمن المداومة عليها كي ينال هذا الثواب العظيم .

(١) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، د . ط ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت) ، ١٠٧ .

(٢) : انظر: معارف السنن شرح سنن الترمذى ، محمد يوسف بن السيد محمد الحسيني البورى ، ط ٣ ، ج ٤ ، (باكستان : د.ن ، ١٤١٣ هـ) ، ٢٧١ - ٢٧٢ . / و أيضًا : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ٢٧٢ .

فيتضح مما سبق أنَّ الطباق لم يأتِ مصنوعًا متَكَلِّفًا مجرد وشي بديعي و تلاعب لفظي بمنأى عن البلاغة ، بل له قيمة بلاغية لا تتناهى .

الحديث الثالث :

حَدَّثَنَا أَبُو الرَّبِيعِ الْعَتَكِيُّ وَقُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ كَلَاهُمَا عَنْ حَمَادِ بْنِ زَيْدٍ (وَاللَّفْظُ لِقُتَيْبَةِ) حَدَّثَنَا حَمَادٌ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ أَبِي أَسْمَاءَ عَنْ ثُوبَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ . فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا . وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلْعُجُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا . وَأُعْطِيَتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ . وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأَمْتَيِ أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَةٍ . وَأَنْ لَا يُسْلِطَ عَلَيْهِمْ عَدُواً مِنْ سَوَى أَنفُسِهِمْ . فَيَسْتَبِعُهُمْ بَيْضَتَهُمْ . وَإِنَّ رَبِّي قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ! إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ . وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ عَامَةٍ . وَأَنْ لَا أُسْلِطَ عَلَيْهِمْ عَدُواً مِنْ سَوَى أَنفُسِهِمْ . يَسْتَبِعُهُمْ بَيْضَتَهُمْ . وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ يَأْقُطَارُهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا) ^(١).

المضمون العام للحديث :

وضَّحَ الحديث القدسي تحريم القتال بين المسلمين ، و إهلاك بعضهم بعضاً ، و سبي بعضهم بعضاً ، و أنهم يجب أن يكونوا أمه واحدة حتى تبقى هيبيتهم بين الناس و تخشاهم الأمم ^(٢) .

فمعنى قوله ﷺ : " (إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَلْعُجُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا وَأُعْطِيَتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ) ، أما

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ٤ ، ج ٤ ، ١٨٨ ، كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، رقم الحديث : ٢٨٨٩ ، (لبنان : دار الكتب العلمية ٢٠١٠ م) ، ١١-١٢.

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ٢٦٣ .

رَوَى فِعْلَانَ جَمِيعَهُ ، وَهَذَا الْحَدِيثُ فِيهِ مَعْجَزَاتٍ ظَاهِرَةٌ ، وَقَدْ وَقَعَتْ كُلُّهَا بِحَمْدِ اللَّهِ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ الْعُلَمَاءُ : الْمَرَادُ بِالْكَنْزَيْنِ الْذَّهَبِ وَالْفَضَّةِ وَالْمَرَادُ كَنْزِيْ كَسْرِي وَقِيسِرِ مَلْكِيِّ الْعَرَاقِ وَالشَّامِ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَلِكَ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَكُونُ مُعَظَّمًا امْتَدَادَهُ فِي جَهَنَّمِ الْمَشْرُقِ وَالْمَغْرِبِ وَهَكُذا وَقَعَ وَأَمَّا فِي جَهَنَّمِ الْجَنْوَبِ وَالشَّمَالِ فَقَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَشْرُقِ وَالْمَغْرِبِ " (١) .

وَقُولُهُ : (وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَةٍ) وَالْمَعْنَى بِهِ لِكُلِّ الْأُمَّةِ ، (وَأَنْ لَا يُسْلِطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًا مِنْ سَوْى أَنفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بِيَضْطَهَدِهِمْ) أَيْ : لَا يُسْلِطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًا ، وَالْعَدُوُّ هُوَ الْمَعَادِيُّ الْمُبْغَضُ الْمَحَاقِدُ ، وَأَعْدَاءُ الْمُسْلِمِينَ هُنَّا : هُمُ الْكُفَّارُ ، وَلِهَذَا قَالَ : (مِنْ سَوْى أَنفُسِهِمْ) . وَمَعْنَى (يَسْتَبِيحُ) : يَسْتَحِلُّ ، وَالْبِيَضَةُ : مَا يَجْعَلُ عَلَى الرَّأْسِ مِنْ وَقَايَةٍ مِنَ السَّهَامِ . وَالْمَرَادُ يَظْهُرُ عَلَيْهِمْ وَيَغْلِبُهُمْ (٢) .

وَقُولُهُ : (إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ) ، مِنْ كَمَالِ سُلْطَانِ اللَّهِ وَقُدرَتِهِ وَرِبوبِيَّتِهِ مَا هُوَ ظَاهِرٌ ؛ مَا مِنْ مَلِكٍ سَوْيَ اللَّهِ إِلَّا يُمْكِنُ أَنْ يَرِدَ مَا قَضَى بِهِ (٣) .

وَقُولُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (... وَإِنِّي أَعْطَيْتُكُمْ لِأَمْنِيَّتَكُمْ أَنْ لَا أَهْلِكُهُمْ بِسَنَةٍ عَامَةٍ ...) ، " أَيْ لَا أَهْلِكُهُمْ بِقَحْطٍ يَعْمَلُونَ بِهِ إِنْ وَقَعَ قَحْطٌ فَيَكُونُ فِي نَاحِيَةٍ يَسِيرَةٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى بَاقِي بَلَادِ إِلْيَسْلَامِ فَلَلَّهُ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ عَلَى جَمِيعِ نَعْمَهِ " (٤) .

(١) : انظر : صحيح مسلم ، بشرح النووي ، ج ١٨ ، كتاب الفتنة وأشرطة الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، مرجع سابق ، ١١ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٣) : المرجع السابق ، ٢٦٠ - ٢٦١ .

(٤) : انظر : صحيح مسلم ، بشرح النووي ، ج ١٨ ، كتاب الفتنة وأشرطة الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، مرجع سابق ، ١٢ .

و قوله ﷺ : (وَأَنْ لَا أُسْلِطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًا مِنْ سَوَى أَنفُسِهِمْ . يَسْتَبِّحُ بَيْضَتَهُمْ . وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا) ، و هذه من نعم الله تعالى أن هذه الأمة لن تهلك بسنة بعامة أبداً ؛ فكل من يدين بدين الرسول ﷺ ، فإنه لن يهلك ، و إن هلك قوم في جهة سنة ؛ فإنه لا يهلك الآخرون فإذا صار بعضهم يقتل و يسي比 بعضهم بعضاً ؛ فإنه سلط عليهم عدو من سوى أنفسهم ^(١) .

موضع الشاهد :

(... فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ...) .

(... وَأُعْطِيْتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ ...) .

التحليل البلاغي :

جمع الرسول ﷺ بين الاسمين : (مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا) ، و قد أتى بهما على صيغة الجمع لكتلة الغارب و الطالع من الكواكب ، فهذا دليل من دلائل النبوة ، و لم يأت بالشمال و الجنوب ، و هنا يكمن السرُّ البلاغي من وجود الطلاق ؛ و ذلك لأن الفتوحات الإسلامية من المشرق إلى السندي و الهند و ما وراء ذلك ، و من المغرب إلى ما وراء المحيط .

ف عند جمع الرسول ﷺ للضدين : (مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا) أسمهم ذلك في إيضاح المعنى و تأكيده و تقويته ، فليس وجوده كحالية لفظية و وشي بديعي ، لاسيما و قد استخدم صيغة منتهي الجموع التي أكسبت العبارة حرساً موسيقياً رناناً إضافة إلى ما لها من معنى أنيق .

(١) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ٢٦٢ - ٢٦٣ .

و يعد قوله ﷺ : (... وَأُعْطِيْتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَ الْأَبْيَضَ ...) طباق تدبيج ^(١) ، حيث استخدم اللونين الأحمر والأبيض كنایة عن الذهب والفضة ، فالمراد بالكنزين : الأموال النفيسة ، و خصّ بذكر اللونين (الأحمر والأبيض) ليس عبثاً ، إنما هما الذهب والفضة كنوز كسرى و قيصر ، فالذهب عند قيصر و الفضة عند كسرى .

و قوله : (أُعْطِيْتُ) حيث ورد الفعل مبنياً للمجهول ، و العطاء كان بعد موته ﷺ فالمعطى لأمته ﷺ كالمعطى له ﷺ ؛ لأنّه امتداد ملك الأمة ، لا لأنّها أمّة عربية كما يقول الجهل ، بل لأنّها أمّة إسلامية أخذت بما كان عليه الرسول ﷺ ^(٢) ، فقد مات ﷺ قبل أن ينال شيئاً من كنوزها ، إنما فتح الله عزّ وجلّ لهذه الأمة و أعطاها و مكّنها في الأرض بعد وفاته ﷺ بفضل الفتوحات الإسلامية التي كان وراءها الخلفاء الراشدون و من بعدهم من المسلمين .

فهنا نلحظ جمال طباق التدبيج فعندما قال ﷺ : (وَأُعْطِيْتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَ الْأَبْيَضَ) تحقّق سرّ بلاغي و هو شد الانتباه و تشويق المتلقّي و إثارة الذهن ، لم يتحقق ذلك لو قال : ﷺ (و أعطيت الكنزين الذهب و الفضة) .

(١) : طباق التدبيج : هو أن يذكر في معنى من المدح أو غيره ألوان بقصد الكنایة أو التورّة ، (الإيضاح ، مرجع سابق ٣٣٧) .

(٢) : انظر : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ٢٥٩ - ٢٦٠ .

الحديث الرابع :

حَدَّثَنَا الْحُمَيْدِيُّ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ حَدَّثَنَا الزُّهْرِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسْبُ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ يَبْدِي الْأَمْرَ أُقْلِبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ) ^(١) .

المضمون العام للحديث :

بدأ الحديث القدسي السابق بقوله بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عن الله عز وجل : (يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ) " بمعنى يعاملني معاملة توجب الأذى " ^(٢) ، و ذكر (ابن آدم) فُصِّدَ به العموم و الشمول للذكور والإناث ، (يَسْبُ الدَّهْرَ) : " الجملة تعيل للأذية أو تفسير لها ، أي بكونه يسبُ الدهر ، أي يشتمه و يقبحه و يلومه ، و ربما يلعنه و العياذ بالله يؤذِي الله ، و الدهر : الزمن و الوقت " ^(٣) .

" و سبُ الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

الأول : أن يقصد الخبر المخض دون اللوم ، فهذا جائز .

الثاني : أن يسب الدهر على أنه هو الفاعل ، كأن يعتقد بسببه الدهر أن الدهر هو الذي يقلب الأمور إلى الخير والشر ، فهذا شرك أكبر .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرمانى ، ط ٢ ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، سورة الجاثية ، باب و ما يهلكنا إلا الدهر ، رقم الحديث : ٤٥٠٨ ، مرجع سابق ، ٨٨-٨٩.

(٢) : المرجع سابق ، ٨٩.

(٣) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ١٣٣ .

الثالث : أن يسب الدهر لا لاعتقاد أنه هو الفاعل ، بل يعتقد أن الله هو الفاعل لكن يسبه لأنه محل لهذا المكرور عنده ، فهذا محرّم ، ولا يصل إلى درجة الشرك " ^(١) .

و معنى قوله (وَ أَنَا الدَّهْرُ) : " معناه أنا صاحب الدهر ومدير الأمور التي ينسبونها إلى الدهر فإذا سبَّ ابن آدم الدهر من أجل أنه فاعل هذه الأمور عاد سبُّه إلى لأنني فاعلها ، وإنما الدهر زمان جعلته ظرفًا لواقع الأمور ، وكان من عادتهم إذا أصابهم مكروره أضافوه إلى الدهر (و قالوا ما يهلكنا إلا الدهر) و سبوه و قالوا بؤسًا للدهر و تبَّا له إذ كانوا لا يعرفون للدهر خالقًا و يرونـه أزلًّا أبديًّا و لذا سمو بالدهرية فأعلم سبحانه و تعالى أن الدهر محدث يقلبه بين ليل و نهار لا فعل له من خير و شر لكنه ظرف للحوادث التي يحدثها الله و ينشئها " ^(٢) .

و قوله (بِيَدِي الْأَمْرُ أُقْلِبُ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ) : " تقليل الشيء تغييره و تحويله من حال إلى حال ؛ أي أحول الظلام ضياء ، و الضياء ظلامًا ... و تقليل الأمور تدبيرها و النظر فيها و من تدبيره سبحانه في خلقه خلق الليل و النهار ، و ضبط حركتها بنظام متقن بديع ، و تصريفهما بما يقوم به حياة الخلق و يصلاح على هدية معاشـهم ... " ^(٣) .

موضع الشاهد :

(... أُقْلِبُ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ) .

(١) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ١٣٣ .

(٢) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ط ٢ ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، سورة الجاثية ، باب و ما يهلكنا إلا الدهر ، مرجع سابق ، ٨٩ .

(٣) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ١٣٦ .

التحليل البلاغي :

جمع الرسول ﷺ في الحديث السابق بين الاسمين : (**اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**) ، وكان بينهما طباق إيجاب ، و السُّرُّ وراء وجود الطباق هنا ليس زخرفاً شكلياً و زينة لفظية بل إن المعنى هو الذي قاده و استدعاه و طلبه .

فعندما جمع الرسول ﷺ بين هذين اللفظين اتضح - للباحثة - عدة أمور منها :

- دفع الشبهة أن يكون الدهر هو الله ، أو اسم من أسمائه يدعى به ، ملء فهم اللفظ على ظاهره ، فالله عَزَّ ذِلْكَ صاحب الدهر المدبر لشؤونه المتصرف و المتحكم به .
- بيان أن الليل و النهار هما جزء من أجزاء الكون الذي خلقه الله سبحانه بنظام بديع دقيق ، يقلبها الله بمحض إرادته و درايته ، فالليل و النهار يُقلبان من طول إلى قصر إلى تساوي ، و الحوادث أيضاً تتقلب فيه في الساعة و اليوم و الأسبوع و الشهر و السنة ... ، مما يجري فيهما من خير أو شر بإرادة الله و تدبيره و بعلم منه تعالى و حكمه ، لا يشاركه في ذلك غيره ما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن ، فالواجب عند ذلك حمده في الحالتين ، و حسن الظن به سبحانه .

فيظهر لي أن الطباق أدى إلى وضوح المعنى و إبرازه ، فلولا وجود الطباق بين : (**اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**) لما اتضحت كثير من المعاني ، فالطباق أسمى في تلاميذ المعاني و ترابطها و كشفها و إظهارها .

الحديث الخامس :

حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ ، حَدَّثَنَا يُونُسُ عَنِ الْحَسَنِ ، عَنْ أَنَسِ
ابْنِ حَكِيمِ الضَّبَّيِّ قَالَ : إِنَّهُ خَافَ مَنْ زَيَادٍ أَوْ ابْنِ زَيَادٍ ، فَأَتَى الْمَدِينَةَ ، فَلَقِيَ أَبَا
هُرَيْرَةَ فَنَسَبَنِي [فَأَنْتَسْبُ لَهُ] ، فَقَالَ : يَا فَتَى أَلَا أَحْدِثُكَ حَدِيثًا ؟ قَالَ : قُلْتُ بَلَى
رَحْمَكَ اللَّهُ ، قَالَ يُونُسُ : وَأَحْسَبَهُ ذَكْرَهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ ، قَالَ : (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسِبُ
النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ : الصَّلَاةُ) ، قَالَ يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزَّ لِمَلَائِكَتِهِ
وَهُوَ أَعْلَمُ : انْظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا ، فَإِنْ كَانَتْ تَامَّةً كُتِبَتْ لَهُ
تَامَّةً ، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطْوِعٍ ؟ فَإِنْ كَانَ
لَهُ تَطْوِعٌ قَالَ : أَتَمُوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ مِنْ تَطْوِعِهِ ، ثُمَّ ثُوْخَدُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَاقُمْ)^(١).

المضمون العام للحديث :

بينَ الحديث القدسي السابق أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيمة و عظم قدر
الصلوة .

فقد بدأ ﷺ الحديث بقوله : (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسِبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ
أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ) فقد جاء بإِنَّ المشدد لتأكيد الخبر الذي جاء به ، كيف لا ؟ و تلك
الصلوة هي الركن الثاني من أركان الإسلام بعد الشهادة ، وهي عماد الدين من أقامها
فقد أقام الدين، ومن تركها فقد هدم الدين، و الصلاة ليست مجرد حركات و سمات
بل هي صلة و قرني من العبد لله، و يلحظ استخدام الرسول ﷺ للفظة (الناس) و لم

(١) : سنن أبي داود ، إعداد و تعليق : عزت عبيد العباس و عادل السيد ، ط ١ ، ج ١ ، كتاب
الصلوة ، باب قول النبي ﷺ : (كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه) ، رقم الحديث : ٨٦٤ ،
(بيروت : دار ابن حزم ، ١٤١٨ھ) ، ٣٧٨-٣٧٩ .

يقل إن أول ما يحاسب به المؤمنين أو المسلمين بل قال الناس للعموم والشمول ، فالصلة فرض على كل إنسان .

ثم دار الحوار بين الله عَجَلَ و ملائكة : (يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَزًّا لِمَلَائِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ : انْظُرُوا فِي صَلَاتِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا ...) ، فالله عَجَلَ يسأل ملائكته - و هو أعلم بعباده من هؤلاء الملائكة - : انظروا في صلاة عبدي (أتمها أم نقصها) هل كانت صلاة عبدي تامة أم ناقصة ؟ فإن أخلص العبد النية لله وأدى الصلاة تامة الأركان و الواجبات بطهارة و استقبال القبلة و ستر العورة و خشوع و خضوع و طمأنينة و استحضار للذهن و القلب ... كتبت تامة ، و إن انتقص الإنسان بأداء هذا الفرض من حيث الأركان و الواجبات ، ينظر هل للعبد من تطوع ؟ هل له نوافل ؟ فإن وُجدَ شيء من ذلك تكمل و تتم بها الفرائض ، ثم ذكر (تُؤَخَّذُ الْأَعْمَالُ عَلَى ذَأْكُمْ) بمعنى الزكاة و الصوم ^(١) .

موقع الشاهد :

- (... أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا ...) .
- (وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا قَالَ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطْوِعٍ ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطْوِعٌ قَالَ : أَتَمُوا لِعَبْدِي فَرِيضَتُهُ مِنْ تَطْوِعِهِ ...) .

التحليل البلاغي :

جمع الرسول ﷺ بين الفعلين : (أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا) و (انتَقَصَ ... أَتَمُوا) و هو طباق إيجاب ، وقد حيء بهما بالزمن الماضي للدلالة على الثبات والاستقرار ، بخلاف الأخير جاء به بصيغة الأمر ؛ فهو أمر من الله عَجَلَ ملائكة ،

(١) : انظر : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ٢٧٣ - ٢٩٢ .

و السُّرُّ البلاغي من الطباق يكمن في توضيح الرسول ﷺ عظم قدر الصلاة المفروضة و فضل صلاة التطوع .

فأراد الرسول ﷺ أن يبين عن طريق الطباق أنَّ الإنسان المؤدي للصلاحة المفروضة تأدبة تامة شاملة للأركان و الواجبات و الخشوع و الخضوع ، تأدبة تامة كصلاته ﷺ ، كتبت تامة ، و إن انتقص منها شيء فهناك ما يسمى بصلحة التطوع حيث تخبر النقص الذي بدا بالصلاحة المفروضة ، فهذا " من فضل الله عَجَلَ و رحمته و نعمته و إحسانه أن شرع لنا النوافل خلف الصلوات و قبلها و في كل وقت إلا الأوقات المنهي عنها ، و ذلك لأنَّ الإنسان لابد أن يكون في صلاته خلل فيكمel بهذه النوافل " ^(١) .

و هنا نجد أن الطباق ليس زينة شكلية و زخرفاً لفظياً فقط ، بل أتى لأن المعنى طلبه و استدعاه و ساق نحوه ، فالطباق بما يحمله من رموز و إشارات و دلالات أثرت المعنى و قربته لذهن المتلقى .

" قالوا : و مجرد الجمع بين المتصادين في الكلام أمر ميسور ، فينبغي أن يرشح الطباق بلون آخر من ألوان البديع يشاركه البهجة و الرونق ، و يزيد من حسن الكلام و فخامة المعنى " ^(٢) .

و قد ورد في شرح عقود الجمان : "...أن المطابقة مجردة ليس تحتها كبير أمر ، فإن قصارى ذلك أن يطابق الصد بالضد ، و هو شيء سهل ، اللهم إلا أن يتزاح بنوع من أنواع البديع يشاركه في البهجة و الرونق ..." ^(٣) .

(١) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ٢٧٨ .

(٢) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو سفيت ، مرجع سابق ، ٤٨ .

(٣) : شرح عقود الجمان في علم المعاني و البيان ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، د . ط ،

(بيروت : دار الفكر ، د . ت) ، ١٠٦ .

و عرَّف الدكتور بسيوني فيود ترشيح الطباق بأن " يوجد بجانب التضاد بين المعينين صورة أخرى من صور البدع أو لون من ألوان البلاغة ، فيتقوى الطباق بذلك ، و يكتسي الكلام طلاوة و بهاء ، و يزداد المعنى وضوحاً و بياناً ... " ^(١) .

اقترن الطباق سابق الذكر (... أَتَمَّهَا أُمْ نَقْصَهَا ...) ، بصورة بدعية و هو تجاهل العارف ^(٢) اكتسى به الكلام جمالاً و بهاء و ازداد المعنى بهجة و رونقا ، فيلاحظ هنا

(١) : علم البدع " دراسة تاريخية و فنية لأصول البلاغة و مسائل البدع " ، بسيوني عبد الفتاح فيود ، ط ٣ ، (القاهرة : مؤسسة المختار ، ١٤٣١ھ) ، ١٥٢ .

(٢) : تجاهل العارف : عند ابن أبي الأصبع المصري : " باب تجاهل العارف و قد سماه من بعد ابن المعتز الإعنات ، و هو سؤال المتكلّم عما يعلمه حقيقة تجاهلاً منه به ، ليخرج كلامه منخرج المدح أو الدّم ، أو ليدلّ على شدة التّللّ في الحب ، أو لقصد التعجب أو التقرير ، أو التوييخ ، ... " ، (تحرير التحبير ، مرجع سابق ، ١٣٥) ، و ذكر السكاكي أن معناه : " سوق المعلوم مساق غيره ، و لا أحد تسميه بالتجاهل ... " ، (مفتاح العلوم ، مرجع سابق ، ٢٠٢) ، و الخطيب القزويني لم يذكر لتجاهل العارف تعريف إنما ذكر تعريف السكاكي السابق حيث ذكر " و منه - تجاهل العارف و هو كما سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره لنكتة " ، (الإيضاح في علوم البلاغة ، مرجع سابق ، ٣٧١) ، و شرح سعد الدين التفتازاني قول الخطيب السابق : " (و منه) أي و من البدع المعنوي - : (تجاهل العارف ، و هو كما سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره لنكتة) ، و قال لا أحد تسميه بالتجاهل لوروده في كلام الله تعالى ... " ، (شروح التلخيص ، مرجع سابق ، ٤٠٣) ، و ذكر صاحب مواهب الفتح : " (و منه) أي و من البدع المعنوي : (تجاهل العارف) أي النوع المسمى بذلك ، (و هو) أي و هذا النوع يسمى باسمين أحدهما هو ما تقدم و الآخر (كما سماه) أي على ما سماه (السكاكي) هو (سوق المعلوم مساق) أي سوقاً كسوق (غيره) بـأن يعبر عنه بما يدل في الأصل على أنه غير معلوم ، (لنكتة) أي لفائدة ، فإن عبر عن المعلوم بعبارة المجهول لا لنكتة كأن يقال : أزيد قائم أم لا ؟ حيث يعلم أنه قائم لم يكن من هذا الباب في شيء ، و العبارة الثانية أفضل لوجهين ، أحدهما : ما أشار إليه السكاكي من أنه يقع في قول الله تعالى كما في قوله سبحانه : (و ما تلك بيمنيك يا موسى) قال فلا أحد يقال في الكلام المنسوب إلى الله تعالى تجاهل العارف ، يعني بخلاف غير هذه العبارة فإنها أقرب إلى الأدب و لفظ الغير فيها و إن كان عبارة عن المجهول لكن دلالته أستر لعمومه و الآخر أنه أكمل في الدلالة على المقصود ، و ظاهر عبارة المصنف أن هذا الثاني تعريف للأول إلا أن السكاكي اختار تسمية المعنى به و هو قريب مما ذكرنا ، ثم أشار إلى أمثلة النكتة المشروطة في هذا النوع ... " ، (شروح التلخيص ، مرجع سابق ، ٤٠٣) ، و علق بهاء الدين السبكي على قول الخطيب حيث أشار : " و منه تجاهل العارف و سماه السكاكي سوق المعلوم مساق غيره و سماه ابن المعتز الإعنات لنكتة ، أي لا يفعل ذلك إلا لاعتبار مقصود " ، (شروح التلخيص ، مرجع سابق ، ٤٠٣) ، و أشار الدسوقي إلى أنه : " كان

طلب إقرار المحاطب و هم الملائكة بما يريد المتكلم ، فـ^{عَجَلَ} أعلم بما ستقول له ملائكته ، و لكنه أراد أن يستنطق ذلك منهم ؟ و ذلك أدعى إلى ترسیخ فضل صلاة التطوع في العقول و القلوب .

الظاهر أن يقول و هو ما سماه السكاكي الخ ، إلا أنه اعتبر المغایرة من حيث أنه يسمى بتجاهل العارف ، و من حيث أنه يسمى بالسوق فزاد كاف التشبيه أو الكاف بمعنى على أي و هو سوق المعلوم الخ بناء على ما سماه السكاكي به (قوله مساق غيره) مصدر ميمي بمعنى السوق ، أي سوق المعلوم سوقاً كسوق غيره بأن يعبر عنه مما يدل في الأصل على أنه غير معلوم ، (قوله لكتة) متعلق بتجاهل و كان حقه أن يقدمه على قوله و هو كما سماه الخ إلا أنه أخره ليكون بيان النكبات متصلاً به ، فلو عبر عن المعلوم بعبارة المجهول لا لكتة لأن يقال أزيد قائم أم لا حيث يعلم أنه قائم لم يكن من هذا الباب في شيء ، (قوله : لا أحب تسميته) أي سوق المعلوم الخ (قوله لوروده في كلام الله) أي كما في قوله تعالى (و ما تلك بيمنيك يا موسى) أي و تسمية الكلام المنسوب لله بتجاهل العارف فيه إساءة أدب بخلاف تسميته بسوق معلوم مساق غيره فإنه أقرب إلى الأدب من الأولى و إن كان الغير فيها عبارة عن المجهول لكن دلالته أستر لعمومه ... " ، (شروح التلخيص ، مرجع سابق ، ٤٠٣) .

الحديث السادس :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُيْنَرِ وَعُقْيَرُ بْنُ حَرْبٍ (وَاللَّفْظُ لِابْنِ نُعْيَرِ) قَالَ حَدَّثَنَا سُفيَّانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرُو بْنِ دِينَارٍ عَنْ أَبِي الطُّفْيَلِ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقْرُ فِي الرَّحِيمِ بِأَرْبَعينَ أَوْ خَمْسَةِ وَأَرْبَعينَ لَيْلَةً . فَيَقُولُ : يَا رَبِّ أَشَقِّي أَوْ سَعِيدُ؟ فَيُكَتَّبَ . فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ؟ أَدْكَرْ أَوْ أَنْشَى؟ فَيُكَتَّبَ . وَيُكَتَّبَ عَمَلُهُ وَأَثْرُهُ وَأَجْلُهُ وَرِزْقُهُ . ثُمَّ تُطْوَى الصُّحْفُ فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ) ^(١) .

المضمون العام للحديث :

وضَعَّ الحديث القدسي السابق أنَّ قدر ابن آدم مكتوب قبل أن يُخلق ، فآدم من تراب من طين من صلصال من حمأ مسنون ، و ذريته من نطفة من ماء مهين ، حفظت في قرار مكين ، أربعين يوماً تتحول فيها إلى دم متجمد ، يلتتصق بجدار الرحم ، وقد ذكر ﷺ أنَّ الملك الموكِل بالرحم يدخل على النطفة بعد أن تستقر في الرحم بأربعين أو خمسة وأربعين ليلة ، فيقول الملك سائلاً الله تعالى : (أَشَقِّي أَوْ سَعِيدُ) فيذكر الله أحد الحالين ، ثم يكتب هذين الملائكة ما يذكره الله تعالى ، ثم يسألان الله تعالى : (أَدْكَرْ أَوْ أَنْشَى) ثم يذكر كذلك الله أحد الحالين .

ثم بين ﷺ (وَيُكَتَّبَ عَمَلُهُ وَأَثْرُهُ وَأَجْلُهُ وَرِزْقُهُ) وقد أتى بالفعل المضارع المبني للمجهول ، فهو لاءُ الملائكة تكتب عمله سواءً أكان خيراً أم شراً ، و تكتب كذلك أثره سواءً كان حسناً أو سيئاً ، و تكتب أيضاً متى يأتي أجله و تنقضي أيامه

(١): صحيح مسلم ، شرح النووي ، ط ٤ ، ج ١٨ ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه و أجله و عمله و شقاوته و سعادته ، رقم الحديث : ٢٦٤٤ ، مرجع سابق ، ١٥٨ .

المحدودة له في الدنيا ، و تكتب كذلك رزقه سواء أكان كثيراً أم قليلاً ، ثم تطوى صحف المقادير فلا يزاد فيها ولا ينقص منها شيء حدده الله لابن آدم^(١) .

" هذه المعلومات و هذه الكتابة مبنية على سبق علم الله تعالى بما سيكون ، فعلمه تعالى بما سيكون كعلمه تعالى بما كان ، فقد أحاط بكل شيء علماً ، و ما يعلمه سبحانه و تعالى مما سيكون لا يختلف أبداً ، و إلا كان علمه جهلاً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً "^(٢) .

موضع الشاهد :

(... فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَشَقِّيْ أَوْ سَعِيدْ فَيُكْتَبَانِ ...) .

(... فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ أَذْكَرْ أَوْ أَنْشَى فَيُكْتَبَانِ ...) .

(... ثُمَّ تُطْوَى الصُّحْفُ فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَ لَا يُنَقَصُ) .

التحليل البلاغي:

جمع الرسول ﷺ بين الاسمين : (أشقي و سعيد) ، وكذلك بين الاسمين : (ذكر و أنسى) ، و بين الفعلين : (لا يزاد فيها و لا ينقص) و جميعهم طباق إيجاب .

و الطباق ليس حلية لفظية أو زينة شكلية كما قال البعض عن فنون البديع ، بل وظفه الرسول ﷺ أجمل توظيف ، ظهر في غاية البلاغة والإعجاز ، و تكمن ببلاغة

(١) انظر : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ١٨ ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله و عمله و شقاوته و سعادته ، رقم الحديث : ٢٦٤٤ ، مرجع سابق ، ١٥٦ - ١٥٨ / . و أيضاً انظر : فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، موسى شاهين لاشين ، ط ١ ، ج ١٠ ، (القاهرة : دار الشروق ، ١٤٢٣ هـ) ، ١٥٩ - ١٦٧ .

(٢) فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، موسى شاهين لاشين ، ج ١٠ ، مرجع سابق ، ١٥٩ .

الطبق في هذا الحديث القدسي حيث فيه تصريح بإثبات القدر ، و هو الركن السادس من أركان الإيمان ، و كشف بأنَّ مقدادير الخلائق تكتب و هم في بطون أمها هم و كذلك فيه التنبية على صدق البعث بعد الموت ؛ لأنَّ من قدر على خلق الشخص من ماء مهين ، ثم تدرج في الخلق و نفخ الروح فيه قادر على نفخ الروح مرة أخرى بعد أن يصير تراباً و يجتمع أجزاءه بعد تفرقها .

و أبرز الطلاق أيضاً الحث القوي على القناعة و الزجر الشديد عن الحرص ؛ لأنَّ الرزق إذا كان قد سبق تقديره ، لم يغُنِ التعني في طلبه و إنما شرع الاكتساب ؛ لأنَّه من جملة الأسباب التي اقتضتها الحكمة في دار الدنيا ، فعدم العلم بما كُتِبَ يحتم على المسلم السعي بكل ما يستطيع إلى زيادة رزقه ، و بناء حياته ، و الحرص على كل ما ينفعه ، و القناعة و الرضا إنما تكون بعد بذل الجهد الكامل ، و الطلب المستطاع^(١) .

و قد أُشْرِكَ مع اللون البديعي (الطباق) لون آخر هو التقسيم^(٢) زاد من بحثته و رونقه و أعطى فخامة و جزالة للمعنى ، و يظهر هذا الترشيح في مواضع الطلاق الثلاثة آنفة الذكر ففي الأول : (أَشَقِّيْ أَوْ سَعِيدُ) فالإنسان له إحدى الحالتين إما الشقاء أو السعادة فليس هناك حالة ثالثة ، و الموضع الثاني : (أَذَكَرْ أَوْ أَنْشَى) فابن آدم إما أنه ذكر أو أنشى فلا جنس ثالث ، و الموضع الثالث : (ثُمَّ تُطْوِي الصُّحْفُ فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَ لَا يُنْقَصُ) فالوضع إما زيادة أو نقصان فلا وضع ثالث أبداً .

(١) : فتح المعم شرح صحيح مسلم ، موسى شاهين لاشين ، ج ١٠ ، مرجع سابق ، ١٦٧ .

(٢) : التقسيم : يطلق التقسيم على أمررين أحدهما النوع السابق هو استيفاء أقسام الشيء بالذكر ، (الإيضاح ، ٣٥٦) ، وقد أفرد له مبحث قادم بإذن الله .

ال الحديث السابع :

حَدَّثَنَا مُعاذُ بْنُ أَسَدٍ أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنْسٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ عَنْ عَطَاءَ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، يَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيْتُمْ ، فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، فَيَقُولُ : أَنَا أَعْطِيْكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالُوا : يَا رَبَّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ، فَيَقُولُ : أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) ^(١) .

المضمون العام للحديث :

أثبت الحديث القدسي السابق خطاب الله تعالى لأهل الجنة ، حيث بدأ الحديث (إبانَ) للتاكيد في إثبات الكلام الله تعالى مع أهل الجنة ، فقد قال الله تعالى : (يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ) و يردون عليه : (لَبَّيْكَ ^(٢) رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ^(٣)) ، فيسألهم الله تعالى (هل رضيْتُمْ؟) و هذا الخطاب عند دخول أهل الجنة الجنة ، فيقولون : (وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ) بمعنى أعطينا الجنة التي حرم منها الكثير ، ثم قال الله تعالى : (أَنَا أَعْطِيْكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، قَالُوا يَا رَبَّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ) ، فيتساءل هؤلاء العباد : أي شيء أفضل من الجنة

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ٢٣ ، كتاب الرفق ، باب صفة الجنة والنار ، رقم الحديث: ٦١٦٢ ، مرجع سابق ، ٤٨-٤٩ .

(٢) : معنى لَبَّيْكَ : حكى أبو عبيد عن الخليل أن أصل التلبية الإقامة بالمكان يقال (أَلَّبَّ) بالمكان و (لَبَّ) به إذا أقام به . (مختار الصحاح ، الرازي ، مرجع سابق ، ٢٤٦ - ٢٤٧) .

(٣) : معنى سَعْدَيْكَ : السعد اليمن و سعديك إسعاداً لك بعد إسعاد . (مختار الصحاح ، الرازي ، مرجع سابق ، ١٢٦) .

و نعيمها ، فأتى رد الله عَجَلَ سريعاً و هو (فَيَقُولُ أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رَضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) و معنى كلمة (أَحِلُّ) : أُنْزِلَ ، و " قوله (رَضْوَانِي) : بكسر أوله و ضمه ، و في حديث جابر قال " رضوانِي أَكْبَرٌ " وفيه تلميح بقوله - تعالى - (و رضوان من الله أَكْبَرٌ) لأن رضاه سبب كل فوز و سعادة وكل من علم أن سيده راض عنه كان أقرب لعينه وأطيب لقلبه من كل نعيم لما في ذلك من التعظيم والتكريم و في هذا الحديث أن النعيم الذي حصل لأهل الجنة لا مزيد عليه " ^(١) .

و ورد في هذا الحديث شُبُّهه مفادها قول ابن بطال : " استشكل بعضهم هذا ؟ لأنه يوهم أن له أن يسخط على أهل الجنة و هو خلاف ظواهر القرآن ، كقوله ﴿خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهَتَّدُونَ ﴾ و أحباب بأن إخراج العباد من العدم إلى الوجود من تفضله و إحسانه ، و كذلك تنحیز ما وعدهم به من الجنة و النعيم من تفضله و إحسانه ، و أما دوام ذلك فزيادة من فضله على المجازة لو كانت لازمة ، و معاذ الله أن يجب عليه شيء ، فلما كانت المجازة لا تزيد في العادة على المدة و مدة الدنيا متناهية جاز أن تنتهي مدة المجازة فتفضل عليهم بالدوام فارتفاع الإشكال جملة انتهی ملخصا ، و قال غيره : ظاهر الحديث أن الرضا أفضل من اللقاء و هو مشكل وأجيب بأنه ليس في الخبر أن الرضا أفضل من كل شيء وإنما فيه أن الرضا أفضل من العطاء ، و على تقدير التسلیم فاللقاء مستلزم للرضا فهو من إطلاق اللازم و إرادة الملزم ، كذا نقل الكرماني ، و يحتمل أن يقال : المراد حصول أنواع الرضوان و من جملتها اللقاء فلا إشكال ، قال

(١) : انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، أخرجه الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، أكمل التعليقات : علي بن عبد العزيز الشبك ، رقم كتبها و أبوابها و أحاديثها : محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ١ ، ج ١١ ، كتاب الرفاق ، باب صفة الجنة و النار ، (الرياض : دار السلام ، ١٤٢١ هـ) ،

الشيخ أبو محمد بن أبي حمزة : في هذا الحديث جواز إضافة المنزل لساكنه ، و إن لم يكن في الأصل له فإن الجنة ملك الله عز وجل ، و قد أضافها لساكنها بقوله يا أهل الجنة ، قال : و الحكمة في ذكر دوام رضاه بعد الاستقرار أنه لو أخبر به قبل الاستقرار لكان خيرا من باب اليقين ، فأخبر به بعد الاستقرار ليكون من باب اليقين ، و إليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرْبَةٍ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة] : ١٧] قال : و يستفاد من هذا أنه لا ينبغي أن يخاطب أحد بشيء حتى يكون عنده ما يستدل به عليه و لو على بعضه ، و كذا ينبغي للمرء أن لا يأخذ من الأمور إلا قدر ما يحمله ، و فيه الأدب في السؤال لقولهم : و أي شيء أفضل من ذلك ؟ لأنهم لم يعلموا شيئاً أفضل مما هم فيه فاستفهموا عملاً لا علم لهم به ، و فيه أن الخير كله و الفضل و الاعتباط إنما هو في رضا الله سبحانه و تعالى ، و كل شيء ما عداه و إن اختلفت أنواعه فهو من أثره ، و فيه دليل على رضا كل من أهل الجنة بحاله مع اختلاف منازلهم و تنوع درجاتهم ؛ لأن الكل أجابوا بلفظ واحد و هو " أعطينا ما لم تعط أحداً من خلقك " و بالله التوفيق " ^(١) .

موضع الشاهد :

(... فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى ...) .

(.... وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ...) .

(... أَحِلَّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) .

(١) : للاستزاده انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، أخرجه الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، أكمل التعليقات : علي بن عبد العزيز الشبك ، رقم كتابها و أبوابها و أحاديثها : محمد فؤاد عبد الباقى ، ج ١٣ ، كتاب التوحيد ، باب كلام الرب مع أهل الجنة ، مرجع سابق ، ٦٠٥ – ٦٠٦ .

التحليل البلاغي :

جمع بِهِ بين الفعلين : (رَضِيْتُمْ ، لَا نَرْضَى) وَ كَانَ بَيْنَهُمَا طباق سلب ، وَ كَذَلِكَ جمع بين الفعلين : (أَعْطَيْتَنَا ، لَمْ تُعْطِ) وَ كَانَ بَيْنَهُمَا طباق سلب أيضاً ، وَ جمع بين مختلفين اسم و فعل : (رَضَوْانِي ، أَسْخَطُ) وَ بَيْنَهُمَا طباق إيجاب .

وَ يَكُونُ السُّرُّ الْبَلَاغِيُّ مِنْ وَجْهِ الطباق حِيثُ أَثَبْتَ هَذَا اللُّونَ الْبَدِيعِيَّ أَوْلًا صَفَةَ الْكَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَ مِنْ ثُمَّ أَثَبْتَ كَلَامَ اللَّهِ وَ خُطَابَهُ مَعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَ بَيْنَ الطباقِ كَذَلِكَ أَنَّ هَنَا نَعِيْمًا أَكْبَرُ وَ أَفْضَلُ مِنْ نَعِيْمِ الْجَنَّةِ اتَّضَحَ فِي قَوْلِهِ : (فَيَقُولُ هَلْ رَضِيْتُمْ فَيَقُولُونَ وَ مَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّ وَ قَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ) ، وَ هَذَا النَّعِيْمُ هُوَ رَضَا اللَّهِ بِعِجَلٍ الدَّائِمُ ، فَهَذَا الرَّضَا هُوَ الْفَلَاحُ الْعَظِيمُ وَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ، فَكُلُّ نَعِيْمِ الْجَنَّةِ مِنْ قَصُورٍ وَ حُورٍ وَ أَنْهَارٍ وَ ثَمَارٍ وَ أَشْجَارٍ ... إلَخْ يَعْدُ نَعِيْمًا جَسْمَانِيًّا وَ إِلَيْنَا مُخْلُوقٌ لَهُ جَسَدٌ وَ رُوْحٌ ، فَعِنْدَمَا حَصَلَ عَلَى الْجَنَّةِ فَازَ بِالسَّعَادَةِ الْجَسْمَانِيَّةِ ، وَ عِنْدَمَا حَلَّ عَلَيْهِ رَضَا الرَّبِّ فَازَ بِالسَّعَادَةِ الرُّوحِيَّةِ ، فَهُنَا اجْتَمَعَتِ السَّعَادَتَانِ ، وَ لَا تَجْتَمِعُ هَاتَانِ السَّعَادَتَانِ إِلَّا بِالْفَوْزِ بِالْجَنَّةِ وَ الْفَوْزِ بِرَضَا اللَّهِ ، وَ هُنَا تَبَيَّنَ عَنْ طَرِيقِ الطباقِ أَنَّ السَّعَادَاتِ الرُّوحِيَّةِ أَفْضَلُ مِنَ السَّعَادَاتِ الْجَسْمَانِيَّةِ .

وَ مَا لَا شَكَ فِيهِ هُنَا أَنَّ الطباقَ لَيْسَ زِينَةً شَكْلِيَّةً وَ زَخْرِفَةً لِفَظِيًّا كَمَا قَالَ الْبَعْضُ عَنْ فَنَّوْنَ الْبَدِيعِ بِمَا فِيهَا الطباقُ ، بَلْ بَنْدَى أَنَّ الطباقَ هُنَا لَهُ وزَنٌ وَ قِيمَةٌ فِي الْكَلَامِ وَ لَهُ تَأْثِيرٌ جَلِيلٌ فِي الْأَسْلُوبِ ، وَ أَدَّى أَغْرِاضًا لَا تَوَجُّدُ بِدُونِهَا ، فَيُعَتَّبُ الطباقُ مِنْ جُوهرِ الْبَلَاغَةِ وَ لِبَّهَا وَ صُورَهَا الأَصْيَلَةِ .

ثانياً : المقابلة

التعريف باللون البديعي :

عَرَفَهَا ابْنُ أَبِي الْأَصْبَحِ الْمَصْرِيَّ بِأَنَّهَا: "عِبَارَةٌ عَنْ تَوْحِيدِ الْمُتَكَلِّمِ تَرْتِيبُ الْكَلَامِ عَلَى مَا يَنْبَغِي، فَإِذَا أَتَى بِأَشْيَاءَ فِي صَدْرِ كَلَامِهِ أَتَى بِأَضْدَادِهَا فِي عِجْزِهِ عَلَى التَّرْتِيبِ، بِحِيثِ يَقَابِلُ الْأُولَى بِالْأَوَّلِ، وَالثَّانِي بِالثَّانِي لَا يَخْرُمُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً فِي الْمُخَالَفِ وَالْمُوَافِقِ، وَمَتَى أَخْلَى بِالْتَّرْتِيبِ كَانَ الْكَلَامُ فَاسِدُ الْمُقَابِلَةِ، وَقَدْ تَكُونُ الْمُقَابِلَةُ بِغَيْرِ الْأَضْدَادِ" ^(١).

وَعَرَفَهَا السَّكَاكِيُّ بِقَوْلِهِ: "هِيَ أَنْ تَجْمَعَ بَيْنَ شَيْئَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ أَوْ أَكْثَرِ وَبَيْنَ ضَدِّيهِمَا ثُمَّ إِذَا اسْتَرْطَتْ هُنَاكَ شَرْطًا شَرْطَتْ هُنَاكَ ضَدَهُ" ^(٢).

وَذَكَرَ الْقَزوِينِيُّ أَنَّهَا: "أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ أَوْ مَعْنَانِ مُتَوَافِقَةٍ، بِمَا يَقَابِلُهُمَا أَوْ يَقَابِلُهُمَا عَلَى التَّرْتِيبِ، وَالْمَرَادُ بِالتَّوَافُقِ خَلَافُ التَّقَابِلِ" ^(٣).

وَوضَّحَ التَّفَتَازَانِيُّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: "(هُوَ أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ أَوْ أَكْثَرِ ثُمَّ) يُؤْتَى (بِمَا يَقَابِلُ ذَلِكَ) الْمَذَكُورُ مِنَ الْمَعْنَيَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ أَوْ الْمَعْنَانِيْنِ مُتَوَافِقَةً (عَلَى التَّرْتِيبِ) فَيَدْخُلُ الطَّبَاقَ لِأَنَّهُ جَمْعُ بَيْنِ مَعْنَيَيْنِ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الْجَمْلَةِ (وَالْمَرَادُ بِالتَّوَافُقِ خَلَافُ التَّقَابِلِ) حَتَّى لَا يَشْتَرِطَ أَنْ يَكُونَا مُتَنَاسِبَيْنِ أَوْ مُتَمَاثِلَيْنِ ..." ^(٤).

وَأَشَارَ ابْنُ يَعْقُوبَ الْمَزَنِيُّ بِقَوْلِهِ: "(وَهُوَ أَيِّ: مَا يَخْتَصُ بِاسْمِ الْمُقَابِلَةِ) (أَنْ يُؤْتَى بِمَعْنَيَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ، أَوْ) يُؤْتَى (بِأَكْثَرِ) مِنَ الْمَعْنَيَيْنِ، (ثُمَّ) يُؤْتَى بَعْدَ الْمَعْنَيَيْنِ أَوِ الْمَعْنَانِيْنِ (بِمَا يَقَابِلُ ذَلِكَ) لِمَا أَتَى بِهِ مِنَ الْمَعْنَيَيْنِ مُتَوَافِقَيْنِ أَوِ الْمَعْنَانِيْنِ مُتَوَافِقَةً (عَلَى

(١) تحرير التحبير ، ١٧٩.

(٢) مفتاح العلوم ، ٢٠٠.

(٣) الإيضاح ، ٣٣٨.

(٤) شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٢٩٧ - ٢٩٨ .

الترتيب) أي: يكون ما يؤتى به ثانياً مسقاً على ترتيب ما أتى به أولاً بحيث يكون الأول للأول والثاني إلى آخره ، و إنما دخل ما يسمى بالمقابلة في الطباق لأن فيه الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة أي من غير تفصيل وتعيين لكون التقابل على وجه مخصوص دون آخر ؛ لأن ذلك لا يشترط في الطباق حتى يمكن إخراج المقابلة عن الطباق فصدق حده عليها " ^(١) .

و أوضح السبكي أن المقابلة : " أن يؤتى بمعنىين متواافقين أو أكثر " بأن يكون معان متواقة ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب بأن يكون الأول للأول و الثاني للثاني " ^(٢) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البدعوي المعنوي (المقابلة) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٢٩٧ .

(٢) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٢٩٧ .

الحديث الأول :

أَخْبَرَنَا عِيسَى بْنُ حَمَادٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا اللَّيْثُ ، عَنْ ابْنِ عَجْلَانَ ، عَنْ زَيْدِ
بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ ، قَالَ : (إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ وَكَانَ يُدَافِئُ النَّاسَ ، فَيَقُولُ لِرَسُولِهِ :
خُذْ مَا تَيَسَّرَ ، وَاتْرُكْ مَا عَسَرَ ، وَتَجَاوِزْ لَعَلَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَتَجَاوِزَ عَنَّا فَلَمَّا
هَلَكَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ خَيْرًا قَطُّ ؟ ، قَالَ : لَا ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ لِي
غُلَامٌ وَكُنْتُ أُدَافِئُ النَّاسَ فَإِذَا بَعَثْتُهُ لِيَتَقَاضِيَ ، قُلْتُ لَهُ : خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَاتْرُكْ مَا
عَسَرَ وَتَجَاوِزْ لَعَلَّ اللَّهَ يَتَجَاوِزُ عَنَّا . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قَدْ تَجَاوِزْتُ عَنْكَ) ^(١) .

المضمون العام للحديث :

بين الحديث القدسي السابق فضل حسن المعاملة و الرفق في المطالبة ، كذلك
حثّ على السماحة في البيع و الشراء ، و فيه أيضاً فضل العفو عن الناس و التجاوز
عنهم .

و قد بدأ الحديث القدسي بقول صلی الله عليه و سلم : (إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ
خَيْرًا) و هذه جملة اسمية خبرية مؤكدة ، ضرب بها صلی الله عليه و سلم مثلاً رائعاً
للحثّ على التيسير على المعserين و عدم العسر في المداينة و المعاملة ، و حث على
إنظار المعserين أو إعفائهم و مسامحتهم و أن ذلك من أسباب العفو عنهم يوم
القيامة ، و كذلك تيسير الله عليهم يوم القيمة ، فهذا الرجل لم يعمل خيراً قط و تجاوز
و عفى الله عنه ، فكيف يكون ذلك ؟ يعني مع إيمانه و توحيده ضم هذا التيسير وهذا
الإنظار ، و هذا الخلق الكريم إلى أعماله الطيبة فصار من أهل الجنة ، و زحزح بها عن
النار ، و هذا لابد أن يكون معه أصل التوحيد و أصل الإيمان ، و عدم الشرك ؛ لأن

(١) : سنن النسائي ، بشرح الإمامين : السيوطي و السندي ، تحقيق : السيد محمد سيد ، علي محمد علي ،
سيد عمران ، ضبط أصوله : مصطفى محمد حسين الذهبي ، ط١ ، ج٤ ، كتاب البيوع ، باب حسن المعاملة
و الرفق في المطالبة ، رقم الحديث : ٤٧٠٨ ، (القاهرة : دار الحديث ، ١٤٢٠ هـ) ، ٣٠٤ .

الأحاديث الصحيحة و الآيات يفسر بعضها بعضاً و لهذا يقول الله عز وجل : ﴿وَلَوْ أَشَرَّكُوا لَهُبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١) ، و يقول سبحانه : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفُرُ أَن يُشْرِكَ بِهِ وَيَعْفُرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكُ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَ إِثْمًا عَظِيمًا﴾^(٢) فدلل على أن هؤلاء من المسلمين ، لكن عندهم سيئات لقوا الله بها فتجاوز عنهم ، بسبب تيسيرهم على المعسرين و إنظارهم لهم .

و المشروع لكل مؤمن أن يتخلى بجداً للخلق ، و أن يحرص على أن يكون من أهل التيسير ، و العفو و الإنذار و عدم المضايقة^(٣) .

موضع الشاهد :

(... خُذْ مَا تَيَسَّرَ وَ اتُرُكْ مَا عَسَرَ ...) .

التحليل البلاغي :

تظهر روعة الصورة البدوية من خلال التقابل بين الجملتين ، فيظهر في القدر : (خُذْ مَا تَيَسَّرَ) و يقابلها في العجز (اتُرُكْ مَا عَسَرَ) ، المقابلة هنا بين اثنين .

و يأتي السُّرُّ البلاغي من المقابلة السابقة أنها كانت سبيلاً من أسباب وفاء المعنى و تمام الغرض ، فلما كان الغرض كشف فضل حسن المعاملة و الرفق في المطالبة و أيضاً فضل العفو عن الناس ، و التجاوز عنهم ، كانت المقابلة أتم في أداء هذا المعنى و أوفى في الغرض ، فقابل بين جملة خذ ما تيسير للمدين أدوه واترك ما عسر على المدين أدوه .

(١) : الأنعام : ٨٨

(٢) : النساء : ٤٨

(٣) : انظر : صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٦٨ - ١٧١ .

فجمع هذا الرجل بين عملين فاضلين للدلالة على نبله و كرمه و هما : العمل الأول العفو و التجاوز ، و يدخل في لفظ التجاوز الإنظار و الإبراء ، و هناك فرق بين الإبراء و هو إسقاط الدين عن المعاشر و بين الإنظار ، فالإنظار واجب و الإبراء سنة ، و لا شك أن الإبراء أفضل ، لأن الإبراء تبرأ به الذمة نهائياً و الإنظار تبقى الذمة منقوله لكن صاحب الحق لا يطالب به حتى يستطيع المطلوب أن يوفي^(١) .

و العمل الثاني الذي قام و فاز به هذا الرجل أنه وقف بجانب المحتاجين و فرج عنهم ، و هذا عمل ندب إليه النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من الأحاديث .

فنلاحظ فائدة المقابلة بوفائها للمعنى و إتامها للغرض ، و بكلماتها الملائمة ، و جملها المتوازية ، و إيقاعها الآخاذ و الذي لا يحدث شيء من هذا لو قصرت الجمل عن نظمها المقابل .

(١) : انظر : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٦٩ .

الحديث الثاني :

حدثنا إسماعيل حديثي مالك عن أبي الزناد عن الأعرج ، عن أبي هريرة ، أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقاءَهُ ، وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقاءَهُ) ^(١) .

المضمون العام للحديث :

إن محبة الله تعالى من أهم العبادات القلبية ، فهي قوت القلوب و غذاء الأرواح و قرة العيون و سرور النفوس و نور العقول و عمارة الباطن.

و قد بين الحديث القدسي السابق نوعاً خاصاً من المحبة ، و هي محبة لقاء الله و وضع جزاء تلك المحبة ، فبدأ الحديث السابق بقوله صلى الله عليه وسلم على لسان ربه عز وجل : "إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي" : أي بأن يعمل عمل الحب لمحبوبه عند لقائه، و ذلك بامتثال الأوامر و النواهي ، فاستعد بالأعمال الصالحة لقاء وجه ربه الكريم مؤثراً الآخرة على الدنيا ، و من كان على هذه الصفة العظيمة لا يحب استمرار الإقامة في دار الفناء ، بل يستعد للارتحال عنها إلى دار البقاء .

و لقد أوضح الله تعالى سبيل الاستعداد للقائه فقال : ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ ^(٢).

فالملؤمن الذي أعرض عن العصيان و لزم طاعة الرحمن ، و أخلص العمل لله يكون أكثر حرصاً على لقاء الله ، و شوقاً إليه من غيره ، فيحدو به ذلك الشوق إلى أن يبيع روحه لربه ، فلا يتقاوم عن معتكفات الجهاد في سبيل الله ، بل يقذف بنفسه

(١) : صحيح البخاري، شرح الكرماني ، ج ٢٥، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : ﴿يُرِيدُوكَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَمَ﴾ ، ﴿إِنَّهُ لَتَوْلُّ فَصْلٌ﴾ رقم الحديث : (٧٠٥٠) ، مرجع سابق ، ص ١٩٢ - ١٩٣ .

(٢) : الكهف : ١١٠ .

إلى أتون القتال طمعاً بمعادرة الدنيا إلى ما عند الله تعالى من الأجر و الشواب و النعيم المقيم في جنات عرضها السماوات و الأرض أعدت للمتقين .

و قوله : " أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ " : أي هيأت له الإكرام العظيم كما يهبي المحب لمحبوبه الشيء العظيم إذا جاءه ، و قوله : " وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي " : أي بأن عمل عمل من يكره لقاء شخص ، و ذلك بارتكاب المعاصي . و قال بعض العلماء : المراد حب العبد للحياة الدنيا و ركونه إليها و كراهيته أن يصير إلى الله و الدار الآخرة .

و قوله : " كَرِهْتُ لِقَاءَهُ " : قال المازري : يحمل الحديث على كراحته سبحانه و تعالى الغفران له ، و إرادته لإبعاده من رحمته .

و يكون بما أعد له من العذاب في النار ؛ لأن الحب يستقبل محبوبه بأحب الأشياء إليه ، و المبغض يستقبل بغيضه بأكره الأشياء إليه ^(١) .

موضع الشاهد :

(إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ ، وَ إِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ) .

التحليل البلاغي :

كانت المقابلة في الحديث القدسي السابق اثنين باثنين حيث ورد في الصدر : (إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ) و ورد في العجز : (وَإِذَا كَرِهَ لِقَائِي كَرِهْتُ لِقَاءَهُ) ، و يكمن السرُّ البلاغي من وجود المقابلة المعجزة التي تأسر الأسماع و تحمل الألباب بكلماتها القوية المتلائمة و جملها المتوازنة بأنها أدت المعنى بأوفق صورة و أتم غرض .

فقد أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يثبت و يقرر في هذا الحديث صفتى الحب و الكره لله تعالى كما ينبغي لعظيم وجهه و جلال سلطانه ، و كان له ما أراد ،

(١) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، ص ٢٩ - ٣١ .

فقد قرر المعنى بأوقي صورة و أكملها وأتمها ، فالمؤمن إذا حضره الأجل **بُشّر بالرحمة من الملائكة و الرضا من الله ، فيحب لقاء الله و يحب الله لقاءه ، و أما الكافر إذا حضره الموت بُشّر بغضب الله و عقابه فيكره لقاء الله فيكره الله لقاءه .**

ذلك المعنى الذي أراد أن يؤديه صلى الله عليه وسلم ، و قد أداه و أحسن أداءه عن طريق الصورة البدعية ألا و هي المقابلة التي كان لها أثراً لفظي المبهر في سبك الأسلوب سبكاً قوياً ، و أثراً على المعنى و إظهاره في صورة رائعة ، فريدة النوع .

و ما زاد الأسلوب رونقاً و جمالاً و بهاء الشرط و الجزاء ، فالشرط في الصدر في قوله : (**إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي**) ، الجزاء : (**أَحْبَبْتُ لِقَاءً**) ، و الشرط في العجز : (**وَ إِذَا كَرِهَ لِقَائِي**) ، الجزاء : (**كَرِهْتُ لِقَاءً**) فيظهر لوناً موسيقىً أحذاً و جرساً رناناً رائعاً .

الحديث الثالث :

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بِشْرٍ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عَمْرُو، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، : (يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَيُوقَفُ عَلَى الصَّرَاطِ . فَيُقَالُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَطَّلَعُونَ خَائِفِينَ وَجِلِّينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَطَّلَعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ ، فَيُقَالُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، هَذَا الْمَوْتُ ، قَالَ : فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ عَلَى الصَّرَاطِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْفَرِيقَيْنِ كَلَاهُما : خُلُودٌ فِيمَا تَجِدُونَ لَا مَوْتَ فِيهَا أَبَدًا) ^(١) .

في الزوائد : هذا إسناده صحيح رجاله ثقات ، وقد أخرج البخاري بعضه من هذا الوجه . و له شاهد في الصحيحين من حديث أبي سعيد .

المضمون العام للحديث :

أثبت الحديث القديسي السابق حقائق عقدية ، و هي أولاً : ذبح الموت يوم القيمة على الصراط أمام أهل الجنة و أهل النار ، و في ذلك دلالة على الخلود الأبدي ، و ثانياً : إثبات الخلود للمؤمنين في الجنة و الكافرين في النار ، و أيضاً عدم الفناء في الجنة و النار .

و ما لا شك فيه أن الفناء و النعيم ضدان يؤثر الأول منهما على كمال الثاني ، فكلما ظن المتنعم أو دار في خاطره و فكره أن ما هو فيه من النعيم سوف يذهب و ينقضي و يتلاشى ، آلمه ذلك و كدر و نعص عليه نعيمه ، و كذلك المعذب إذا ظن أنه سيأتي عليه يوم ينتهي عذابه و يذهب و ينقضي ، هون ذلك من عذابه ، و صبره يعظم و رجاؤه يخفف ما هو فيه من ألم و شقاء و وجع .

(١) : سنن ابن ماجة ، تعليق : محمد فؤاد عبد الباقي ، د. ط ، ج ٢ ، كتاب الرهد ، باب صفة النار ، رقم الحديث : ٤٣٢٧ ، (بيروت : دار الفكر ، ، د.ت) ، ص ١٤٤٧ .

و زيادة في نعيم المؤمنين و عذاب الكافرين قضى الله بذبح الموت ذبحاً حسياً أمام الجميع - أهل الجنة و أهل النار - و ذلك في قوله : (فَيُؤْمِرُ بِهِ فَيُذْبَحُ عَلَى الصَّرَاطِ ، ثُمَّ يقال لِلْفَرِيقَيْنِ كَلَا هُمَا : خُلُودٌ فِيمَا تَحْدُونَ لَا مَوْتَ فِيهَا أَبَدًا) و ذلك ليدفع كل معانى الأمل من نفوس الكافرين في النجاة ، و ليقطع كل ظن في الفناء مما ينقص عيش أهل الجنة و يذهب كمال نعيمهم ، فيفرح أهل الجنة فرحاً عظيماً ، و يشقي أهل النار شقاءً مريراً ، فلا نجاة لهم في حاضرهم ، و لا نجاة لهم في مستقبلهم ، فيعذبون حسياً لما هم فيه من العذاب و يعذبون معنوياً بانقطاع الرجاء من النجاة ^(١) .

موضع الشاهد:

(... يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ وَجْلِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ ...) .

التحليل البلاغي :

جاءت المقابلة في الحديث القدسي ثلاثة بثلاثة ، و هذا أقصى ما وصلت إليه المقابلة في الحديث القدسي - كما يبدو لي - حيث جاء في الصدر : (يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، فَيَطَّلِعُونَ خَائِفِينَ وَجْلِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ) و ورد في العجز : (يَا أَهْلَ النَّارِ ، فَيَطَّلِعُونَ مُسْتَبْشِرِينَ فَرِحِينَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ مَكَانِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ) ، فالمقابلة كانت بين : (الجنة ، خائفين ، وجلين) في الصدر و (النار ، مستبشرين ، فرحين) في العجز .

(١) : انظر : شروح سنن ابن ماجة ، تحقيق : رائد بن صيري بن أبي علقة ، ط١ ، ج٢ ، (عمان : بيت الأفكار الدولية ، ٢٠٠٧ م) ، ص ١٥٩٢ . وأيضاً : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، ضبط : عبد الرحمن محمد عثمان ، ج ٧ ، (مصر : دار الفكر ، د.ت) ، ص ٢٧٧ ، وأيضاً : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ٣٠٣ .

و قد أسهمت المقابلة في إيضاح المعنى بأوسع صوره و أوفي أغراضه ، فالغرض من المقابلة إثبات الخلود لأهل الجنة بالجنة ، و أهل النار بالنار ، و عدم الفناء و البقاء بل إقرار الخلود الأبدي ، و قد تَحَقَّ ذلك عن طريق ذبح الموت ، ذلك الموت الذي أُفِيَ على الصراط و رأه و عرفه كل من أهل الجنة و أهل النار ، فكان حال أهل الجنة خائفين وجلين بأن يخرجوا من النعيم الذي هم فيه ، و كان حال أهل النار مستبشرين و فرحين أن يخرجوا من هذا العذاب الأليم القاسي الذي هم فيه .

فالمقابلة هنا لم تفِ بالمعنى و الغرض فقط ، بل وصفته وصفاً دقيقاً حسياً تنم عن خوف و وجل واستبشرار و فرحة و نعيم غير متناهٍ ، و كذلك عذاب وحسرة غير متناهية .

و أخيراً أضفت المقابلة على الحديث رونقاً و بهجة وجمالاً ، و قَوَّت الصلة بين الألفاظ و المعاني و قد نتج عن ذلك تلامح أجزاء الكلام و ائتلاف ألفاظه ، مما يؤكّد أن المقابلة لست زينة شكلية ، و زخرفاً لفظياً ، بل كان لها دور فعال في بلاغة الكلام لن يحدث شيء من ذلك إن تغيرت الجمل عن نظمها المقابل .

الحديث الرابع :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنِي مَالِكٌ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ رَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجَهَنْيِ أَنَّهُ قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيْبِيَّةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَفْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : (هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟) قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكِبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكِبِ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

الله على العباد فضل عظيم و نعم جليلة ، و من بين تلك النعم و هذا الفضل المطر ، حيث أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث القدسي أنه ينبغي على الإنسان إذا جاء المطر أن يقول : مطرنا بفضل الله و رحمته لا بنوء كذا و كذا .

فقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثه بجملة استفهامية : (هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟) قاصداً من ورائها التنبية و التشويق و صرف ذهن المتلقى لما يقوله (اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ) ، ثم ذكر ما قاله الله تعالى ملائكته : " (أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ بِي) يعني في تلك الليلة . قال الله عز وجل فيما أوحاه إلى نبيه : (أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكِبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكِبِ) ، والباء هنا للسببية ، يعني معناه أنك إذا أضفت المطر إلى النوء ، فقلت : هذا النجم نجم بركة و خير يأتي بالمطر فهذا حرام عليك، كفر بالله عز وجل ، و إضافة الشيء إلى سببه مع نسيان المسبب و هو الله عز وجل .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ط ٢ ، ج ٥ ، كتاب الاستسقاء ، باب قوله تعالى ﴿وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكَرُوكُمْ﴾ ، رقم الحديث : ٩٨٥ ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

و أما إذا قلت : مطرنا بفضل الله و رحمته في هذا النوع ، فلا بأس ؛ لأنه اعتراف بأن المطر بفضل الله و لكنه صار في هذا بالنوع ، و كثير من العامة يقولون : مطرنا بالفضل كذا و كذا ... ، و ليسوا يقصدون بهذا السببية و إنما يقصدون الظرفية ، أي أن المطر صار في هذا الوقت ، و هذا لا بأس .

و أما إذا جعل الباء للسببية ؛ فهذا هو الذي كفر بالله و آمن بالكواكب ، ثم إن اعتقاد أن الكوكب هو الذي يأتي بالمطر ؛ فهذا كفر أكبر مخرج عن الملة ، و إن اعتقاد أن الكواكب سبب و أن الخالق هو الله عز وجل ، فهذا كفر بنعمة الله و ليس كفراً مخرجاً عن الملة ... ^(١) .

موضع الشاهد:

(... فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَ رَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنْوَءِ كَذَا وَ كَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ) .

التحليل البلاغي :

كانت المقابلة في هذا الحديث القدسي ثلاثة بثلاثة حيث وقع في الصدر : (أَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَ رَحْمَتِهِ) ، (فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي) ، (كَافِرٌ بِالْكَوْكَبِ) ، و وقع في العجز : (أَمَّا مَنْ قَالَ بِنْوَءِ كَذَا وَ كَذَا) ، (فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي) ، (مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكَبِ) .

و كان السرُّ البلاغي من وراء المقابلة هو إظهار المعنى بأوقي غرض و أكمل صورة ، و كان له ما أراد صليَّ الله عليه و سلم ، فأراد صليَّ الله عليه و سلم أن يقرر حقيقة و هي إن المطر يأتي بفضل من الله و رحمة ، و لا علاقة للكواكب بذلك ،

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ١٢٧ - ١٢٨ . أيضاً انظر : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ٣٧ . و فتح الاري بشرح صحيح البخاري ، ج ٢ ، باب الاستسقاء ، باب قوله تعالى ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ ، مرجع سابق ص ٦٦٣ - ٦٦٧ .

فأثبتت الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك عن طريق المقابلة ، ووضح أن من قال مطربنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بالله ، كافر بالكوكب ، و " أما من قال مطربنا بنوء كذا و كذا أي بكوكب كذا معتقداً ما كان عليه بعض أهل الشرك ، من إضافة المطر إلى النوء ، و أن المطر كان من أجل أن الكوكب - ناء - أي سقط و غاب ، أو خض و طلع ، وأنه هو الذي هاجه ، (فذلك كافر بي) لأن النوء وقت ، و الوقت مخلوق ، و لا يملك لنفسه و لا لغيره شيئاً (مؤمن بالكوكب) . ومن قال مطربنا في وقت كذا ، فلا يكون كفراً " ^(١) .

فيبدو - لي - أن المقابلة هنا كانت سبباً قوياً من أسباب إيضاح المعنى فالمقابلة لم تأتِ تطفلاً ، و لم تأتِ كذلك زينة و حلقة شكلية ، بل كان من وجودها لغاية و هدف تحقق بحداره ؛ فقد قيل سابقاً إن من صفات الأدب الجيد " تلامح أجزاءه و ائتلاف ألفاظه حتى كان الكلام بأسره من حسن الجوار و شدة التلامح كلمة واحدة ، و حتى كأن الكلمة بأسرها حرفٌ واحدٌ " ^(٢) ، و هذا ما لاحظته في الحديث السابق .

(١) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

(٢) : في البلاغة العربية ، علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، د. ط ، (بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٤٠٥ھ) ، ص ٩٠ .

الحديث الخامس :

حَدَّثَنَا حَالِدٌ بْنُ خَلَدٍ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُعاوِيَةُ ابْنُ أَبِي مُزَرٍّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحْمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ مَهْ قَالَتْ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنْ الْقُطْبِيَّةِ ، قَالَ : أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَّ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ ، قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَذَاكِ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : أَفْرَأَوْ إِنْ شِئْتُمْ : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾) ^(١) .

المضمون العام للحديث :

وضَّحَ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْحَدِيثِ الْقَدِيسِ فِيمَا أَوْحَاهُ عَزَّ وَجَلَ عِظَمَ شَأنِ الرَّحْمَنِ ، وَفَضْلِ وَاصْلَهَا وَإِثْمِ قَاطِعِهَا .

" قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : قوله : (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ) : قال ابن أبي جمرة : يحتمل أن يكون المراد بالخلق جميع المخلوقات ، و يحتمل أن يكون المراد به المكلفين ... ، و قوله (قَامَتِ الرَّحْمُ فَقَالَتْ) : قال ابن أبي جمرة : يحتمل أن يكون بلسان الحال و يحتمل أن يكون بلسان المقال قولان مشهوران و الثاني أرجح ... ، و قوله : (أَصِلَّ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ) ... قال ابن أبي جمرة الوصل من الله كنایة عن عظيم إحسانه ، و إنما خاطب الناس بما يفهمون ، و لما كان أعظم ما يعطيه المحبوب لمحبه الوصال و هو القرب منه و إسعافه بما يريد و مساعدته على ما يرضيه ، و كانت حقيقة ذلك مستحيلة في حق الله تعالى ، عرف أن ذلك كنایة عن عظيم إحسانه لعبدة ، قال : و كذا القول في القطع ، و هو كنایة عن حرمان الإحسان .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، باب ﴿ وَقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ ، رقم ٤٥١١ ، مرجع سابق ، ص ٩٢ - ٩٣ .

و قال القرطبي : و سواء قلنا إنه - يعني القول المنسوب إلى الرحم - على سبيل المجاز أو الحقيقة أو إنه على جهة التقدير و التمثيل كأن يكون المعنى : لو كانت الرحم من يعقل و يتكلم لقالت كذا ... ، فمقصود هذا الكلام الإخبار بتأكيد أمر صلة الرحم ، و أنه تعالى أنزلها منزلة من استجرار به فأجراه فأدخله في حمايته ، و إذا كان كذلك فجار الله غير مخنول ... " ^(١) .

و قال النووي : " الرحم معنى من المعاني لا يتأتى منه القيام و لا الكلام فالمراد تعظيم شأنها و فضيلة و اصلها و إثم قاطعها ، و قال : لا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة ، و قطيعتها معصية ، و للصلة درجات بعضها أرفع من بعض و أدناها صلتها بالكلام و لو بالسلام ، و يختلف ذلك باختلاف القدرة و الحاجة ، و اختلفوا في حد الرحم ، فقيل : هو الحرام ، و قيل : هو عام في كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث. قوله : (هذا) إشارة إلى المقام ، أي قيامي هذا قيام العائد بك من قطع الرحم و (وصل الله) إيصال الرحمة إليه و قطعه قطعها " ^(٢) .

موضع الشاهد:

(... أَلَا تَرْضِينَ أَنْ أَصِلَّ مَنْ وَصَلَكِ وَ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ...) .

التحليل البلاغي:

كانت المقابلة في الحديث القدسي السابق بين اثنين باثنين حيث ورد في الصدر : (أَصِلَّ مَنْ وَصَلَكِ) ، و ورد في العجز (أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ) ، و عند التأمل للسرّ البلاغي وراء وجود المقابلة نجده يكمن في وفاء المعنى بأكمل صورة و تمام أغراضه ، فصلة الرحم شأن عظيم و في الحديث تنبئه على فضل صلتها و الحث الشديد عليها و حرمة قطيعتها و التحذير من قطعها و الوعيد الشديد بقطع الله لقاطعها ، و الوعد

(١) : الهدية في شرح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٧ - ١٩ .

(٢) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٨ ، مرجع سابق ، ص ٩٣ .

بزيادة الرزق و طول العمر لواصلها و عنون الله تعالى و توفيقه لمن يتحمل الأذى في سبيل وصلها .

و كذلك عند التأمل في المقابلة : (أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ) نجد أنها بدأت بجملة فعلية مضارع للدلالة على التجدد والاستمرار ، فقطيعة الرحمة تندى بقطع الله خيره عن القاطع ، و صلة الرحمة تعد بصلة الله تعالى للواصل ، فمن قطعها قطعه الله و من وصلها وصله الله ، فالإسلام دين ترغيب و ترهيب ، و لكل من الطاعات والمعاصي آثار ، و على الإنسان التبصر بالعواقب ، و إدراك طريق التوبة إذا ضل الطريق ، و لذلك نجد أنها بدأت بالفعل المضارع للدلالة على التجدد ، فمن كان قاطعاً لرحمه يتوب و يصل رحمه ؟ كي يصله الله تعالى .

و للمقابلة آثار في الشكل والمضمون ، ففي المضمون كان أثراها واضحاً في إظهار المعنى وافياً قوياً متربطاً متلاحم الأجزاء و الشكل نجد أثراها في التنااسب والتوازن و الجمل المتجانسة و التناغم الموسيقي .

الحديث السادس :

حدّثنا عبد الله بن محمدٍ حدّثنا عبد الرزاق أخْبَرَنَا مَعْمُرٌ عَنْ هَمَامٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَ النَّارُ ، فَقَاتِ النَّارُ : أُوْثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَ الْمُتَجَبِّرِينَ ، وَ قَاتِ الْجَنَّةُ : مَا لِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَ سَقَطُهُمْ ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى لِلْجَنَّةِ : أَنْتَ رَحْمَتِي أَرْحَمْ بِكِ مَنْ أَشَاءَ مِنْ عِبَادِي ، وَ قَالَ لِلنَّارِ : إِنَّمَا أَنْتَ عَذَابٌ أَعْذَبْ بِكِ مَنْ أَشَاءَ مِنْ عِبَادِي وَ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مِلْؤُهَا ، فَأَمَّا النَّارُ فَلَا تَمْتَلِئُ حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رِجْلُهُ ، فَتَقُولُ : قَطٌّ قَطٌّ قَطٌّ ، فَهُنَالِكَ تَمْتَلِئُ وَ يُرْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَ لَا يَظْلِمُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدًا ، وَ أَمَّا الْجَنَّةُ فِإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَ جَلَّ يُنْشِئُ لَهَا خَلْقًا)^(١).

المضمون العام للحديث :

وضَّحَ الحديث القدسي احتجاج الجنة و النار ، و أن الجنة من رحمة الله ، و النار من عذابه ، و قد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم الحديث بقوله : (تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَ النَّارُ) أي تخاصمت^(٢) ، ذكر الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أن كل واحدة تدل على بحثتها ، و هذا من الأمور الغيبية التي يجب علينا أن نؤمن بها حتى و إن استبعدتها العقول و حار الإنسان ، و قال : كيف تتحاجج الجنة و النار و هما جمادان؟!^(٣).

فاجنة احتجت على النار ، و النار احتجت على الجنة . النار احتجت بأن فيها المتكبرين و المتجررين : و قيل لها بمعنى ، و قيل المتكبر المتعاظم بما ليس منه و المتجرر المنوع الذي لا يصل إليه ، و قيل : الذي لا يكتثر بأمر ، و الجنة احتجت بما فيها من ضعفاء الناس و سقطهم أي المحتقرون بينهم الساقطون من أعينهم ، هذا بالنسبة إلى ما عند الأكثر الناس ، و بالنسبة إلى ما عند الله هم عظماء رفقاء الدرجات ،

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، من سورة الحاقة ، رقم الحديث : ٤٥٣ ، مرجع سابق ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(٢) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، من سورة ق ، ج ٨ ، مرجع سابق ، ص ٧٥٩ .

(٣) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

لَكُنْهُمْ بِالنِّسْبَةِ إِلَى مَا عَنْدَ أَنفُسِهِمْ لِعَظَمَةِ اللَّهِ عِنْدِهِمْ وَخُضُوعَهُمْ لَهُ فِي غَايَةِ التَّوَاضُعِ اللَّهُ وَالذَّلَّةُ فِي عِبَادَتِهِ ، فَوَصْفُهُمْ بِالْعَذَابِ وَالسُّقْطِ بِهَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ ، أَوْ الْمَرَادُ بِالْحَصْرِ فِي قَوْلِ الْجَنَّةِ (إِلَّا ضَعَفَاءُ النَّاسِ) الْأَغْلَبُ ، قَالَ النَّوْوَيُّ : هَذَا الْحَدِيثُ عَلَى ظَاهِرِهِ ، وَإِنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ تَمِيزًا يُدْرِكُهُ بَهُ وَيُقْدِرُهُ عَلَى الْمَرَاجِعَةِ وَالْاحْتِجاجِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ بِلِسَانِ الْحَالِ^(١).

فَقَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَهُمَا (قَالَ لِلْجَنَّةِ أَنْتَ رَحْمَتِي ، أَرْحَمْتُكَ مِنْ أَشَاءَ مِنْ عَبَادِي) وَقَالَ لِلنَّارِ : (إِنَّمَا أَنْتَ عَذَابِي أَعْذَبْتُكَ مِنْ أَشَاءَ مِنْ عَبَادِي) ، إِنَّكَ الْجَنَّةَ رَحْمَتِي : يَعْنِي أَنَّهَا الدَّارُ الَّتِي نَشَأْتُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَلَيَسْتَ رَحْمَةُ اللَّهِ هِيَ صَفَتُهُ ؛ لَأَنَّ رَحْمَتَهُ الَّتِي هِيَ صَفَتُهُ وَصَفَّ قَائِمٍ بِهِ ، لَكِنَ الرَّحْمَةُ هُنَا مُخْلُوقٌ ، أَنْتَ رَحْمَتِي يَعْنِي خَلَقْتَكَ بِرَحْمَتِي ، أَرْحَمْتُكَ مِنْ أَشَاءَ .

وَقَالَ لِلنَّارِ : أَنْتَ عَذَابِي أَعْذَبْتُكَ مِنْ أَشَاءَ كَقُولَهُ تَعَالَى : ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [العنكبوت : ٢١] فَأَهْلُ الْجَنَّةِ هُمْ أَهْلُ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَأَهْلُ النَّارِ هُمْ أَهْلُ عَذَابِ اللَّهِ .

وَقَدْ تَكَفَّلَ اللَّهُ وَأَوْجَبَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَمْلأَ الْجَنَّةَ وَيَمْلأَ النَّارَ ، وَفَضْلُ اللَّهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَرَحْمَتُهُ أَوْسَعُ مِنْ غَضْبِهِ ، فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَلْقَى مِنْ يَلْقَى فِي النَّارِ ، وَهِيَ تَقُولُ : هَلْ مِنْ مُزِيدٍ يَعْنِي أَعْطَوْنِي ، أَعْطَوْنِي ، زِيدُوا . فَيُضَعُ اللَّهُ عَلَيْهَا رَجْلَهُ ، فَيَنْزُوُنِي بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، يَنْضُمُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ مِنْ أَثْرِ وَضْعِ الْرَّبِّ عَزَّ وَجَلَ عَلَيْهَا قَدْمَهُ ، وَتَقُولُ : قَطْ قَطْ ، يَعْنِي كَفَايَةً كَفَايَةً وَهَذَا مَلْؤُهَا .

أَمَّا الْجَنَّةُ فَإِنَّهَا وَاسِعَةٌ ، عَرَضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ يَدْخُلُهَا أَهْلُهَا وَيَقْبَلُ فِيهَا فَضْلُ زَائِدٍ عَلَى أَهْلِهَا ، فَيَنْشَئُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا أَقْوَامًا فَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةَ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ ؛ لَأَنَّ اللَّهَ تَكَفَّلَ لَهَا بِمَلْؤُهَا^(٢) .

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، من سورة ق ، ج ٨ ، مرجع سابق ، ص ٧٥٩ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٣٦ - ٣٧ .

موضع الشاهد :

(... قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِلْجَنَّةِ : أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكَ مَنْ أَشَاءَ مِنْ عِبَادِي ، وَقَالَ لِلنَّارِ : إِنَّمَا أَنْتِ عَذَابٌ أَعَذِّبُ بِكَ مَنْ أَشَاءَ مِنْ عِبَادِي ...) .

التحليل البلاغي :

كانت المقابلة في الحديث القدسي السابق ثلاثة معانٍ بثلاثة ، حيث ورد في الصدر : (الجنة ، رحمتي ، أرحم) ، و ورد في العجز : (النار ، عذاب ، أعذب) ، وقد كانت المقابلة بلغة أثerta في الأسلوب شكلاً و مضموناً ، و كان الغرض من وجودها الوفاء بالمعنى و التمام بالغرض مع إحداث الرونق و الجمال و البهجة ، و لولا وجود تلك الجمل و الألفاظ بنظمها المقابل لما حدث شيء من ذلك الجمال و الروعة في الشكل و المضمون .

ففي الشكل نجد خطأً من التوازن و التناسب و التجانس بين الألفاظ و الجمل محدثاً تناغماً موسيقياً جذاباً فنجد ذلك في قوله : (أنت رحمتي ، أرحم بك من أشاء من عبادي) ، و يقابله بنفس تركيب الألفاظ و الجمل : (إنما أنت عذاب ، أعذب بك من أشاء من عبادي) فذلك السبك القوي و تلك الصورة البدعية تخلب الألباب و تأسر الأسماع .

و في المضمون لعبت المقابلة دوراً مهماً في أداء المعنى بأجل صوره و أكملاها و أوفاها و أوضحتها ، صورة مصطحبةً معها عدة ألوان بدعية ، فالرسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يوضح عدة معانٍ في هذا الحديث وهي :

- حجاج الجنة و النار و هما جمادان .
- رد رب العزة على الجنة و النار .
- كيفية ملء الجنة و النار .

فبالنسبة للمعنى الأول وضَّحَ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خصام الجنة والنار عند رب العالمين ، و قد اختلف في ذلك الخصام فمنهم من يقول إنه على الحقيقة ، و منهم من يجعله مجازاً ^(١) ، و سواء أكان هذا أم ذاك يظهر إعجاز الرب تبارك و تعالى ، و تظهر حقيقة أن معظم سكان النار من المتكبرين و المتجررين ، و أن معظم سكان الجنة هم ضعفاء الناس و سقطهم ^(٢) ، و قد تأكَّد المعنى بالجمع بين الأضداد أو (الطلاق) .

و بالنسبة للمعنى الثاني و هو كيفية رد رب العزة على الجنة و النار ، نجد أن الله عز وجل قد تقدم بالرد على الجنة قبل النار و ذلك للدلالة على سمو شأنها ، و علو منزلتها ، و رفعة قدرها ، و قدر من يسكنها ، و تكريماً لها ، فقال الله لها : (أنت رحْمِي ، أرْحَمْ بِكَ مِنْ أَشَاءَ مِنْ عَبْدِي) فالجنة من رحمة الله و ليست رحمة الله ؛ لأن رحمته صفة من صفاته ، و النار عذاب الله فحرها شديد ، و قعرها بعيد ، و مقامع أهلها من حديد ، يقذف بها كل متكبر جبار عنيد .

و بالنسبة للمعنى الثالث : كيفية ملء الجنة و النار فالجنة ينشئ الله لها خلقاً جديداً لكي تمتليء ، و أما النار و العياذ بالله فيقذف بها ساكنيها و تطلب و تقول : هل من مزيد ؟ هل من مزيد ؟ إلى أن يضع الله رجله ^(٣) فيها فيجتمع بعضها إلى بعض . و يظهر في هذا القسم روعة التقسيم " فأَمَّا النَّارُ .. وَأَمَّا الْجَنَّةُ .. " و قد أفاد التقسيم هذا التفصيل بعد الإجمال و الإيضاح بعد الإبهام ، فإذا جاء المعنى مفصلاً و موضحاً و مبيناً ثبت في الذهن و تمكن في النفس ، فمصير العباد يوم القيمة اثنان لا ثالث لهما : إِمَّا جَنَّةٌ عَرَضَهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ، وَإِمَّا نَارٌ مُحْرَقَةٌ مُظْلَمَةٌ لَا يَدْرِكُ قُرْبَاهَا .

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٣ ، كتاب التوحيد ، ص ٥٣٨ - ٥٣٩ .

(٢) : يُراجع بالتفصيل ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ٨ ، كتاب التفسير ، مرجع سابق ، ص ٧٥٩ - ٧٦٠ .

(٣) : اختلف المراد بالرجل فطريق السلف في هذا و غيره مشهورة ، و هو أن تمر كما جاءت و لا يعترض لتأويليه بل تعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله و خاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك ، انظر : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٣١ - ٣٥ ، أيضاً انظر : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٣ ، كتاب التوحيد ، مرجع سابق ، ص ٥٤٠ ، ٥٤١ .

الحديث السابع :

أَخْبَرَنَا أَبُو دَاؤِدَ قَالَ : حَدَّثَنَا هَارُونَ - هُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ - الْحَسَّانُ قَالَ : حَدَّثَنَا هَمَّامٌ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ الْحَسَنِ عَنْ حُرَيْثَ بْنِ فَيْصَةَ قَالَ : قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ ، قَالَ : قُلْتُ اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي حَلِيسًا صَالِحًا ، فَجَعَلْتُ إِلَيْيَ هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : فَقُلْتُ : إِنِّي دَعَوْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُيَسِّرَ لِي حَلِيسًا صَالِحًا ، فَحَدَّثَنِي بَحَدِيثٍ سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ ، فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ) .

قَالَ هَمَّامٌ : لَا أَدْرِي هَذَا مِنْ كَلَامِ قَتَادَةَ ، أَوْ مِنْ الرِّوَايَةِ : (فِإِنْ انتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ ، قَالَ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطْوِعٍ ؟ فَيُكَمَّلَ بِهِ مَا نَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ) ^(١) .

المضمون العام للحديث :

وضَّحَ الحديث القدسي السابق أن أول الأعمال التي يحاسب العبد عليها ، و يدقق عليه فيها هو صلاته .

" وَالظَّاهِرُ : أَنَّ الْمَرَادَ بِالْأَعْمَالِ الظَّاهِرِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَرْكَانُ الْإِسْلَامِ ؛ لِأَنَّ الإِيمَانَ هُوَ أَوْلَى مَا يُحَاسِبُ عَلَيْهِ الْعَبْدُ ، فَيُحَاسِبُ أَوْلَى عَلَى الإِيمَانِ ، وَهُوَ عَمَلٌ قَلْبِيٌّ ، فَإِذَا خَلَصَ لِلْعَبْدِ الإِيمَانُ الَّذِي يَتَبَعُهُ النُّطُقُ بِالشَّهَادَتَيْنِ ، يَنْتَقِلُ بِهِ إِلَى الْحِسَابِ عَلَى بَقِيَّةِ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ، فَيُبَدِّأُ بِالْحِسَابِ عَلَى الصَّلَاةِ ، لِأَنَّهَا عِمَادُ الدِّينِ ، فَمَنْ أَقَامَهَا فَقَدْ أَقَامَ الدِّينَ ، وَمَنْ هَدَمَهَا فَقَدْ هَدَمَ الدِّينَ ؛ وَلِأَنَّهَا تَتَكَرَّرُ فِي أَيَّامِ الْعُمُرِ كُلُّهَا خَمْسَ مَرَاتٍ كُلُّ يَوْمٍ وَلِيَلَةٍ ، بِخَلْفِ بَقِيَّةِ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ ، فَالزَّكَاةُ قَدْ لَا تُحِبُّ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ

(١) : سنن الترمذ ، بشرح الإمامين السيوطي والستري ، ج ١ ، كتاب الصلاة ، باب المحاسبة على الصلاة ، رقم الحديث : ٤٦٤ ، مرجع سابق ، ص ٣٤٣

الناس و هم الفقراء ، و الصيام في كل سنة شهر واحد ، و الحج في العمر مرة واحدة، و لا يجب إلا على المستطيع .

و المقصود من الحديث بيان فضل الله تعالى ، حيث إنه يكمل انتقاص الفريضة بالتطوع منها ، فيقول ملائكته - و هو أعلم منهم - " انظروا إلى عبدي هل له من تطوع ؟ فإن كان له تطوع فهو يكمل ما انتقص من صلاته ، سواء أكان النقص منها نقصاً في أداء فرضها ، أم نقصاً في كمالها خشوعاً و مبادرة بفعلها و كونها جماعة أو نحو ذلك ، ثم يؤخذ حسابه على بقية الأعمال من الزكاة و الصوم و الحج على حسب ذلك ، أي إذا كان الفرض منها كاماً فذاك ، و إلا كمل له نقص الفريضة منه بالتطوع .

و الحديث يفيد وجوب المحافظة على الفرائض حيث لا تفريط في الحساب عنها ، كما أنه يفيد استحباب كثرة التطوع في الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج ليكون التطوع جابراً للفريضة " ^(١) .

موضع الشاهد :

(.... فَإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَ أَنْجَحَ ، وَ إِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَ خَسِرَ...) .

التحليل البلاغي :

كانت المقابلة في الحديث القديسي السابق ثلاثة معانٍ بثلاثة ، حيث ورد في الصدر : (صلحت ، أفلح ، أنجح) ، و ورد في العجز (فسدت ، خاب ، خسر) .

و مما لا شك فيه أن المقابلة في الحديث السابق لم تكن زخرفاً لفظياً و زينة شكلية لا دخل لها في بلاغة الكلام ، بل نلحظ أن لها دوراً بارزاً لولا وجودها بهذا النظام

(١) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ .

المتقابل لما تحقق تلك البلاغة والرصانة والجزالة ، و لما تحقق الجمال والروعة و البهجة .

و كان للمقابلة في الحديث القدسي السابق أثر في تقوية الصلة بين الألفاظ و المعاني و شدة التلامح بين الأجزاء ، و لا سيما مجئها في أسلوب الشرط ، و رد الجواب على الفعل زاد في تأكيد المعنى و حلاء الأفكار ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يقرر و يؤكّد و يتحقق معنى من المعاني ، و هو أن الصلاة أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيمة في الحقوق المتعلقة بالله تعالى ، ثم جاء بالمقابلة على شكل أسلوب الشرط لتقرير ذلك المعنى ، حيث قال : " إن صلحت بأدائها صحيحة أو بوقوعها مقبولة فقد أفلح ، أي فاز بمقصوده ، و أبْنَجَ أي ظفر بطلويه ، فيكون فيه تأكيد ، أو فاز بمعنى خلاص من العقاب ، و أبْنَجَ أي حصل له الثواب ، و إن فسدت بأن لم تؤدِّ أو أديت غير صحيحة أو غير مقبولة فقد خاب بحرمان المثوبة و خسر بوقوع العقوبة ، و قيل معنى خاب ندم و خسر أي صار محرومًا من الفوز و الخلاص قبل العذاب ... " ^(١) .

من هنا ندرك أن المقابلة في الحديث القدسي السابق ليس ضم الكلمات بعضها إلى بعض كييفما جاء و اتفق ، بل تترتب الكلم على حسب ترتيب المعاني في النفس ، و هذا ما ذكره الشيخ عبد القاهر الجرجاني عندما فرق بين حروف منظومة و كلم منظومة : (.. و أَمَّا الكلم " نظم الكلم " فليس الأمر فيه كذلك ، لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني و ترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس ، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض و ليس هو النظم ، الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كييف جاء و اتفق ، ...) ^(٢) .

(١) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٣٧٧ .

(٢) : دلائل الإعجاز ، الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، مرجع سابق ، ص ٤٩ .

المبحث الثاني:

المُشاكلة

التعريف باللون البديعي:

أشار ابن أبي الأصبغ المصري بأن المشاكلة : " هي أن يأتي المتكلّم في كلامه أو الشاعر في شعره باسم من الأسماء المشتركة في موضعين فصاعداً من البيت الواحد ، و كذلك الاسم في كل موضع من الموضعين مسماً غير الأول ، تدلّ صيغته عليه بتشاكل إحدى اللفظتين الأخرى في الخط و اللفظ و مفهومهما مختلف " ^(١).

و ذكر السكاكي أن المشاكلة : " هي أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته " ^(٢).

و وضَّح الخطيب أن المشاكلة : " هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرأ " ^(٣).

و ذكر التفتازاني منه : - أي من المعنوي - : (المشاكلة و هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه) أي : ذلك الشيء (في صحبته) أي: ذلك الغير ، (تحقيقاً أو تقديرأ) أي : وقعاً محققاً أو مقدراً ... " ^(٤).

و ذكر المغربي : " (و منه) - أي : و من البديع المعنوي - (المشاكلة) أي : النوع المسمى بالمشاكلة (و هو) - أي : و ذلك النوع من البديع المعنوي المسمى بالمشاكلة - هو (ذكر الشيء بلفظ غيره) أي : ذكر المعنى متلبساً في ذلك الذكر بالإتيان بلفظ غير ذلك المعنى ، فالباء في (بلفظ) للملابسة ، و لا يخفى أن تعلق الذكر بالمعنى كما هنا صحيح من باب نسبة ما للدلال للمدلول ، و خرج بقوله : " بلفظ غيره " الذكر المتعلق بالحقيقة ، و دخل فيه جميع أنواع المجاز ؛ لأن الذكر فيها واقع في معانيها في ألفاظ غيرها على ما تقدم من البحث في الاستعارة بالكناية . . . " ^(٥).

(١) : تحرير التسجير ، ٣٩٣.

(٢) : مفتاح العلوم ، ٢٠٠.

(٣) : الإيضاح ، ٣٤٤.

(٤) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٠٩ - ٣١٠.

(٥) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٠٩ - ٣١٠.

و ذكر صاحب العروس : " (ومنه المشاكلة ... الخ) ش المشاكلة ذكر الشيء
بلغفظ غيره لوقوعه في صحبة ذلك الغير تحقيقاً أو تقديرأً ... " ^(١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البدائي المعنوي (المُشاكلة) ، و بيان
قيمة البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و
مقامه .

(١) شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٠٩ - ٣١٠.

الحديث الأول:

حَدَّثَنِي أَبُو عَسَانَ الْمِسْمَعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُشَّبَّهِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ بْنِ عُثْمَانَ، -
 واللَّفْظُ لِأَبِي عَسَانَ وَابْنِ الْمُشَّبَّهِ - قَالَا : حَدَّثَنَا مُعاَذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ
 فَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّحَّيْرِ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا فِي حُطْبَتِهِ : (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمْرَنِي أَنْ أُعْلَمَكُمْ
 مَا جَهَلْتُمْ مِمَّا عَلِمَنِي يَوْمِي هَذَا : كُلُّ مَا لِنَحْلَتُهُ عَبْدًا ، حَلَالٌ . وَإِنِّي خَلَقْتُ
 عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ ، وَإِنَّهُمْ أَنْتَهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَنَّتُهُمْ عَنِ دِينِهِمْ ، وَحَرَّمْتُ
 عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ ، وَأَمْرَتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا . وَإِنَّ اللَّهَ
 نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقْتَهُمْ ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ ، إِلَّا بَقَائِيَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ .
 وَقَالَ : إِنَّمَا بَعَثْتَ لِأَبْتَلِيَ وَأَبْتَلِيَ ، بِكَ وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ .
 تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْظَانَ . وَإِنَّ اللَّهَ أَمْرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرْبَيَا فَقُلْتُ : رَبِّ إِذَا يَشْلُغُوا
 رَأْسِي فَيَدْعُوهُ حُبْزَةً ، قَالَ : اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجْتُكَ ، وَاغْزُهُمْ نُفْرِكَ ، وَأَنْفِقْ
 فَسَنْنِفَ عَلَيْكَ ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ ، وَقَاتِلْ بِمِنْ أَطَاعَكَ مِنْ
 عَصَاكَ ، قَالَ : وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوفَّقٌ ، وَرَجُلٌ
 رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ . وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ . قَالَ :
 وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ : الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَيْرَ لَهُ ، الَّذِينَ هُمْ فِيْكُمْ تَبَعًا لَا يَتَبَعُونَ
 أَهْلًا وَلَا مَالًا . وَالْحَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا حَانَهُ . وَرَجُلٌ لَا
 يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ) . وَذَكَرَ الْبُنْحلَ أَوِ الْكَذِبَ

(وَالشَّيْطِنُ أَفَحَادُ) . وَ لَمْ يَذْكُرْ أَبُو غَسَّانَ فِي حَدِيثِهِ (وَ أَنْفَقَ فَسْتَنْفَقَ عَلَيْكَ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

وضَّحَ الحديث القدسي السابق الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة و أهل النار ، فأوضح أيضًا حفظ الله عز و جل لكتابه من التحريف و التبديل ، و وجوب مواجهة الكفار و المشركين .

فهذا الحديث من خطب النبي ﷺ الجوامع ، و في أولها يخبر أن الله تعالى أمره بالبلاغ و التعليم للجهال ^(٢) ، فقال: (إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلِمْنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ نَحْلَتُهُ عَبْدًا ، حَلَالٌ) فمعنى نحلته أعطيته ، و في الكلام حذف أي : قال الله تعالى : كل مال أعطيته عبدًا من عبادي فهو له حلال ، و المراد إنكار ما حرموا على أنفسهم من السائبة و الوصيلة و البحيرة و الحامي و غير ذلك ، و أنها لم تصر حرامًا بتحريمه ، و كل مال ملكه العبد فهو له حلال حتى يتعلق به حق .

و قوله تعالى : (وَ إِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ) أي مسلمين ، و قيل : طاهرين من المعاصي ، و قيل : مستقيمين منبين لقبول الهدایة .

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، حَقْ أصوله على خمس نسخ خطية د . محمد عبد الرحمن المرعشلي ، قدم له : محمد صبحي حلاق ، ط ١ ، ج ١٧ ، كتاب الجنّة و صفة نعيها و أهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنّة و أهل النار ، رقم الحديث : ٧١٣٦ ، (بيروت : دار إحياء التراث العربي ، ١٤٢٠ھ ، ص ١٢٩) .

(٢) : الهدایة في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٠ .

و قوله تعالى: (وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَأَجْتَاهُنَّهُمْ عَنْ دِينِهِمْ) فالمراد قيل : أي استخفوهم فذهبوا بهم و أزالوه عن دينهم ، و قالوا معهم في الباطل ، و قيل : معناه فيحبسوهم عن دينهم و يصدونهم عنه ^(١) .

و قوله تعالى: (وَحَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتُ لَهُمْ وَأَمْرَتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا) أي: أمرتهم الشياطين بالشرك ، و حرمتهم عليهم الحلال ، و أحلت لهم الحرام ، فأطاعوهم في ذلك ، فصار الشرك و الفسق و العصيان هو دين أهل الأرض إلا القليل منهم ^(٢) .

و قوله تعالى: (وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقْتَهُمْ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَائِيَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) فالمقت أشد البعض ، و المراد بهذا المقت و النظر ما قبل بعثة رسول الله ﷺ ، و المراد ببقايا أهل الكتاب الباقيون على التمسك بدینهم الحق من غير تبديل ^(٣) . و قيل من أسباب المقت أيضاً الكفر و الجدل ، و قيل من الأسباب مخالفة الفعل القول ، و قيل أيضاً من الأسباب نكاح نساء الآباء ، كل هذا و غيره أسباب مقت الله عز و جل لأهل الأرض إلا قلة من كانوا على الحنفية من أهل الكتاب ^(٤) .

و قوله تعالى: (وَقَالَ إِنَّمَا بَعْثَتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ) فمعناه لأمتحنك بما يظهر منك من قيامك بما أمرتك به من تبليغ الرسالة و غير ذلك من الجهد في الله حق جهاده ، و الصبر في الله تعالى و غير ذلك ، و أبتلي بك من أرسلتك إليهم ، فمنهم من يظهر إيمانه و يخلص في طاعاته ، ومن يتخلف و ينابذ بالعداوة و الكفر و من ينافق .

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، حَقَّ أصوله على خمس نسخ خطية د . محمد عبد الرحمن المرعشلي ، قدم له : محمد صبحي حلاق ، ج ١٧ ، كتاب الجنة و صفة نعيمها و أهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة و أهل النار ، رقم الحديث : ٧١٣٦ ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١١ .

(٣) : انظر : صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

(٤) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١١ - ١٢ .

و قول تعالى: (وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ . تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْطَانَ) ، فأما قوله تعالى : لا يقبله الماء فمعناه محفوظ في الصدور لا يتطرق إليه الذهاب بل يبقى على مر الأزمان . وأما قوله تعالى: تقرؤه نائماً و يقطان فقال العلماء ، معناه يكون محفوظاً لك في حالي النوم واليقظة ، وقيل : تقرؤه في يسر و سهولة^(١) .

و قوله : (وَإِنَّ اللَّهَ أَمْرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرْيَشًا فَقُلْتُ رَبِّ إِذَا يَشْلَغُوا رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةً) أمره ربـه سبحانه أن يحرق قريشاً بالحرب لما عصوا أمره و كفروا و أصرـوا على كفرهم^(٢) ، فـرد عليه رسول الله ﷺ فقال : يـشدـخـوا رـأـسيـ و يـشـجـوهـ كـمـا يـشـدـخـ الخـبـرـ أيـ : يـكـسـرـ^(٣) .

و قوله تعالى: (قَالَ : اسْتَخْرِجُهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجْتُوكَ . وَاغْرِزُهُمْ نُغْزِكَ . وَأَنْفِقْ فَسَنْفِقَ عَلَيْكَ . وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ . وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ) . فـهـؤـلـاءـ المـشـرـكـونـ أـخـرـجـواـ رسـولـ اللهـ ﷺـ مـنـ مـكـةـ ، وـ لمـ يـكـنـفـواـ بـذـلـكـ إـنـماـ حـارـبـهـ ، فـالـلـهـ سـبـحـانـهـ وـ تـعـالـىـ أـمـرـهـ بـأـنـ يـسـتـخـرـجـهـمـ وـ يـغـرـبـهـمـ ، فـهـوـ سـيـقـدـمـ لـهـ الإـعـانـةـ بـالـعـدـةـ وـ الـعـتـادـ ، وـ أـمـرـهـ كـذـلـكـ بـأـنـ يـنـفـقـ فـالـلـهـ سـبـحـانـهـ سـيـنـفـقـ عـلـيـهـ وـ يـمـدـهـ وـ يـفـلـسـ عـدـوـهـ وـ هـوـ يـقـاتـلـ ، وـ أـمـرـهـ كـذـلـكـ بـأـنـ يـبـعـثـ جـيـشـاـ وـاحـدـاـ فـالـلـهـ سـيـبـعـثـ خـمـسـةـ مـثـلـهـ مـنـ الـمـلـائـكـةـ يـعـاـنـوـهـ وـ يـؤـازـرـهـ ، وـ هـذـاـ الجـيـشـ يـكـوـنـ مـنـ أـطـاعـهـ وـ يـتـقـاتـلـ بـهـ مـنـ عـصـاهـ وـ حـارـبـهـ .

و قوله : (وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوْفَقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقُلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى ، وَمُسْلِمٌ . وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ) ذـكرـ صـفـاتـ أـهـلـ الجـنـةـ الـتـيـ يـعـرـفـونـ بـهـاـ فـيـ الدـنـيـاـ وـ هـيـ : السـلـطـانـ العـادـلـ المـوـفـقـ لـمـاـ يـحـبـ اللهـ .

و الرحمة بالمؤمنين والأقارب .

(١) : انظر : صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

(٣) : انظر : صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، ص ١٣٠ .

و الفقراء والتعفف مع أنه معيل يحتاج لأولاده لكن عفته تمنعه من السؤال ^(١).

وقوله: (وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ : الضَّعِيفُ الَّذِي لَا رَبَرَ لَهُ ، الَّذِينَ هُمْ فِيْكُمْ تَبَعًا ...) فأهل النار في الدنيا هم :

ضعيف العقل الذي لا عقل يزجره من المنكرات و الفواحش و إنما هدفه في الحياة الشهوات و المللذات .

الخائن الذي يعيش على الخيانة في الأهل و المال و في كبير الأمور و صغيرها و الذي لا يعرف أحداً إلا للخيانة في أهله و ولادته يرعى حولهم لأجل جوارهم .

و البخيل أو الكذاب و كلامها مذموم .

و الشنطير الفحاش و هو البذيء سيء الخلق ^(٢) .

موضع الشاهد:

(... وَ اغْرِهِمْ نُغْرِكَ ...) .

التحليل البلاغي:

وردت المشاكلة في الحديث القديسي السابق في لفظ (**نُغْرِكَ**) حيث ورد هذا اللفظ ليشأكلا به اللفظ السابق و هو (**اغْرِهِمْ**) فالمشاكلة هنا تحقيقه ، فقد وقع المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً ^(٣) .

فقد خرجت تلك الألفاظ من فيه ﷺ عفو الخاطر دون تكلف أو تصنع ، فخلع ﷺ على المعنى جزالة و فخامة و رصانة منقطعة النظير .

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج٢ ، مرجع سابق ، ص ١٣ - ١٤ .

(٣) : انظر : تعريف المشاكلة ص ١٠٣ - ١٠٢ .

فحينما أمره الله تعالى بأن يحرق قريشاً بالحرب ذكر أنه لا طاقة له بهم ، و إن العتاد و العدة الذي معه لا يقاوم قريشاً بجبروكها و قوتها و إمكانياتها ، فحينئذ قال : (و اغْرِهُمْ نُغْزِكَ) فليس المراد أن الله سبحانه يغزو رسوله صلى الله عليه وسلم و يحاربه ، بل إنه يعينه على غزو المشركين و الكفار ، و ذلك بإرساله ملائكته و إمداده بالعتاد و العدة ، فأتي (نُغْزِكَ) ليشاكِل به اللفظ السابق (اغْرِهُمْ) ، فجاءت كلمة (اغْرِهُمْ) بمعناها الحقيقي و هو الحرب وأما (نُغْزِكَ) فألت بمعنى نعينك و نساعدك و نمدك بما يحقق النصر لك بإذن الله .

و عندما ننعم النظر في قوله: (اغْرِهُمْ) نجده فعل أمر لمفرد واحد فكيف لذلك الفرد الواحد غزو الجماعة ؟ فألت (نُغْزِكَ) كرد سريع للحث على الغزو من جانبه ﷺ دون تردد أو تفكير أو انتظار ، و للدلالة أيضاً على الكثرة و الصلابة و القوة المهيمنة التي سوف تكتسح كل من أمامها ، فهذا كله لن نجده عندما نستبدل كلمة (نُغْزِكَ) بكلمة (نعينك) فسوف نفتقد هذه المزايا و المحسن عندما تتغير و تتبدل بالألفاظ الحقيقة لتلك المعاني المرادة فهنا ندرك السر البلاغي من المشاكلة ، فهو " يثير الانتباه ، و ينشط العقول و يستدعي التفكير و التدبر ، و ذلك لأن المعنى المراد يظهر في لفظ غير لفظه " ^(١) .

(١) دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو سنت ، مرجع سابق ، ١٤٩.

الحديث الثاني:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الزُّهْرِيُّ الْبَصْرِيُّ ، أَخْبَرَنَا مَالِكُ ابْنُ سُعَيْرٍ أَبُو مُحَمَّدِ الْكُوفِيُّ التَّمِيمِيُّ ، أَخْبَرَنَا الْأَعْمَشُ وَعَنْ أَبِي صَالِحٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَا : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا ، وَسَخَّرْتُ لَكَ الْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ ، وَتَرْكُتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ، فَكُنْتَ تَظَنُّ أَنَّكَ مُلَاقِيَ يَوْمَكَ هَذَا ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : لَا ، فَيَقُولُ لَهُ : أَلْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيَتَنِي) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

كان هذا الحديث القدسي في إثبات الكلام للرب عز وجل ، و بيان حال العبد يوم القيمة ، و إظهار فضل الله تعالى على العباد ، فمن نسي الله في الدنيا فإنه عز وجل ينساه يوم القيمة .

فقد بدأ الحديث القدسي بقوله ﷺ : (يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فهنا جملة فعلية مبنية للمجهول فعلها مضارع للدلالة على التجدد والاستمرار . فيقول الله له : (أَلَمْ أَجْعَلْ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا ، وَسَخَّرْتُ لَكَ الْأَنْعَامَ وَالْحَرْثَ ، وَتَرْكُتُكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ ،) بدأت العبارة باستفهام الغرض منه التقرير ، فالرب أنعم على العباد بنعم كثيرة و عظيمة لا تعد ولا تحصى ، و يعجز الإنسان عن ذكرها ، فمن هذه النعم السمع و البصر ، و هي نعم متعلقة بالإنسان نفسه ، و المال و الولد ، و هذه نعم متعلقة به و بين حوله ، و أعطاه الجاه و الغنى ، و سخر له الأنعام و الحرف و جعل له المركز الاجتماعي المرموق بين قومه " (فترأسهم) إذ صار رئيسهم و مقدمهم ، و تربع إذا أخذ ربع الغنية ، يقال: ربعت القوم إذا أخذت ربع أموالهم أي : ألم أجعلك رئيساً مطاعاً ، لأن الملك كان يأخذ ربع الغنية في الجاهلية

(١) : **الجامع الكبير** (سنن الترمذى) ، حققه و خرج أحاديثه و علق عليه ، شعيب الأرناؤوط – جمال عبد اللطيف ، ط ٢ ، ج ٤ ، أبواب صفة القيمة و الرقاد و الورع ، رقم الحديث : ٢٥٩٥ ، (دمشق : الرسالة العلمية ، ١٤١٣ھ) ، ٤٢٥-٤٢٦ .

دون أصحابه ، و يسمى ذلك الربع المرباع " ^(١) ، فسأله الله عز وجل : (فَكُنْتَ تَظْنُنَ أَنَّكَ مُلَاقِيَ يَوْمَكَ هَذَا ؟) بمعنى أكنت تعلم أنك ملاقي الله عز وجل يوم القيمة ؟ و هنا استفهام الغرض منه التقرير فالله سبحانه و تعالى أعلم بما سيقوله و بما سيؤول إليه عبده ؟ و لكنه أراد أن يستخرج ذلك من المتكلم نفسه فتتج عن ذلك إثبات و تأكيد و تقرير ، فتأتي إجابة ذلك العبد بلا فيقول الله له : (الْيَوْمَ أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيَتِي) فمعنى قوله: " اليوم أتركت في العذاب و كذا فسر بعض أهل العلم هذه الآية :

موضع الشاهد:

• ... الْيَوْمِ أُنْسَاكَ كَمَا نَسِيَتَنِي) .

التحليل البلاغي:

وردت المشاكلة في الحديث القدسي السابق بلفظ : (أَنْسَاكَ) حيث ورد هذا
اللفظ ليشأكلي به اللفظة الثانية وهي : (نَسِيَّتِي) فالمشاكلة هنا تتحققية فقد وقع
المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً .

فحاءت كلمة النسيان الثانية بمعنى النسيان الحقيقي و هو نسيان ينسب للإنسان ، و أما النسيان الأولى فتعني إهمال الله عز وجل للعبد يوم القيمة فحاءت بمعنى الترك و الإهمال ، فالله سبحانه و تعالى لا ينسب له النسيان ؛ لأنها صفة قصور و نقص تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، فقد ورد في كتابه : ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّيٍّ فِي

(١) : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، للإمام : المباركفوري ، ضبطه : عبد الرحمن محمد عثمان ، د . ط ، ج ٧ ، دار الفكر للطباعة و النشر ، ص ١١٥ .

(٢) : تحفة الإلحوذى بشرح جامع الإمام الترمذى ، ج ٧ ، مرجع سابق ، ص ١١٥ ، و انظر في معنى الحديث : مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايخ ، تحقيق الشيخ : جمال عيتاني د. ط ، ج ١٠ ، كتاب: أحوال القيامة و بدء الخلق ، باب الحساب و القصاص و الميزان ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، د. ت) ، ص ٢١٤ ، و أيضاً انظر : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ٢٨١ .

كَتَبَ لَأَيَضِلُّ رَقِّيْ وَلَا يَنَسِي ﴿٥﴾^(١) فالله سبحانه وتعالى نَزَّهَ نفسه عن النسيان فهو محيط بكل صغيرة وكبيرة .

فالسرُّ البلاغي من المشاكلة هو حسن الإفادة من أن الصورة صورة التكرير والإعادة ، فالقارئ للوهلة الأولى قد يظن أن النسيان صفة من صفات الله – تعالى الله عن ذلك – و عند التأمل و إثارة الفكر و العقل و تدبر المعنى يجد أن الألفاظ مشتركة و لكن المعاني مختلفة ، فهنا يرسخ المعنى في ذهن المتلقى و يستقر .

و عند التأمل نجد أن اللفظة المشاكلة قد أتت متقدمة ، و ما يزيد في جمال الأسلوب و حسنه و روعته و سمو بلاغته مشاركة المشاكلة لفن بلاغي آخر و هو التشبيه ، فقد شُبِّه نسيان الله تعالى للعبد بمعنى أمنعك الرحمة بنسيان العبد الله بمعنى امتنع عن طاعته ، فتركه الله دون عطف و رحمة ، كما ترك طاعته دون تفكير فيها ^(٢) .

(١) سورة طه: ٥٢.

(٢) الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ٢٨١ .

الحديث الثالث:

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ : حَدَّثَنَا أَبِي : حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ : سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرْتَنِي ، فَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذَكَرْتَنِي فِي مَلَأِ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقْرَبَ مِنِّي شَبِرًا تَقْرَبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقْرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقْرَبَتْ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) ^(١).

المضمون العام للحديث:

يعد هذا الحديث القدسي من أحاديث الرجاء العظيمة التي تحت المسلم على حسن الظن بالله عز وجل والإكثار من ذكره ، وبيان قرب الله من عبده إذا تقرب إليه العبد بأنواع الطاعات.

وقد بدأ الحديث القدسي بقوله تعالى: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي) " أي قادر على أن أعمل به ما ظن أني عامل به ، و قال الكرماني : و في السياق إشارة إلى ترجيح جانب الرجاء على الخوف و كأنه أخذه من جهة التسوية فإن العاقل إذا سمع ذلك لا يعدل إلى ظن إيقاع الوعيد و هو جانب الخوف لأنه لا يختاره لنفسه بل يعدل إلى ظن وقوع الوعد و هو جانب الرجاء... ، و قال ابن أبي حمزة : المراد بالظن هنا العلم... ، و قال القرطبي في المفهم : قيل : معنى ظن عبدي بي ظن الإجابة عند الدعاء ، و ظن القبول عند التوبة ، و ظن المغفرة عند الاستغفار ، و ظن المحازاة عند فعل العبادة بشرطها تمسكاً بصدق وعده... ، و لذلك ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأن الله يقبله و يغفر له لأنه وعد بذلك ، و هو لا يخالف الميعاد ، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها و أنها لا تنفعه فهذا اليأس من رحمة الله و هو من

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : (وَيُحَدِّرُكُمُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ) و قوله جل ذكره : (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) ، رقم الحديث : ٦٩٥٦ ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

الكبار ... ، و أما ظن المغفرة مع الإصرار فذلك محض الجهل و الغرابة و هو يجر إلى مذهب المرجئة ^(١) .

و قوله تعالى : (وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذُكْرِنِي) أي بعلمي ، و قال ابن أبي جمرة : معناه فأنا معه بحسب ما قصد من ذكره لي ، فقال : ثم يحتمل أن يكون الذكر باللسان فقط ، أو بالقلب فقط ، أو بهما أو بامتثال الأمر و اجتناب النهي ^(٢) .

و قوله : (فِإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي) أي إن ذكريني بالتنتزه و التقديس سرّاً ذكرته بالثواب و الرحمة سرّاً . و قال ابن أبي جمرة : يحتمل أن يكون مثل قوله تعالى : ﴿فَاذْكُرُوهُنَّ أَذْكُرُكُمْ﴾ [البقرة : ١٥٢] و معناه : اذكريني بالتعظيم أذكريكم بالإنعم ... ^(٣) .

و قوله : (وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلِإِ ذَكْرُتُهُ فِي مَلِإِ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ) قال بعض أهل العلم : يستفاد منه أن الذكر الخفي أفضل من الذكر الجهري ، و التقدير : إن ذكريني في نفسه ذكرته بثواب لا أطلع عليه أحداً ، و إن ذكريني جهراً ذكرته بثواب أطلع عليه الملا الأعلى ^(٤) .

و قوله : (وَإِنْ تَقْرَبَ مِنِّي شِبْرًا تَقْرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِنْ تَقْرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقْرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) فمعناه قال الخطابي : " في مثل مضاعفة الثواب يقبل ، من أقبل نحو آخر قدر شبر فاستقبله بقدر ذراع ، قال : و يحتمل أن يكون معناه التوفيق له بالعمل الذي يقربه منه ، و قال الكرماني : لما قامت البراهين على استحالة هذه الأشياء في حق الله تعالى وجب أن يكون المعنى : من تقرب إلى بطاعة قليلة جازيتها بثواب كثير ، وكلما زاد في الطاعة أزد في الثواب و إن

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب و يحذركم الله نفسه ، ج ١٣ ، ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٤٧٣ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٤٧٣ .

(٤) : المرجع السابق ، ص ٤٧٣ .

كانت كيفية إتيانه بالطاعة بطريق التأني يكون كيفية إتياني بالثواب بطريق الإسراع ، و الحاصل أن الشواب راجح على العمل بطريق الكيف والكم ، و لفظ القرب و المرولة مجاز على سبيل المشاكلة أو الاستعارة و إرادة لوازمه " ^(١) .

موضع الشاهد:

- (... إِنْ ذَكَرْنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ...) .
- (... وَإِنْ ذَكَرْنِي فِي مَلَءِ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَءِ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ...) .
- (... وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً ...) .

التحليل البلاغي:

وردت المشاكلة في هذا الحديث القدسي بعدة مواضع ؛ ففي الموضع الأول: (ذَكَرْتُهُ) يشكل به اللفظ (ذَكَرْنِي) ، فالمشاكلة هنا تحقيقية فقد وقع المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقا ، فذكر الإنسان مختلف عن ذكر الله سبحانه و تعالى ، فذكر الإنسان يكون بالتنزيه والتقديس والتوحيد لله تعالى ، و ذكر الله يكون بالثواب و الرحمة و الإعانة و المداية و المغفرة ، و إن ذكر الإنسان الله سرًا فسيجازيه و يأجره سرًا لا يطلع على ثوابه أحد ، و إن ذكره جهرا في جماعة من الناس فسيذكره بشواب يطلع عليه الملا الأعلى .

و ما لا شك فيه أن للمشاكلة سرًا بلاغياً فهي تخدع المتلقى ، ففي النظرة الأولى يتوهם أن المعنى الثاني هو عين الأول ، و لكنه بعد إدامة النظر و إعمال الفكر يعلم أنه

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، ص ١٣ ، باب ذكر النبي ﷺ و روایته عن ربه .

غيره ، وأن اللفظين وإن باتا على شاكلة واحدة ، فإن معنى كل منهما مختلف عن الآخر ، وهذا أدعى إلى استقرار المعاني و رسوخها في الذهن ^(١) .

ففي المشاكلة السابقة حتّى على ذكر الله تعالى في أي حال سواء جھرًا أو سرًّا ، وإن كان السرّ أفضل من الجھر.

و في الموضع الثاني وردت المشاكلة في اللفظين : (تَقْرِبُتْ) و (أَتَيْتُهُ) ليشاكلاً بها اللفظين : (تَقْرَبَ) و (أَتَانِي) ، و المشاكلة تتحقيقية فقد وقع المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً ، فالمعنى من تَقْرَبَ إلَيْ بطاعتي ، تقربت إليه برحمتي ، و بال توفيق والإعانة وإن زاد في الطاعة ، زدته توفيقاً وإعاناً ، فإن أتاني يعشى وأسرع في طاعتي ، أتيته هرولة ، أي صببت عليه الرحمة ، و سبقته بها و لم أحوجه إلى المشي الكثير للوصول إلى المقصود . و المراد أن جزاءه يكون تضعيقه على حسب تقريره إلينا بالطاعة ^(٢) .

ففي المشاكلة نجد أن الألفاظ هي نفسها ، و لكن المعاني مختلفة تماماً فتظهر حسن الإفادة من أن الصورة صورة التكرير والإعادة ، وفيها تنبيه للمتلقي ، و تنشيط للذهن ، و إعمال الفكر (كيف يذكره الله في نفسه؟ ، كيف يذكره الله في ملأ خيراً منهم؟ كيف يتقارب إليه ذراعاً و باعاً؟ وكيف يأتي الله هرولة؟) فمن هنا ندرك السرّ البلاغي من المشاكلة .

و ما زاد في جمال المشاكلة و رونقها و بحاجتها اكتسائها بأسلوب الشرط ، فقد أحدث كل من فعل الشرط و جوابه تناغماً موسيقياً رناناً أضفى على الأسلوب برمهه روعة و بلاغة و بهاء ، فعندما نقف عند فعل الشرط نجد الجواب حاضراً مسرعاً متمكناً من موقعه ، موظفاً أسمى توظيف فنجرده في :

• (فإنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي) .

(١) : دراسات منهجية في علم البدع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ١٤٩ .

(٢) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

- (وَإِنْ ذَكَرْنِي فِي مَلَأٌ ذَكْرُتُهُ فِي مَلَأٍ هُمْ خَيْرٌ مِّنْهُمْ) .
- (وَإِنْ تَقْرَبَ مِنِّي شِبْرًا تَقْرَبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا) .
- (وَإِنْ تَقْرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقْرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا) .
- (وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) .

فالمتأمل خمس أساليب شرط كل من فعلها و جوابها أفعال ماضية تدل على الثبات
و الاستقرار و التأكيد و الجزم .

الحديث الرابع:

حدّثنا زهير بن حرب . حدّثنا جرير عن سهيل ، عن أبيه عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إنَّ اللَّهَ ، إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا ، دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّهُ . قال فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ . ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فِي قَوْلٍ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّهُ . فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَالَ ثُمَّ يُوَضِّعُ لَهُ الْقُبُولُ فِي الْأَرْضِ . وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فِي قَوْلٍ : إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُهُ . قال فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ . ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُهُ . قال فَيُبْغِضُهُ . ثُمَّ تَوَضَّعُ لَهُ الْبَغْضَةُ فِي الْأَرْضِ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

هذا الحديث القدسي يبين علامات حب الله تعالى للعبد ، و يحيث على التخلق بها و السعي في تحصيلها .

بدأ الحديث القدسي بجملة اسمية تدل على الثبات والاستقرار ، و مؤكدة بمؤكد و هو (إنَّ) فقال : (إنَّ اللَّهَ ، إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا ، دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّهُ . قال فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ . ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فِي قَوْلٍ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّهُ . فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ، قَالَ ثُمَّ يُوَضِّعُ لَهُ الْقُبُولُ فِي الْأَرْضِ) ، " قال العلماء: محبة الله تعالى لعبد هو إرادته الخير له ، و هدايته ، و إنعامه عليه ، و رحمته " ^(٢) ، فعندما يحبه الله عز و جل يدعو جبريل عليه السلام كي يحبه ، ثم ينادي جبريل بأهل السماء كي يحبوه أيضًا ، و أمّا عن كيفية حب جبريل و الملائكة فتحتمل وجهين : " أحدهما : استغفارهم له و ثناؤهم عليه و دعاؤهم . و الثاني : أن محبتهم على ظاهرها المعروف من المخلوقين ، و هو ميل القلب إليه اشتياقاً إلى لقائه ،

(١) : صحيح مسلم بشرح النووي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ج ١٥ ، كتاب البر و الصلة و الآداب ، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .

(٢) : المرجع السابق ، ١٥١ .

و سبب حبهم إياه كونه مطيناً لله تعالى محبوباً له ، و معنى يوضع له القبول في الأرض أي الحب في قلوب الناس و رضاه عنده فتميل إليه القلوب و ترضي عنه " ^(١) .

أمّا إذا أبغض و كره الله عبداً ، " فمعنى بغضه إرادة عقابه أو شقاوته و نحوه " ^(٢) ، فيدعوه جبريل عليه السلام كي يبغضه ، فینادي جبريل أهل السماء كي يبغضوه و معنى البغض قد يكون البغض الحقيقي و هو كره ذلك العبد و النفور منه ، و سبب بغض الله للعبد كونه مخالفًا و عاصيًّا لله تعالى ، و معنى توضع له البغضاء في الأرض نفور القلوب منه و كره الناس له و سخطهم عليه .

موضع الشاهد:

• (... إِذَا أَحَبَ اللَّهُ عَبْدًا ، دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبْهُ .
قال فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ . ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّهُ . فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ...) .

• (... وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ : إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُهُ .
قال : فَيُبَغْضُهُ جِبْرِيلُ . ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ : إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُهُ . قال : فَيُبَغْضُهُ ...) .

التحليل البلاغي:

وردت المشاكلة في الحديث القدسي السابق بموضوعين ، الأول : وقعت في لفظي (فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ) حيث ورد هذان اللفظان ليشاكلا بعدهما اللفظ السابق و هو (أُحِبُّ) فالمشاكلة هنا تحقيقية فقد وقع المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحته تحقيقاً .

(١) : انظر : صحيح مسلم بشرح النووي ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ج ١٥ ، كتاب البر و الصلة و الآداب ، باب إذا أحب الله عبداً حبه إلى عباده ، مرجع سابق ، ص ١٥١ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ١٥١ .

فاللفظة الأولى (**أَحِبُّ فُلَانًا**) فمحبة الله للعبد تعني إرادته الخير له ، و هدایته ، و إنعامه عليه ، و رحمته ، و حصول الثواب له ، أما اللفظان المتشاكلان (**فَيُحِبُّهُ جَبْرِيلٌ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ**) فهنا محبة مختلفة عن محبة الله تعالى ، فيعني استغفار جبريل و الملائكة للعبد ، و ثناءهم عليه و دعاءهم له و قد تعني الحبّة على ظاهرها ، و هو ميل القلب للعبد و اشتياقه إلى لقائه ، و إرادتهم له خيري الدنيا و الآخرة .

و أما الموضع الثاني فنجد أن المشاكلة وقعت في لفظي (**فَيُبِغضَهُ جَبْرِيلٌ ، فَيُبِغضُهُ**) حيث ورد هذان اللفظان ليشاكل بهما اللفظ السابق و هو (**أَبْغَضُ**) فالمشاكلة تحقيقة فقد وقع المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً .

فاللفظة الأولى (**أَبْغَضُ فُلَانًا**) يعني أن بعض الله للعبد يكون بإرادة عقابه أو شقاوته ، أما اللفظتان المتشاكلتان (**فَيُبِغضَهُ جَبْرِيلٌ ، فَيُبِغضُهُ**) فقد تعني البغض الحقيقي، أي : الكره و النفور و السخط عليه .

فالتأمل في (**أَحِبُّ فُلَانًا ، فَيُحِبُّهُ جَبْرِيلٌ ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ**) ، (**أَبْغَضُ فُلَانًا ، فَيُبِغضَهُ جَبْرِيلٌ ، فَيُبِغضُهُ**) يجد أن المشاكلة قد أثارت الانتباه و نشطت العقول و استدعت التفكير و التدبر ، و ذلك لأن المعنى المراد يظهر في لفظ غير لفظه ، فيبدو في رداء غير مألوف و لباس غير معتمد ، مما يثير انتباه المتلقى ، و يستدعي اصغاءه ، و يبعث عقله على التفكير في اللفظ المعروض عليه ، و المعنى المراد منه فإذا علمه بعد ذلك تأكد و ثبت عنده^(١) فهنا ندرك القيمة البلاغية للمشاكلة .

(١) دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ١٤٩ .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ ابْنُ أَبِي مُزَرٍّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحْمُ فَأَخَذَتِ بِحَفْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ مَهْ قَالَتْ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ إِلَيْكَ مِنْ الْقَطْيِعَةِ ، قَالَ : أَلَا تَرْضِيْنَ أَنْ أَصِلَّ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ ، قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَذَاكِ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تَوَلَّتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُنَقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾)^(١).

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له^(٢).

موضع الشاهد:

(...أَنْ أَصِلَّ مَنْ وَصَلَكِ ...) ، (...أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ...) .

التحليل البلاغي:

وردت المشاكلة في الحديث القدسي السابق في لفظي (أَصِلَّ وَأَقْطَعَ) حيث ورد هذان اللفظان ليشاكل بهما اللفظين التاليين لهما و هما (وَصَلَكِ وَقَطَعَكِ) ، و المشاكلة تحليلية فقد وقع المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحييناً.

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، باب (وَنَقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ) ، رقم الحديث : ٤٥١١ ، مرجع سابق ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) : انظر : البحث ، ص ٩١ .

فالحديث القدسي فيه توضيح لعظم شأن الرحم و فضل واصلها و إثم قاطعها ، و كان للمشاكلة دورها في تحقيق هذا المعنى أشد تحقيقاً و أروعه ، فالناظر في الألفاظ (أَصِلَّ ، وَصَلَكِ ، أَقْطَعَ ، قَطَعَكِ) يتواهم أن المعنى واحد ، ولكن بعد إدامة النظر نجد أن اللفظين و إن كانوا على شاكلة واحدة إلا أن معنى كل منهما مختلف عن الآخر، و من هنا يرسخ و يستقر المعنى في ذهن المتلقى ، فاللفظان (وَصَلَكِ ، قَطَعَكِ) يعنيان وصل الإنسان لرحمه ، و اللفظان (أَصِلَّ ، أَقْطَعَ) بمعنى يصل الله رحمته لواصل رحمه ، و يقطع رحمته لقاطع رحمه ، قال النووي : " و اختلفوا في حد الرحم التي يجب صلتها فقيل : في كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكرًا ، و الآخر أنثى حرمت منا كحتهما فعلى هذا لا يدخل أولاد الأعمام و أولاد الأحوال ، و احتاج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة و عمتها أو خالتها في النكاح و نحوه ، و جواز ذلك في بنات الأعمام ، و قيل : هو عام في كل رحم من ذوي الأرحام في الميراث يستوي المحرم و غيره ، و يدل عليه قوله ﷺ : (ثم أدناك ثم أدناك) قلت : و هذا هو الصحيح لقوله تعالى : ﴿وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِعَيْنِ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^(١) و أما ما قاله القائل الأول فإنما هو تعريف ذي رحم محرم لا مطلق الرحم و الله أعلم "^(٢) .

و من الملاحظ أن اللفظ الذي وقعت فيه المشاكلة جاء متقدماً ، حيث جاء كل من : (أَصِلَّ و أَقْطَعَ) على (وَصَلَكِ و قَطَعَكِ) و هو مما زاد في بهاء المشاكلة و روتها.

و مما لا شك فيه أن المشاكلة كان لها دور بارز في تلاميذ أجزاء الكلام و ترابطها ، حيث إن هذا الحديث القدسي مبني على الحوار بين الله تعالى و الرحم .

(١) : سورة الأنفال: ٧٥

(٢) : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصايح ، ج ٩ ، كتاب الآداب ، باب البر و الصلة ، ص ١٤٢ .

المبحث الثالث :

اللتورية

التعريف باللون البديعي:

التورية عد ابن الأصبع المصري : " يسمى التوجيه ، و هو أن تكون الكلمة تحتمل معنيين ، فيستعمل المتكلّم أحد احتماليها و يهمل الآخر ، و مراده ما أهمله لا ما استعمله " ^(١) .

و أطلق السكاكي على التورية (الإيمان) و عرّفها : " بأن يكون للفظ استعمالان : قريب و بعيد ، فيذكر لايهم القريب في الحال إلى أن يظهر أن المراد به البعيد " ^(٢) .

و قد عرّف الخطيب القزويني التورية : " أن يطلق لفظ له معنيان : قريب و بعيد ، و يراد به البعيد منهما " ^(٣) .

و شرح التفتازاني قول الخطيب السابق بقوله : " (التورية و يسمى الإيمان أيضاً) و هو أن يطلق لفظ له معنيان قريب و بعيد و يراد البعيد) اعتماداً على قرينة خفية ... " ^(٤) .

و ذكر ابن يعقوب المغربي : " (التورية) أي النوع المسمى بالتورية أخذنا من ورى بلفظه إذا أخفى مراده (و يسمى) هذا النوع (الإيمان أيضاً) لأن فيه كما يظهر من معناه خفاء المراد و إيهام خلافه ، (و هو) أي هذا النوع المسمى بالتورية و الإيمان هو (أن يطلق لفظ له معنيان) في نفس الأمر أحدهما (قريب و) الآخر (بعيد و يراد) به حال الإطلاق (البعيد) من معنييه ، و لابد أن تكون

(١) : تحرير التحبير ، ٢٦٨ .

(٢) : مفتاح العلوم ، ٢٠١ .

(٣) : الإيضاح في علوم البلاغة ، ٣٤٨ .

(٤) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٢٢-٣٢٣ .

إرادة البعيد معتمداً فيها على قرينة خفية . و أما أن كانت ثم قرينة ظاهرة صار المعنى قريباً بها وإن كان بعيداً في أصله ، فيخرج عن معنى التورية ، فإن لم تكن ثم قرينة أصلاً لم يفهم إلا القريب فيبطل حكم الإرادة و يخرج اللفظ عن التورية أيضاً ؛ إذ لو جوزناها بلا قرينة أصلاً خرج لفظها عن قانون الاستعمال ، و هو إفهام المراد . فإن قيل المعنى بعيد في التورية مرجح الاستعمال فلا يكون اللفظ فيه إلا مجازاً و هذا المعنى موجود في كل مجاز فحينئذ كل مجاز يكون تورية ، و ظاهر كلامهم التورية حقيقة مبادئ للمجاز و إلا كان كل مجاز من البديع ، قلت بعد تسليم أن المعنى بعيد لا يكون اللفظ فيه إلا مجازاً : لا يلزم منه اتحاد المجاز و التورية ، فيكون اللفظ مجازاً باعتبار إطلاقه على غير معناه مع وجود القرينة الصارفة له عن الأصل ، و يكون تورية باعتبار كون المراد بعيداً مع خفاء القرينة ، لما تقدم أنا نشترط في كونه تورية خفاء القرينة ، فتلاقي التورية المجاز في مادة واحدة مع كونها غيره ، فإن ظهرت القرينة لم تلتقه أصلاً . على أن لنا أن نقول : أي مانع من أن يكون أحد معنوي المشترك بعيداً باعتبار الاستعمال ؟ ، و لو صح النقل بأن اللفظ فيما مشترك فيظهر كون التورية لا ترتكن بالمجاز " ^(١) .

و علق صاحب العروس على قول الخطيب : " (و منه التورية الخ) ش أي من المعنوي التورية و هي مصدر وريت الخبر إذا سترته و أظهرت غيره كأنه مأخوذ من وراء الإنسان كأنه يجعله وراءه حيث لا يظهر ، و يسمى أيضاً الإيهام و هو أن يطلق لفظ له معنيان قريب و بعيد و يراد البعيد و المراد بقولنا قريب و بعيد : قريب الفهم و بعيده ، فإن المعنى نفسه لا يوصف ببعد و لا قرب ، و المراد بالمعنىين أكثر من معنى . و أعلم أن قولهم لفظ له معنيان يراد البعيد يتأتى بأن يكون اللفظ له حقيقة مجاز فيراد مجازه و إن كان غير راجح ، أو حقيقته المرجوحة إن كان مجازه راجحاً ،

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٢٣-٣٢٤ .

أو يكون مشتركاً و يغلب استعماله في أحدهما بحيث يصير الذهن يتادر إليه دون الآخر ...^(١).

و ذُكِرَ في حاشية الدسوقي أنَّ : " (قوله : التورية) منقولة من مصدر ورى الخبر إذا ستره و أظهر غيره لأنَّ فيها ستر المعنى بعيد بالقريب ، (قوله : و يسمى) أي ذلك النوع الإيهام ؛ لأنَّ فيه خفاء المراد و إيهام خلافه (قوله : له معنian) أي أو أكثر كما في الأطول فهوأخذ بالأقل ، و سواء كان المعنيان حقيقين أو مجازيين أو أحدهما حقيقة و الآخر مجازياً لا يعتبر بينهما لزوم و انتقال من أحدهما للآخر ، و بهذا تمتاز التورية عن المجاز و الكناية ، و يعلم أنَّ التورية ليست من إبراد المعنى بطرق مختلفة في وضوح الدلالة حتى تكون من علم البيان ، نعم إذا كان المعنيان مجازيين أو أحدهما مجازياً كانت من علم البيان بالنسبة إلى المعنى الحقيقي لهما أو لأحدهما ، و أما بالنسبة إلى المعنى الذي هو تورية بالقياس إليه فلا ؛ إذ لا علاقة بينهما ، و لا انتقال من أحدهما إلى الآخر فتدبر فإنه مما خفى على بعض الأذكياء . قاله عبد الحكيم (قوله : قريب و بعيد) أي قريب الفهم لكثرة استعمال اللفظ فيه ، و بعيد عن الفهم لقلة استعمال اللفظ فيه ، فكأنَّ المعنى القريب سائر للبعيد و البعيد خلفه وبه صارت التورية من المحسنات المعنوية ، فإنَّ إرادة المعنى المقصود تحت الستر كالصورة الحسية فلو كان المعنيان متساوين في الفهم لم يكن تورية بل إجمالاً ، و قوله : اعتماداً على قرينة ، أي : و إن لم يكن هناك قرينة أصلاً لم يفهم إلا القريب فيخرج اللفظ عن التورية (قوله : خفية) أي لأجل أن يذهب الوهم قبل التأمل إلى إرادة المعنى القريب ، فلو كانت القرينة واضحة لم يكن اللفظ تورية لعدم ستر المعنى القريب للبعيد . و اعلم

(١) : شروح التلخیص ، ج ٤ ، ٣٢٢-٣٢٣ .

أن خفاء القرينة لا يشترط أن يكون بالنسبة للمخاطب بل يكفي ولو باعتبار السامعين ...^(١).

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البدائي المعنوي (التورى)، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه.

الحديث الأول:

حدّثنا مُوسَى بن إِسْمَاعِيل ، حدّثنا حَمَّاد ، و حدّثنا هناد - يعني ابن السّري - عَنْ أبي الأحوص ، المعنى عَنْ عطاء بن السائب ، قَالَ مُوسَى : عَنْ سَلْمَانَ الْأَغْرِ ، وَ قَالَ هناد : عَنْ الْأَغْرِ أَبِي مُسْلِمٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ هناد : قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : الْكَبِيرِيَاءُ رِدَائِيٌّ ، وَ الْعَظَمَةُ إِزارِيٌّ ، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَدْفُتُهُ فِي النَّارِ)^(٢).

المضمون العام للحديث:

ورد الحديث القدسي السابق في سياق النهي عن الكبر و الاستعلاء على الخلق و معناه قال الشيخ الخطابي: "إن الكبriاء و العظمة صفتان لله سبحانه، اختص بهما لا يشركُه أحد فيهما ، و لا ينبغي لملحق أن يتبعاًهما ؛ لأن صفة المخلوق : التواضع و التذلل ، و ضرب الرداء و الإزار مثلاً في ذلك . يقول - و الله أعلم - : كما لا يشركُ الإنسان في ردائه و إزاره أحد فكذلك لا يشركني في الكبriاء و العظمة مخلوق و الله أعلم "^(٣).

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٢٣-٣٢٢ .

(٢) : سنن أبي داود ، تعليق : عزت عبيد الدعايس و عادل السيد ، ط١ ، ج ٤ ، كتاب اللباس ، باب ما جاء في الكبر ، رقم الحديث: ٤٠٩٠ ، (بيروت : دار ابن جزم ، ج ٤١٨ ، ٢٢٦-٢٢٧) ، ص ٥١٤١٨ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٢٢٦ .

و قال الشيخ ابن عثيمين " ... فمن نازع الله في عزته و أراد أن يتخد سلطاناً كسلطان الله ، أو نازع الله في كبرياته و تكبر على عباد الله ، فإن الله يعذبه على ما صنع و نازع الله تعالى فيما يختص به " ^(١) .

فتبيان من خلال الحديث شدة تحريم الكبراء و العظمة فهي ملك الله تعالى ، و من أراد أن ينزع الله في ملكه فسيقذفه الله في نار جهنم و بئس المصير .

و قيل : " يجوز أن يكون الرداء إن شاء الله عبارة عن الجمال و البهاء و الإزاراء عبارة عن الجلال و الستر و الحجاب ، كأنه تعالى يقول : لا يحمل الكبراء ، و لا يحسن بأحد إلا بي ؛ لأن من دون الله فصغر ، الحدث له لازم ، و نسبة العجز عليه ظاهر ، و الاضطرار عليه بين ، فكيف يحمل الكبراء من لا ينفك من الحدث و الاضطرار و العجز و الافتقار ، بل يحمل ذلك بال قادر القهار القوي الجبار الغني العلي الواهب المعطي سبحانه ليس كمثله شيء ، و الإزار عبارة عن الستر و الحجاب و الامتناع عن الإدراك و الإحاطة به علمًا و كيفية لذاته و صفاته كان معناه : حجبت خلقي عن إدراك ذاتي و كيفية صفاتي بالعظمية و الجلال ، فقد ونيت الإنس عن كنه صفاته ، و خنست العقول عن كيفية ذاته ، و فرت الأوهام عن حقائق نعوتة ، إذ هو الله الذي ليس كمثله شيء و هو السميع البصير ، و معنى المنازعه الدعوى قوله و عبارة و فعلاً و إشارة ، و الله أعلم بحقيقة المعنى فيه و المراد منه . انتهى " ^(٢) .

موضع الشاهد :

(الكبيراء ردائي ، و العظمة إزارى ...) .

التحليل البلاغي:

تظهر التوربة في الحديث القدسي السابق في لفظي : (ردائي ، إزارى) ، فالمعنى القريب: الشياب المحسوسة ، و المعنى بعيد: ضرب الله سبحانه و تعالى الرداء و الإزار

(١) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .

(٢) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، ص ١٧٦ - ١٧٧ .

مثالاً ، فصفتها الكبriاء و العظمة خاصستان بالله تعالى ملتصقتان به ، فكما أن الرداء و الإزار يلتصقان بالإنسان و يلزمانه ، و لا يقبل أن يشاركه أحد في ردائه و إزاره ، فذلك الخالق جل و علا جعل هاتين الصفتين ملازمتين له و من خصائص ربوبيته و ألوهيته فلا يقبل أن يشاركه فيهما أحد .

و التورية مبينة^(١) و قد ذكر فيها لازم من لوازم المعنى البعيد و هو : (فمن نازعني واحداً منهما) فهنا تتبين و تتضح التورية و تتقرب ، و قد ورد اللازم بعد لفظي التورية .

و يظهر السرُّ البلاغي من التورية بأنها فن يحتاج إلى تأمل و تدبر ، و من ثم يدرك المتلقى المعنى المراد ، فمن الحال أن يكون الله تعالى رداء و إزار ، و لكنه يريد أن يبين أن العظمة و الكبriاء من خصائصه سبحانه لا يشاركه و لا ينazuه فيها أحد ، كما أن الرداء و الإزار لا يقبل الإنسان أن يشاركه فيهما أحد ، فإذا عرف المتلقى المعنى بعد تدبر و إطالة نظر و جهد ثبت في ذهنه و تأكّد لديه .

و مما يزيد من جمال التورية في الحديث السابق وجود الاستعارة فمعنى الاستعارة : "أن الإزار و الرداء يلتصقان بالإنسان ، و يلزمانه ، و هما جمال له . قال: فضرب ذلك مثلاً لكون العز و الكبriاء بالله تعالى أحق ، و له ألزم و اقتضاهما جلاله ... " ^(٢) .

(١) : التورية المبينة : هي ما ذكر فيها لازم المعنى البعيد المورى عنه ، و سميت مبينة لأن هذا اللازم يبينها و يقربها ، (علم البديع ، بسيوني عبد الفتاح فيود ، مرجع سابق ، ص ١٧٩) .

(٢) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، ص ١٧٧ .

الحديث الثاني:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ ، حَدَّثَنَا الْيَتْمَى قَالَ : حَدَّثَنِي ابْنُ الْحَادِ ، عَنْ عَمِّرٍو مَوْلَى الْمَطَّلِبِ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ اللَّهَ قَالَ : إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِيهِ فَصَبَرَ عَوْضَتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ - يُرِيدُ عَيْنَيْهِ) ^(١).

المضمون العام للحديث:

وضحت الحديثة القدسية السابقة فضل من ذهب بصره ، فقد بدأ الحديث بقوله : (إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتِيهِ) بالتشنيه ، وقد فسرها آخر الحديث بقوله «يريد عينيه» و لم يصرح بالذى فسرهما ، و المراد بالحبيتين : المحبوبان ؛ لأنهما أحب أعضاء الإنسان إليه ، لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به ، أو شر فيجتنبه .

قوله (فَصَبَرَ) : المراد أن يصبر مستحضرًا ما وعد الله به الصابر من الثواب ، لأن يصبر مجردًا عن ذلك ؛ لأن الأعمال بالنيات ، و ابتلاء الله عبده في الدنيا ليس من سخطه عليه ، بل إما لدفع مكروه ، أو لکفارة ذنب ، أو لرفع منزلة ، فإذا تلقى ذلك بالرضا تم له المراد .

قوله : (عَوْضَتُهُ مِنْهُمَا الْجَنَّةَ) و هذا أعظم العوض ، لأن الالتزام بالبصر يفني بفناء الدنيا و الالتزام بالجنة باقي ببقائهما ، و هو شامل لكل من وقع له ذلك بالشرط المذكور ^(٢) .

موضع الشاهد:

(١) : صحيح البخاري ، كتاب المرضى ، باب فضل من ذهب بصره ، رقم الحديث : ٥٦٥٣ ، ص ١١١.

(٢) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١٠، كتاب المرضى ، باب فضل من ذهب بصره ، ص ١٣٢ .

(إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِّيَّتِهِ ...).

التحليل البلاغي:

تظهر التورية في الحديث القدسي السابق في لفظ (بِحَبِّيَّتِهِ) ، فالمعنى القريب : المحبوبتان ، و المعنى بعيد : العينان ، و لم يصرح بذلكها ، و ذكر حبيتيه لأن العينين من أحب أعضاء الإنسان إليه لما يحصل له بفقدهما من الأسف على فوات رؤية ما يريد رؤيته من خير فيسر به ، أو شر فيحتنبه .

و التورية مجردة ^(١) ؛ لأنه جُرد اللفظ من الملائم للمعنى القريب و المعنى بعيد .

و مما لا شك فيه أن السرّ البلاغي من التورية يظهر في خفاء المعنى و إظهاره بغیره و تستره ، و بعد إنعام النظر يظهر المعنى المراد ، و يظهر بقوله (بِحَبِّيَّتِهِ) أن العينين من أحب الحواس و الأعضاء للإنسان ، " فما من إنسان يقبض الله حبيتيه - يعني عينيه - فيعمى ثم يصبر إلا عوضه الله بهما الجنة ؛ لأن العينين محبوبتان للإنسان فإذا أخذهما الله عز وجل و صبر الإنسان و احتسب فإن الله يعوضه بهما الجنة " ^(٢) .

فعندما ندرك المعنى المراد بعد فكر و تأمل يثبت و يستقر و يرسخ في النفوس .

و مما زاد في بحجة الأسلوب و سموه التشبيه ؛ حيث شبّه العين في الحديث بالمحبوبة ، فعندما يفقد الحبيب محبوبته يتابه الحزن و الأسى و يعتصره الألم ، و يشحب لونه و تظلم حياته ، فكذلك الإنسان عندما يفقد عينيه ، إلا أن الثاني إن

(١) : التورية المجردة : وهي التي لم يذكر معها لازم من لوازم المعنى القريب المورى بها ، و لا من لوازم المعنى البعيد المورى عنه ، أو ذكر فيها لازم لكل منها... ، (علم البديع ، بسيوني عبد الفتاح فود ، مرجع سابق ، ص ١٧٥) .

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، ص ٣١٣ .

صبر عوضه الله الجنة . فعلى الإنسان الصبر و تفويض الأمر و تسليمه الله تعالى فالضجر و القلق يفقده الثواب .

الحديث الثالث:

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْخَنْظَلِيُّ . أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ الْعَلَاءِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمْ الْقُرْآنِ فَهِيَ حِدَاجٌ) ثَلَاثَةِ غَيْرِ تَكَامٍ . فَقَيْلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ : إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ . فَقَالَ : افْرِجْ إِلَيْنَا فِي نَفْسِكَ . فَإِنِّي سَعَثْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ . فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي . وَإِذَا قَالَ : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَنْتَ عَلَيَّ عَبْدِي . وَإِذَا قَالَ : ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ . قَالَ : مَجَدَنِي عَبْدِي (وَقَالَ مَرَّةً : فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي) فَإِذَا قَالَ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ . قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ . فَإِذَا قَالَ : ﴿أَهَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْفَقْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا آنْكَارَ لَنَ﴾ قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

ما لا شك فيه أن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام ، و أنها من أهم العبادات ؛ فهي العهد بين المسلمين والكفار ، وهي عمود الإسلام ، و الصلاة صلة بين العبد و ربه ، ففي كل يوم و ليلة يتوجه الإنسان إلى خالقه و يقف بين يديه ، منقطعاً عن شواغل الحياة الدنيا فضلاً عليه بالحمد و الشكر و الثناء و الدعاء .

و الحديث القدسي السابق بين وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، فقد بدأ الحديث بقوله عليه السلام : (مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمْ الْقُرْآنِ فَهِيَ حِدَاجٌ) ، قال الخليل

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ٣ ، كتاب الصلاة ، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة ، و إنه إذا لم يحسن الفاتحة و لا أمكنه تعلمهاقرأ ما يتيسر له من غيرها ، رقم الحديث: ٣٩٥ ، مرجع سابق ،

ابن أحمد و الأصمي و أبو حاتم السجستاني و المروي و آخرون: الخداج التقصان. يقال: خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوان التاج ، و إن كان تام الخلقة . و أخدجته إذا ولدت ناقصاً ، و إن كان لتمام الولادة . و منه قيل لذوي اليدين : مخدج اليد ، أي ناقصها . قالوا : فقوله ﷺ «خداج» أي ذات خداج . و قال جماعة من أهل اللغة : خدجت و أخدجت ، إذا ولدت لغير تام .

و أم القرآن اسم الفاتحة و سميت أم القرآن لأنها فاتحة كما سميت مكة أم القرى لأنها أصلها^(١) .

ثلاثاً ، غير تام أي ناقصة ، و التمام ضده التقص فقيل لأبي هريرة : إنا نكون وراء الإمام . فقال : (اقرأ بها في نفسك) فمعناه اقرأها سراً بحيث تسمع نفسك^(٢) .

و قوله سبحانه و تعالى : (قَسَّمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَ بَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَ لِعَبْدِي مَا سَأَلَ ... الحديث) ، المراد بالصلاحة هنا الفاتحة ، سميت بذلك لأنها لا تصح إلا بها ، كقوله ﷺ : (الحج عرفة) ففيه دليل على وجوبها بعينها في الصلاة ، قال العلماء : و المراد قسمتها من جهة المعنى لأن نصفها الأول تحميد الله تعالى و تمجيده و ثناء عليه و تفويض إليه ، و النصف الثاني سؤال و طلب و تضرع و افتقار ، و احتاج القائلون بأن البسمة ليست من الفاتحة بهذا الحديث ، و هو من أوضح ما احتجوا به ، قالوا : لأنها سبع آيات بالإجماع ، فثلاث في أولها ثناء ، أولها الحمد لله ، و ثلاث دعاء أولها اهدنا الصراط المستقيم ، و السابعة متوسطة و هي إياك نعبد و إياك نستعين ، قالوا: و لأنه سبحانه و تعالى قال : (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين) ، فلم يذكر البسمة و لو كانت منها لذكرها ، و أجاب أصحابنا و غيرهم من يقول إن البسمة آية من الفاتحة بأجوبة :

(١) : المرجع السابق ، ص ٨٦ - ٨٧.

(٢) : المرجع السابق ، ص ٨٨ .

أحداها : أن التنصيف عائد إلى جملة الصلاة لا إلى الفاتحة ، هذا حقيقة اللفظ .

و الثاني : أن التنصيف عائد إلى ما يختص بالفاتحة من الآيات الكاملة .

و الثالث: معناه فإذا انتهى العبد في قراءته إلى الحمد لله رب العالمين . قال العلماء : و قوله تعالى : (حمدي عبدي و أثني على و مجدني) إنما قاله لأن التمجيد الثناء بتحميم الفعال ، و التمجيد الثناء بصفات الجلال ، و يقال : أثني عليه في ذلك كله ، و لهذا جاء جواباً للرحمـن الرحيم لاشتمال اللفظـين على الصفـات الذاتـية و الفعلـية ، و قوله : و ربيـا قال : فوضـ إلى عبـدي وجهـ مطـابـقة ، هـذا لـقولـه مـالـك يـومـ الدـينـ أـنـ اللهـ تـعـالـيـ هوـ المـنـفـرـدـ بـالـمـلـكـ ذـلـكـ الـيـوـمـ وـ بـجـزـاءـ الـعـبـادـ وـ حـسـابـهـمـ ، وـ الـدـيـنـ الـحـسـابـ ، وـ قـيـلـ : الـجـزـاءـ ، وـ لـاـ دـعـوـيـ لـأـحـدـ ذـلـكـ الـيـوـمـ ، وـ لـاـ مـحـازـ وـ أـمـاـ فـيـ الـدـنـيـاـ فـلـبـعـضـ الـعـبـادـ مـلـكـ مـحـازـيـ ، وـ يـدـعـىـ بـعـضـهـمـ دـعـوـةـ باـطـلـةـ ، وـ هـذـاـ كـلـهـ يـنـقـطـعـ فـيـ ذـلـكـ الـيـوـمـ ، هـذـاـ مـعـنـاهـ وـ إـلـاـ فـالـلـهـ سـبـحـانـهـ وـ تـعـالـيـ هـوـ الـمـالـكـ وـ الـمـلـكـ عـلـىـ الـحـقـيـقـةـ لـلـدـارـيـنـ وـ مـاـ فـيـهـمـاـ وـ مـنـ فـيـهـمـاـ ، وـ كـلـ مـنـ سـوـاـهـ مـرـبـوبـ لـهـ عـبـدـ مـسـخـرـ ، ثـمـ فـيـ هـذـاـ الـاعـتـرـافـ مـنـ الـتـعـظـيمـ وـ التـمـجـيدـ وـ تـفـويـضـ الـأـمـرـ مـاـ لـاـ يـخـفـيـ وـ قـولـهـ تـعـالـيـ ، إـنـاـ قـالـ عـبـدـ : ﴿ أـهـدـنـاـ

الـصـرـاطـ الـمـسـتـقـيمـ ﴿ إـلـىـ آخـرـ السـوـرـ فـهـذـاـ لـعـبـدـيـ ، هـكـذـاـ هـوـ فـيـ صـحـيـحـ مـسـلـمـ وـ فـيـ غـيرـهـ ، فـهـوـلـاءـ لـعـبـدـيـ ، وـ فـيـ هـذـهـ روـاـيـةـ دـلـيلـ عـلـىـ أـنـ (ـ اـهـدـنـاـ) وـ مـاـ بـعـدـ إـلـىـ آخـرـ السـوـرـ ثـلـاثـ آـيـاتـ لـآـيـتـانـ ، وـ فـيـ الـمـسـأـلـةـ خـلـافـ مـبـنـيـ عـلـىـ أـنـ الـبـسـمـلـةـ مـنـ الـفـاتـحةـ أـمـ لـاـ ، فـمـذـهـبـاـ وـ مـذـهـبـاـ الـأـكـثـرـيـنـ أـنـهـاـ مـنـ الـفـاتـحةـ وـ أـنـهـاـ آـيـةـ ، وـ اـهـدـنـاـ وـ مـاـ بـعـدـ آـيـتـانـ ، وـ مـذـهـبـ مـالـكـ وـ غـيرـهـ مـنـ يـقـولـ أـنـهـاـ لـيـسـتـ مـنـ الـفـاتـحةـ ، يـقـولـ : اـهـدـنـاـ وـ مـاـ بـعـدـ ثـلـاثـ آـيـاتـ وـ لـلـأـكـثـرـيـنـ أـنـ يـقـولـواـ هـؤـلـاءـ ، المـرـادـ بـهـ الـكـلـمـاتـ لـاـ آـيـاتـ بـدـلـيلـ روـاـيـةـ مـسـلـمـ ، فـهـذـاـ لـعـبـدـيـ وـ هـذـاـ أـحـسـنـ مـنـ الـجـوابـ بـأـنـ الـجـمـعـ مـحـمـولـ عـلـىـ الـاثـنـيـنـ ، لـأـنـ هـذـاـ مـحـازـ عـنـ الـأـكـثـرـيـنـ ، فـيـحـتـاجـ إـلـىـ دـلـيلـ عـلـىـ صـرـفـهـ عـنـ الـحـقـيـقـةـ إـلـىـ الـمـحـازـ ، وـ اللـهـ أـعـلـمـ^(١).

(١) : المرجع السابق ، ص ٨٨-٨٩ .

موضع الشاهد:

(مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقُرُّ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ حِدَاجٌ ...) .

التحليل البلاغي:

تظهر التورية في الحديث القدسي السابق في لفظ (حِدَاجٌ) ، فالمعنى القريب : الخداج ، يقال : خدجت الناقة إذا ألقت ولدها قبل أوان النتاج ، و إن كان تام الخلق ، و أخدجته إذا ولدته ناقصاً و إن كان لتمام الولادة ، و المعنى بعيد : الصلاة التي لم يقرأ فيها سورة الفاتحة .

و التورية مبينة ، و قد ذكر فيها لازم من لوازم المعنى البعيد و هو (مَنْ صَلَّى صَلَاةً) فهنا قرب اللازم التورية و بيئها و وضاحتها ، و قد ورد اللازم قبل لفظ التورية .

و مما لا شك فيه أن التورية من ألوان البديع المعنوية التي تحتاج إلى تمعن و تدبر و إدامة نظر ، فالرسول ﷺ أراد أن يبين وجوب قراءة سورة الفاتحة في كل ركعة و مدى أهميتها و نقصان الصلاة بنقصانها ، فضرب مثل و أتى بلفظ (حِدَاجٌ) و هو لفظ مناسب لتلك البيئة الصحراوية و مطابق لأفهامهم و عقولهم ، و ما زاد في سمو و بلاغة الأسلوب التشبيه حيث شبّه الرسول ﷺ الصلاة التي تقرأ بها سورة الفاتحة بالناقة التي تلد ولدها قبل أوانه ، فعندئذ ترسخ و تستقر المعاني في النفوس و ثبتت في الأفهام و العقول .

الحديث الرابع:

حدَّثنا أبو اليَمَانُ أَخْبَرَنَا شُعْبِيُّ حَدَّثَنَا أبو الزَّنَادُ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنْفَقْ أَنْفَقْ عَلَيْكَ وَ قَالَ : يَدُ اللَّهِ مَلَأَ لَا تَغْيِضُهَا نَفَقَةً ، سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارَ ، وَ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَدِهِ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَ يَدِهِ الْمِيزَانُ يَحْفِظُ وَ يَرْفَعُ)^(١).

المضمون العام للحديث:

جاء الحديث القدسي السابق في الحث على الإنفاق في وجوه الخير وفضله و التبشير بالخلف من الله سبحانه و تعالى .

فقد بدأ الحديث بقوله تعالى: (أَنْفَقْ أَنْفَقْ عَلَيْكَ) أَنْفَقَ الْأُولَى بفتح أوله و سكون القاف في أي مما ينفذ و الثانية (أَنْفَقْ عَلَيْكَ) بضم أوله و سكون القاف مما لا ينفذ إيماء إلى قوله تعالى ﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل: ٩٦] و المعنى أَنْفَقَ الأموال الفانية في الدنيا لتدرك الأحوال العالية في العقبى ، و قيل معناه أَعْطَ النَّاسَ مَا رزقَكَ حَتَّى أَنَا أَرْزُقَكَ أَيْ فِي الدُّنْيَا وَ الْعَقبَى إِشارةً إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾^(٢).

و قوله : (يَدُ اللَّهِ مَلَأَ لَا تَغْيِضُهَا نَفَقَةً ، سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارَ) ، فيد الله ملأي كنایة عن خزانته التي لا تنفذ بالعطاء (لَا تَغْيِضُهَا) أي لا ينقصها نفقة (سَحَّاءُ اللَّيْلِ وَ النَّهَارَ) الليل والنهر منصوبان على الظرفية ، و (سَحَّاءُ) أي

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٧ ، كتاب التفسير ، باب قوله (وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) ، رقم الحديث : ٤٣٦٧ ، مرجع سابق ، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

(٢) : مرقاه المفاتيح شرح مشكاة المصايب ، ج ٤ ، كتاب الزكاة ، باب الإنفاق وكراهية الإمساك ، مرجع سابق ، ص ٣١٨ .

دائمة الصب و المطل بالعطاء ، و وصفها بالامتلاء لكتلة عطائها ، فجعلها كالعين التي لا ينقصها كثرة الاستقاء منها^(١) .

(وَ قَالَ : أَرَأَيْتُمْ) أي أخبروني - و فيه حملهم على الإقرار بما بعده (مَا أَنْفَقَ) أي الذي أنفقه (مُنْدٌ خَلَقَ السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ فِإِنَّهُ لَمْ يَعْضُ) بفتح الياء و كسر الغين ، و بالضاد المعجمتين ، أي لم ينقص (مَا فِي يَدِهِ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَ بِيَدِهِ الْمِيزَانُ) كناية عن العدل بين الخلق (يَحْفِظُ وَ يَرْفَعُ) أي يخفي من يشاء و يرفع من يشاء ، و يوسع الرزق على من يشاء و يقتره على من يشاء^(٢) .

موضع الشاهد:

(... يَدُ اللَّهِ مَلَأَى ...) .

التحليل البلاغي:

تظهر التورية في الحديث القدسي السابق في لفظ (يَدُ اللَّهِ) ، فالمعنى القريب : اليد الجارحة ، و المعنى بعيد : عطاء الله وإحسانه إلى الخلق .

و التورية مجردة و قد ذكر معها لازم لكل من المعنى القريب و المعنى بعيد ، فأما القريب (وَ بِيَدِهِ الْمِيزَانُ) ، و أما بعيد : (لَا تَغِيضُهَا) .

و السُّرُّ البلاغي من التورية يظهر بأن المعنى يحتاج إلى تدبر و تمعن و إدامة نظر ، و من ثم يدرك المتلقى المعنى المراد ، فالله سبحانه و تعالى في هذا الحديث القدسي يبحث بني آدم على الإنفاق و العطاء و بذل المال للمحتاجين و السائلين ، فقال (أَنْفَقَ) فأمره بالإنفاق و العطاء ، و الإنفاق يكون غالباً باليد ؛ و لذلك قال الله سبحانه

(١) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ١١٧ ، و أيضاً ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، كتاب التفسير سورة هود ، باب قوله : (وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) ، مرجع سابق ، ص ٤٤٧ .

(٢) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ١١٧ . و أيضاً ، صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، مرجع سابق ، ١٥٥ .

و تعالى: (يَدُ اللَّهِ مَلَأَى) و هي كناية عن خزائنه و عطائه و إحسانه الذي لا ينضب و لا ينقص .

فالإنسان المنفق يكون الخلف له عطاء الله و إحسانه في الدنيا و الآخرة ، أما في الدنيا فيتجلّى في مظاهر كثيرة ، منها : البركة في المال و الرزق ، و الخلف المادي المحسوس بحيث لا يشعر المنافق بأن ماله قد نقص منه شيء بعد الإنفاق ، وكذلك رفع البلاء و اكتشاف الغماء و زوال الأمراض الخ و أما في الآخرة فيتحلّى الخلق بعفوة الذنوب ، و زيادة الأجور ، و رفع الدرجات عند رب الكريم سبحانه و تعالى^(١) .

فهنا يثبت المعنى و يتمكّن من نفس المتلقي ، و قد ساندت التورية عدداً من الألوان البدوية كان لها أثرها في سمو الأسلوب و بلاغته ، و زداته رونقاً و بهجة ظهرت المشاكلة في (أَنْفَقْ أَنْفَقْ عَلَيْكَ) ، وكذلك الجناس^(٢) ، و ظهر الطلاق في كل من (سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ) و (خَلَقَ السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ) ، و ظهر مراعاة الناظير : (وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ) .

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، مرجع سابق، ج ١ ، ص ٣٠٨-٣٠٩ .

(٢) : سيأتي بيانه في الفصل الثاني .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْعَةَ . حَدَّثَنَا أَبُو أَسَامَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبْيَدِ اللَّهِ ، عَنْ أَبِي صَالِحِ الْأَشْعَرِيِّ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ عَادَ مَرِيضًا . وَمَعَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ . مِنْ وَعْلِ كَانَ بِهِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَبْشِرْ فِإِنَّ اللَّهَ يَقُولُ : هِيَ نَارٍ أَسْلَطْهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا لِتَكُونَ حَظًّا ، مِنَ النَّارِ ، فِي الْآخِرَةِ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

يبين الحديث القدسي السابق فضل إصابة المؤمن بالأمراض و خاصة الحمى .

فقد ورد في أول الحديث (أَبْشِرْ) و ذلك بعد أن عاد بِهِ اللَّهُ مريضاً ، فأبشر تعني افرح و ابتهج بالأجر و الثواب ، و ما أعد الله تعالى لك في الجنة من نعيم و منزل كريم إن صبرت و رضيت عن الله بما ابتلاك به ، و البشارة إن أطلقت لا تكون إلا بالخير .

قوله : (نَارِي) : و ذلك لما يصيب المريض من ارتفاع درجة حرارته بالحمى و نحوها ، و قيل: لما يجده من الألم .

و قوله : (أَسْلَطْهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا) : التسلیط هو التمکین من القهر ، و الأمراض جند من جنود الله تعالى يسلطها على من يشاء من عباده فيقهرهم بها ، فإذا نزل المرض بالمؤمن كان رحمة له ، و ذلك لما يترب على صبره عليه و تسليمه الله تعالى من الأجر و الثواب و مغفرة الذنوب بوعده الله تعالى .

قوله : (لِتَكُونَ حَظًّا ، مِنَ النَّارِ ، فِي الْآخِرَةِ) الحظ: النصيـب ، و هو هنا ما يستحقه من العذاب في النار يوم القيمة جزاء وفـاقاً لما ارتكبه من الذنوب في الدنيا ،

(١) : سنن ابن ماجة ، تعلیق : محمد فؤاد عبد الباقي ، د . ط ، ج ٢ ، كتاب الطب ، باب الحمى ، رقم الحديث: ٣٤٧٠ ، مرجع سابق ، ص ١١٤٩ .

فيجعل الله تعالى المرض ونحوه إذا أصاب المؤمن في الدنيا مقابل ذلك العذاب الآخروي ، فيسقط عنه ما اجتنب الكبائر ، أو تاب منها توبةً نصوحاً^(١).

موضوع الشاهد :

(...هِيَ نَارِيُّ أَسْلَطُهَا عَلَى عَبْدِيِّ الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا ...).

التحليل البلاغي :

تظهر التورية في الحديث القدسي السابق في لفظ : (هي ناري) ، فالمعنى القريب : النار المعروفة ، و المعنى بعيد : الحمى ، و التورية مرشحة^(٢) و قد ظهر فيها لازم من لوازم المعنى القريب و هو (لِتَكُونَ حَظَّهُ ، مِنَ النَّارِ ، فِي الْآخِرَةِ) ، و بذلك زادت التورية إيهاماً .

و التورية فن بديعي ، يداعب العقول ، و يروض الأفهام بما فيه من خداع و إيهام ، و تفتن في الكلام و اتساع فيه . و هو أحلى ما استعمل من الكلام و ألطفه ، و يدل على تصرف بالغ ، و قوة على تصريف الألفاظ ، و اقتدار على المعاني^(٣) .

ف عند قوله تعالى (هي ناري) ظهر لنا مدى ما يتجرعه المريض من الأسماء و حجم ما يعتصره من الآلام ، و يعانيه من ارتفاع في درجة حرارة الجسم ، فهذه الحمى بمثابة نار الله في الدنيا و لكنها نار تطفئ الذنوب و تکفر الخطايا بإذن الله إن صبر المؤمن ، و قد تكون سبباً من أسباب دخول الجنة ، فالجنة سلعة الله الغالية التي لا تناول إلا بما تكره النفس ، و من المعروف أن النفس تكره الأمراض و الآفات .

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، مرجع سابق ، ج ٢ ، ص ٢٢ - ٢٣ .

(٢) : التورية المرشحة : هي التي يذكر فيها لازم المعنى القريب المورى به ... و سميت مرشحة لتقويتها بذكر لازم المعنى القريب غير المراد ؛ فإنما تزداد بذلك إيهاماً... ، (علم البديع ، بسيوني عبد الفتاح فيود ، مرجع سابق ، ص ١٧٧) .

(٣) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ١٤٠ .

و ما يزيد من بقاء الأسلوب و بلاغته اقتران التورية بالاستعارة التصريحية ، فقد شبه الحمى بالنار و قد حذف المشبه و صرخ بالمشبه به و هي النار ، فهنا يظهر تلامي المعاني و ترابطها القوي و تناسبها بعضها مع بعض .

الحديث السادس:

حَدَّثَنَا حَالِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ ابْنُ أَبِي مُزَرٍّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحْمُ فَأَخَذَتِ بِحَفْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهُ مَهْ قَالَتْ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَّ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ ، قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَذَاكِ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : اقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ : « فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تَوَلَّتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ »)^(١).

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له^(٢).

موضع الشاهد:

(... فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحْمُ ...).

التحليل البلاغي:

تظهر التورية في الحديث القدسي في لفظ (قَامَتِ الرَّحْمُ) ، فالمعنى القريب : رحم المرأة ، و المعنى بعيد : صلة الأقارب و الأرحام .

و التورية مبينة فقد جاء بلازم من لوازم المعنى البعيد و هو (أَنْ أَصِلَّ مَنْ وَصَلَكِ وَ أَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ) ؛ فمن واصل أقاربه و رحمه وصل إحسان الله إليه ، و من قاطع أقاربه قطعه الله من فضله و إحسانه و عطائه .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ط ٢ ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، باب (وَنُقْطِعُ مَعْنَى أَرْحَامَكُمْ) ، رقم

ال الحديث : ٤٥١١ ، مرجع سابق ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) : انظر البحث : ص ٩١ .

و مما لا شك فيه أن السرّ البلاغي من التورية يظهر في خفاء المعنى و إظهاره بغيره ، و تستره ، و بعد إدامة النظر يظهر المعنى المراد ، و هو وجوب صلة الرحم ، و أنه يجب على الإنسان أن يصل رحمه ، فالله تعالى يصل من وصل الرحم و يعطف عليه و يرضي عنه و يتفضل عليه ، و يقطع من قطع رحمه بآلاً يرحمه .

و من هنا تتمكن المعاني في النقوس و تستقر .

و قد برق مع التورية لون من ألوان الاستعارة ساند التورية في جمال الأسلوب و بهائه ، قال الطبيبي : " هذا القول مبني على الاستعارة التمثيلية كأنه شبه حالة الرحم و ما هي عليه من الافتقار إلى الصلة و الذب عنها بحال مستجير يأخذ بحقوق المستجار به ، ثم أسنده على سبيل الاستعارة التخييلية ما هو لازم للشبه به من القيام ، فيكون قرينة مانعة عن إرادة الحقيقة ، ثم رشحت الاستعارة بالقول و الأخذ و بلفظ الحق فهو استعارة أخرى و التثنية فيه للتأكيد ؛ لأن الأخذ باليدين أكدر في الاستجارة من الأخذ بيد واحدة " ^(١) .

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، مرجع سابق ، ج ٨ ، كتاب التفسير ، باب (وَنَقْطَعُوا أَرْحَامَكُمْ) ، ص ٧٣٨

المبحث الرابع:

المبالغة

التعريف باللون البديعي :

لم يوضح ابن أبي الأصبع المصري والسكاكيني شيئاً عن المبالغة ، بينما ذكر الخطيب القزويني : " بأن يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدّاً مستحيلاً أو مستبعداً ؛ لئلا يظن أنه غير متناهٍ في الشدة أو الضعف " ^(١) .

و شرح سعد الدين التفتازاني قول الخطيب : " أن يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدّاً مستحيلاً أو مستبعداً " وإنما يدعى ذلك (لئلا يظن أنه) أي ذلك الوصف (غير متناه فيه) أي: في الشدة أو الضعف وتذكير الضمير وإفراده باعتبار عوده إلى أحد الأمرين " ^(٢) .

و ذكر المغربي : " أن يدعى لوصف " أي : أن يثبت لوصف بالدعوى لا بالتحقيق ، و لتضمين (يدعى) معنى الإثبات عداه باللام ، (بلوغه) نائب فاعل يدعى ، (في الشدة) متعلق بمقدار أي : ذاهباً أو مترياً في مراتب الشدة ، (أو الضعف حدّاً) مفعول بلوغ والتقدير هي أن يدعى مدع أن هذا الوصف بلغ ووصل من مراتب الشدة حدّاً أي : طرفاً و مكاناً " مستحيلاً أو " مكاناً " مستبعداً " يقرب من الحال ... " ^(٣) .

و ذكر السبكي : " و قدم المصنف عليها المبالغة مطلقاً و هو أن يدعى لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدّاً مستحيلاً أو مستبعداً لئلا يظن أنه غير متناه في ذلك الوصف و الضمير في قوله فيه مفرد لأنه عائد لأحد المتعاطفين ... " ^(٤) .

(١) : الإيضاح : ٣٥٩.

(٢) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٥٨-٣٥٩.

(٣) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٥٨.

(٤) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٥٨-٣٥٩.

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي المعنوي (المبالغة) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ حَدَّثَنَا أَبِي ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ ، حَدَّثَنَا أَبُو صَالِحٍ عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا آدَمُ ، يَقُولُ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدِيْكَ ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ دُرِّيْتَكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ . قَالَ يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ أَرَاهُ قَالَ تِسْعَمِائَةً وَ تِسْعَةً وَ تِسْعِينَ فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا ، وَ يَشِيبُ الْوَلِيدُ ، وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ تِسْعَمِائَةً وَ تِسْعَةً وَ تِسْعِينَ ، وَ مِنْكُمْ وَاحِدٌ ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الشَّوْرِ الْأَبْيَضِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الشَّوْرِ الْأَسْوَدِ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ . فَكَبَرْنَا ثُمَّ قَالَ ثُلَثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَرْنَا ثُمَّ قَالَ شَطَرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَكَبَرْنَا) . قَالَ أَبُو أُسَامَةَ عَنِ الْأَعْمَشِ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةً وَ تِسْعَةً وَ تِسْعِينَ . وَقَالَ جَرِيرٌ وَعِيسَى بْنُ يُونُسَ وَأَبُو مُعَاوِيَةَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى ^(١) .

المضمون العام للحديث:

جاء الحديث السابق في الحشر و أهواه ، فقد بدأ صلوات الله عليه بقوله : (يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا آدَمُ . يَقُولُ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدِيْكَ ، فَيُنَادِي

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٧ ، كتاب التفسير ، سورة الحج ، باب (وقرَى النَّاسَ سُكَارَى) ، رقم الحديث: ٤٤٢٦ ، مرجع سابق ، ٢١٤ - ٢١٥ .

يَصُوْتِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ دُرْبِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ . قَالَ يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ ...) وَ الْبَعْثُ بِمَعْنَى الْمَبْعُوثِ ، وَ أَصْلُهَا فِي السَّرَايَا الَّتِي يَعْشُهَا الْأَمِيرُ إِلَى جَهَةِ مِنَ الْجَهَاتِ لِلْحَرْبِ وَ غَيْرِهَا ، وَ مَعْنَاهَا هُنَّا : مَيْزَ أَهْلِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَ إِنَّمَا خَصَّ بِذَلِكَ آدَمَ لِكُونِهِ وَالَّدُ الْجَمِيعِ وَ لِكُونِهِ كَانَ قَدْ عَرَفَ أَهْلَ السَّعَادَةِ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ ^(١) .

وَ قَوْلُهُ : (قَالَ يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ) : أَيْ وَ مَا مَقْدَارُ مَبْعُوثِ النَّارِ ^(٢) .

وَ قَوْلُهُ : (مِنْ كُلِّ الْفِ أَرَاهُ قَالَ تِسْعَمَائَةٌ وَ تِسْعَةٌ وَ تِسْعِينَ) : " أَجَابَ الْكَرْمَانِيُّ بِأَنَّ مَفْهُومَ الْعَدْدِ لَا يُعْتَبَرُ لَهُ فَالْتَّخْصِيصُ بِعَدْدٍ لَا يَدْلِيُ عَلَى نَفْيِ الزَّائِدِ ، وَ الْمَقْصُودُ مِنَ الْعَدْدِيْنَ وَاحِدٌ وَ هُوَ تَقْلِيلُ عَدْدِ الْمُؤْمِنِينَ وَ تَكْثِيرُ عَدْدِ الْكَافِرِينَ... " ^(٣) .

وَ قَوْلُهُ : (فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا وَ يَشِيبُ الْوَلِيدُ وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ) : ظَاهِرَةً أَنَّ ذَلِكَ يَقْعُدُ فِي الْمَوْقِفِ ، وَ قَدْ اسْتَشْكَلَ بِأَنَّ ذَلِكَ الْوَقْتَ لَا يَحْلِمُ فِيهِ وَ لَا يَوْضُعُ وَ لَا يَشِيبُ ، وَ مِنْ ثُمَّ قَالَ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ إِنَّ ذَلِكَ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، لَكِنَّ الْحَدِيثَ يَرْدُ عَلَيْهِ ، وَ أَجَابَ الْكَرْمَانِيُّ بِأَنَّ ذَلِكَ وَقْعٌ عَلَى سَبِيلِ التَّمثِيلِ وَ التَّهْوِيلِ ، وَ سَبَقَ ذَلِكَ النَّوْوَيِّ فَقَالَ : فِيهِ وَجْهٌ لِلْعُلَمَاءِ فَذَكَرُوهُ ، وَ قَالَ : التَّقْدِيرُ أَنَّ الْحَالَ يَنْتَهِي إِلَى أَنَّهُ لَوْ كَانَ النِّسَاءُ حِينَئِذٍ حَوَامِلٌ لَوْضَعَتْ كَمَا تَقُولُ الْعَرَبُ (أَصَابَنَا أَمْرٌ يَشِيبُ مِنْهُ الْوَلِيدُ) وَ أَقُولُ : يَحْتَمِلُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَى حَقِيقَتِهِ ، فَإِنْ كُلَّ أَحَدٍ يَبْعِثُ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ ، فَتَبْعَثُ الْحَامِلُ حَامِلًاً ، وَ الْمَرْضَعُ مَرْضَعَةٌ ، وَ الطَّفَلُ طَفَلًاً ، فَإِذَا وَقَعَتْ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ وَ قِيلَ ذَلِكَ لَآدَمَ وَ رَأَى النِّسَاءَ آدَمَ وَ سَمِعُوا مَا قِيلَ لَهُ وَقَعَ بِهِمْ مِنَ الْوَجْلِ مَا يَسْقُطُ مَعَهُ الْحَمْلُ ، وَ يَشِيبُ لَهُ الطَّفَلُ ، وَ تَذَهَّلُ بِهِ الْمَرْضَعَةُ ، وَ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَعْدَ النَّفْخَةِ الْأُولَى وَ قَبْلَ

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١١، كتاب الرفاق ، باب قوله عز وجل (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ) ، مرجع سابق ، ص ٤٧٣ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٤٧٤ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٤٧٤ .

النفحة الثانية و يكون خاصاً بالموجودين حينئذ ، و تكون الإشارة بقوله : (فذاك) إلى يوم القيمة ، و هو صريح في الآية ، و لا يمنع من هذا الحمل ما يتخيل من طول المسافة بين قيام الساعة و استقرار الناس في الموقف ، و نداء آدم لتمييز أهل الموقف لأنه قد ثبت أن ذلك يقع متقارباً كما قال الله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَحْدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [التازعات: ١٣ - ١٤] يعني أرض الموقف ، و قال تعالى : ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلَدَنَ شِبَابًا أَلْسَمَاءَ مُنْفَطِرِيَّهُ﴾ [المزمول: ١٧ - ١٨] و الحاصل أن يوم القيمة يطلق على ما بعد نفحة البعث من أهوال و زلزلة و غير ذلك إلى آخر الاستقرار في الجنة أو النار...^(١).

فذكر النبي ﷺ بعد ذلك (مشقة ذلك على الناس حتى تغيرت وجوههم) بمعنى اشتتد ذلك عليهم ، فقال النبي ﷺ : (مِنْ يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ تِسْعَمَائَةٍ وَ تِسْعَةَ وَ تِسْعِينَ ، وَ مِنْكُمْ وَاحِدٌ) " قال الطبيبي : فيه إشارة إلى أن يأجوج ومأجوج داخلون في العدد في المذكور و الوعيد كما يدل قوله : (ربع أهل الجنة) على أن في غير هذه الأمة أيضاً من أهل الجنة...^(٢).

ثم بشر النبي ﷺ أصحابه بقوله : (ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الشَّوْرِ الْأَبْيَضِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الشَّوْرِ الْأَسْوَدِ ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ . فَكَبَرْنَا ...).

"كبّرنا أي عظمنا ذلك أو قلنا : الله أكبر بهذه البشارة ، و كلمة (أَوْ كَالشَّعْرَةِ) يحتمل التنويع من رسول الله ﷺ و الشك من الرواية...^(٣).

(١) : فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج ١١ ، كتاب الرفاق ، باب قوله عز وجل (إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَهْرٌ عَظِيمٌ) ، مرجع سابق ، ص ٤٧٤ - ٤٧٥.

(٢) : المرجع السابق ، ص ٤٧٦.

(٣) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٧ ، كتاب التفسير ، سورة الحج ، باب (وَتَرَى أَنَّاسًا شَكَرَى) ، رقم الحديث ٤٤٢٦ ، مرجع سابق ، ص ٢١٤ - ٢١٥.

موضع الشاهد :

(... فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا وَ يَشِيبُ الْوَلِيدُ وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى ...) .

التحليل البلاغي :

يظهر الحديث القدسي شدة أهواز يوم القيمة ، في ذلك اليوم الرهيب الذي يخرج الناس من الأجداد في لحظة واحدة كأنهم جراد منتشر ، مسرعين مهطعين إلى الداعي ، وقد خفت كل حركة و خيّم الصمت الرهيب ، حيث تنتشر صحف الأعمال فينكشف المخبأ ، و يظهر المستور و يفتضاح المكتون في الصدور .

و من شدة أهواز ذلك اليوم تضع الحامل حملها ، و يشيب الوليد ، و يرى الناس سكارى و ما هم بسكاري ، و هنا يظهر اللون البدائي المعنوي المبالغة ، فالحديث القدسي بالغ في وصف أهواز يوم القيمة ، و وصل بهذه الأهواز إلى حد بعيد ، فينبغي للعقل أن يفكر في عاقبة الأمر ، و أن يستعد للنجاة من هذا المهوّل ، و ذلك الفزع الأكبر ، ذلك اليوم الذي تدك فيه الأرض دكا و تسير الجبال سيرا ، و يخشى الناس حافية أقدامهم ، عارية أجسامهم ، شاخصة أبصارهم ، واجفة قلوبهم .

و للمبالغة في هذا الحديث القدسي قيمة بلاغية كبيرة تكمن في الترابط و التلامح القوي بين العبارات و أجزاء الكلام من أول الحديث إلى آخره ، فقد جاء الرسول ﷺ بأسلوب بلغ سامي قوي خاصةً عندما صرّأ أهواز يوم القيمة و ذيلها في (ولَكِنْ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ . فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ) ، فهنا يتضح التناسب و التوازن في نظمته ﷺ .

و يعد هذا النوع من المبالغة تبليغ ، فالتبليغ ما كان الوصف المبالغ فيه ممكناً عقلاً و عادة ^(١) ، فمن شدة هول يوم القيمة تضع الحامل حملها ، و يرى الناس سكارى و ما هم بسكارى و ذلك بقدرة الله عز وجل .

(١) : علم البديع ، بسيوني عبد الفتاح فيود ، مرجع سابق ، ص ٢٠٠ .

الحديث الثاني:

حدّثنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَخْيَى عَبْدُ الْحَمِيدَ عَنْ ابْنِ أَيِّ ذِئْبٍ عَنْ سَعِيدِ الْمَقْبَرِيِّ عَنْ أَيِّ هُرِيرَةَ رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يَلْقَى إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَعَلَى وَجْهِهِ آزَرٌ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ ، فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي . فَيَقُولُ أَبُوهُ : فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ . فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : يَا رَبَّ إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ، فَأَيِّ خِزْنٍ أَخْزَى مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ ، ثُمَّ يُقَالُ : يَا إِبْرَاهِيمَ مَا تَحْتَ رِحْلَيْكَ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيْخٍ مُلْتَطِّخٍ ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

يظهر في الحديث القدسي السابق لقاء إبراهيم عليه السلام بأبيه آزر يوم القيامة ، و حوار إبراهيم عليه السلام مع الله عز وجل بشأن أبيه .

فقد بدأ الحديث بقوله : (يَلْقَى إِبْرَاهِيمَ أَبَاهُ آزَرَ) هذا موافق لظاهر القرآن في تسمية والد إبراهيم ، و قوله : (وَعَلَى وَجْهِهِ آزَرٌ قَتَرَةٌ وَغَبَرَةٌ) هذا موافق لظاهر القرآن ﴿ وَمَوْجُوهٌ بِوَمِيزٍ عَلَيْهَا غَبَرٌ تَرَهَقَهَا قَتَرَةٌ ﴾ [عبس: ٤٠، ٤١] أي يغشاها قترة ، فالذى يظهر أن الغبرة الغبار من التراب ، و القترة السواد الكائن عن الكابة ^(٢) .

و قوله: (فَيَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْصِنِي . فَيَقُولُ أَبُوهُ : فَالْيَوْمَ لَا أَعْصِيكَ) في رواية إبراهيم بن طهمان (فقال له قد خيتك عن هذا فعصيتني ، قال: لكنني لا أعصيك واحدة) ، قوله: (فَيَقُولُ إِبْرَاهِيمُ : يَا رَبَّ ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا

(١) : صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا نَجَدَ اللَّهَ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا ﴾ ، و قوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً فَانِتَأَ ﴾ ، و قوله ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّلُهُ حَلِيلٌ ﴾ ، رقم الحديث : ٣٣٥٠ ، مرجع سابق ، ص ٦٤٠ .

(٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٨ ، كتاب تفسير القرآن ، سورة الشعرا ، باب (وَلَا تُخْبِرْنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ) ، ص ٦٣٤ .

تُخْزِيَ يَوْمَ يُبَعَّثُونَ ، فَأَيِّ خَرْزٍ أَخْرَزٍ مِنْ أَبِي الْأَبْعَدِ) وصف نفسه بالأبعد عن طريق الفرض إذا لم تقبل شفاعته في أبيه ، وقيل الأبعد صفة أبيه ، أي أنه شديد البعد من رحمة الله ؛ لأن الفاسق بعيد منها فالكافر أبعد ، وقيل : الأبعد بمعنى البعيد ، و المراد الحالك ^(١) .

قوله : (فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : إِنِّي حَرَّمْتُ الْجَنَّةَ عَلَى الْكَافِرِينَ) في حديث أبي سعيد (فينادي : إن الجنة لا يدخلها مشرك) ، قوله : (ثُمَّ يُقَالُ : يَا إِبْرَاهِيمُ مَا تَحْتَ رِجْلِيَّكَ فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيَّخٍ مُلْتَطِّخٍ ، فَيُؤْخَذُ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ) و الذيخ بكسر الذال المعجمة بعدها تحاتمية ساكنة ثم خاء معجمة : ذكر الضبع ، و قيل : لا يقال له ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر . و الضبعان لغة في الضبع . و قوله : مُلْتَطِّخٍ قال بعض الشرح : أي في رجيع أو دم أو طين . قيل : الحكمة في مسخه لتنفر نفس إبراهيم منه ، و لئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غضاضة على إبراهيم ، و قيل : الحكمة في مسخة ضبعاً أن الضبع من أحمق الحيوان ، و آزر كان من أحمق البشر ، لأنه بعد أن ظهر له من ولده من الآيات البييات أصر على الكفر حتى مات . و اقتصر في مسخه على هذا الحيوان لأنه وسط في التشويه بالنسبة إلى ما دونه كالكلب والخنزير و إلى ما فوقه كالأسد مثلاً ، و لأن إبراهيم بالغ في الخضوع له و خفض الجناح فأبي و استكبار و أصر على الكفر ، فعوامل بصفة الذل يوم القيمة ، و لأن للضبع عوجاً فأشير إلى أن آزر لم يستقم فيؤمن بل استمر على عوجه في الدين ... ^(٢) .

موضع الشاهد:

(... فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِذِيَّخٍ مُلْتَطِّخٍ ...).

التحليل البلاغي:

(١) : المرجع السابق ، ص ٦٣٤ - ٦٣٥ .

(٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٨ ، كتاب تفسير القرآن ، سورة الشعرا ، باب (وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبَعَّثُونَ) ، مرجع سابق ، ص ٦٣٤ - ٦٣٥ .

تظهر المبالغة في الحديث القدسي السابق بقوله : (فَإِذَا هُوَ بِذِيْخٍ مُّلْتَطِّخٍ) و الذيخ : ذكر الضباع ، و لا يقال له ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر كما تقدم ، و متلطخ : أي رجيع أو دم أو طين ، فالله سبحانه و تعالى بقدرته عندما استشفعه إبراهيم عليه السلام بأن ينجي أباه آزر من النار مسخه ضبعاً نتقا ؛ و ذلك كي ينفر إبراهيم عليه السلام من ذلك الوالد الأحمق الذي لم يطعه حين دعاه ، بل أبي و استكبر و عصى .

فالحديث القدسي بالغ في وصف حال آزر يوم القيمة حداً بعيداً ، و يعد هذا النوع من المبالغة تبليغاً و هو ما كان الوصف المبالغ فيه ممكناً عقلاً و عادة ، فالله عز وجل قادر على أن يمسح ذلك المتكبر المتعالي في الدنيا إلى ضبع متلطخ ، دون أن يخزي أو يحزن إبراهيم عليه السلام ، قال الكرماني : " فإن قلت: إذا أدخل الله أباه النار فقد أحزاه لقوله : ﴿إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتُهُ﴾ [آل عمران: ١٩٢] " و خزي الوالد خزي الولد فيلزم الخلف في الوعيد و هو محال ، و لو لم يدخل النار لزم الخلف في الوعيد و هو المراد بقوله : إن الله حرم الجنة على الكافرين ، و الجواب أنه إذا مسخ في صورة ضبع و ألقى في النار لم تبق الصورة التي هي سبب الخزي ، فهو عمل بالوعيد و الوعيد " ^(١) .

و ما لا شك فيه أن التلازم و التوازن و الترابط بدوى واضحًا في الحديث القدسي ، خاصة و أن الحديث قائمه على الحوار .

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٨ ، كتاب تفسير القرآن ، سورة الشعرا ، باب (وَلَا تُخْفِيَ يَوْمَ يَبْعَثُونَ) ، مرجع سابق ، ص ٦٣٦ .

الحديث الثالث:

حدَّثنا الحُمَيْدِيُّ سُفْيَانُ حَدَّثَنَا أَبُو الزَّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (قَالَ اللَّهُ : أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَ لَا أُذْنٌ سَمِعَتْ ، وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ، فَاقْرُؤُوا إِنْ شَئْتُمْ : ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرْبَةٍ أَعْيُنٍ﴾)^(١).

المضمون العام للحديث:

يوضح الحديث القدسي السابق نعيم أهل الجنة ذلك النعيم الأبدي الكامل الحالي من الأكدار .

فقد بدأ الحديث بقوله ﷺ على لسان ربه عز وجل (أَعْدَدْتُ) : أي هيأت .

و قوله : (لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ) أي : القائمين بما وجب عليهم من حقوق الحق و الخلق .

و قوله : (مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَ لَا أُذْنٌ سَمِعَتْ ، وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) : أي أن ما أعدده الله تعالى لعباده المتقين في الجنة من نعيم هو من حيث الحقيقة و الواقع فوق تصور عقولهم ، و أبعد مما رأته أعينهم و سمعته آذانهم ، بل هو فوق حدود تصور كل عقل بشري مفكر ، و رؤية كل عين مبصرة ، و سماع كل أذن واعية .

و هذا العموم أشار إليه قوله : (مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَ لَا أُذْنٌ سَمِعَتْ ، وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ) ، فقد وردت هذه الألفاظ «عين ، و أذن ، و قلب» في السياق نكرة منافية ، و النكرة في سياق النفي تفيد العموم .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٣ ، كتاب بدء الخلق ، باب ما جاء في صفة الجنة و أنها مخلوقة ، رقم الحديث : ٣٠٣٥ ، مرجع سابق ، ص ١٨٥ .

فمهما خطر في بال الإنسان من مظاهر النعيم ، و حلق بخياله بعيداً عما تقع عليه عينه و تسمعه أذنه ، فما أعده الله تعالى لعباده في جنته هو أجل و أعظم ، و ما جاء في القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف من وصف نعيم الجنة بما له من مثيل في الدنيا إنما هو لتقريره إلى الأذهان ، و أما الحقيقة فهي فوق حدود الوصف ، و نجد إشارة إلى ذلك في قوله تعالى : (**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجَرَّى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَرُ**) ففي جنة الآخرة أنهار ، و عيون ماء ، و فاكهة ، و رمان ، و لحم طير ، و لبن ، و عسل ، و أساور من ذهب . و فضة ، و ثياب ، و آرائك ، و أزواج ، و خيرات حسان ، و لكن شتان بين ما نجد مثله في الدنيا و ما يكون في الآخرة ^(١) .

موضع الشاهد:

(... مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ ، وَ لَا أُذْنٌ سَمِعَتْ ، وَ لَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ...) .

التحليل البلاغي:

نعم الجنة نعيم تام كامل لا يتناهى ، وفيها ما لا عين رأت ، و لا أذن سمعت ، و لا خطر على قلب بشر ، فيها الخير الكثير ، و النعيم الغزير ، و الفرح و السرور ، و اللذة و الحور .

فبعد قوله تعالى : (**مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذْنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ**) يظهر اللون البدوي المبالغة ، و هي من نوع التبليغ و هي ممكنة عقلاً و عادة ، و ذلك بقدرة الله سبحانه و تعالى ، ففي قوله : (**أَعْدَدْتُ**) يدل على أن الجنة معدة و مخلوقة مسبقاً ، فالله سبحانه و تعالى أعد لعباده المؤمنين الصالحين الجنة ثواباً و جزاءً لهم على أعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا ، و قد وصف تلك الجنة بأن فيها نعيمًا مقيناً و مهما تخيل عقل الإنسان و قلبه فلن يستطيع إدراك و لو جزءاً بسيطاً من ذلك

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٢ - ٣٣ .

الوصف ، و حينما أخفى الله ذلك النعيم دليلاً على عظمته و لكي تتشوق النفوس إليه و تتلهف القلوب عليه .

فابلجة درجات و كل درجة أعظم من الأخرى ، ففيها الحور ، و القصور ، و الولدان ، و الخيام ، و السرر ، و الأشجار ، و الأنحصار ، و الفرش ، و الحلبي و الخ و أعظم نعيم من ذلك كله هو رؤبة الله عز وجل .

أسهمت المبالغة بلا شك في تلامس عناصر الكلام وربطت أجزاءه ، وشاركت في إثارة الفكر ، وتنشيط العقل و خاصة في الإبهام الحاصل في هذا الحديث القدسي ، الذي تتشوق النفوس إلى معرفة هذا النعيم وتنشط العقول لتصوره و لو بجزء بسيط .

الحديث الرابع:

حَدَّثَنَا سُوِيدُ بْنُ نَصْرٍ . أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ عَنْ لَيْثٍ بْنِ سَعْدٍ . حَدَّثَنِي عَامِرٌ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُعَافِرِيِّ ثُمَّ الْخُبَلِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنَ الْعَاصِ - رضي الله عنهما - يقول : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجْلًا ، كُلُّ سِجْلٍ مِثْلَ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظْلَمَكَ كَتَبِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ! فَيَقُولُ : أَفْلَكَ عُذْرًا ؟ قَالَ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : بَلَى ؛ إِنَّكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ، فِإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةً فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : اخْضُرْ وَرْنَكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجَلَاتِ ، فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تُظْلِمُ ، قَالَ : فَتَوَضَعُ السِّجَلَاتُ فِي كِفَّةِ ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةِ ، فَطَاشَتِ السِّجَلَاتُ وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ ؛ فَلَا يَشْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

حديث البطاقة من الأحاديث التي تبين هول يوم القيمة و شدته على الناس ، و فيه بيان على عظمة كلمة التوحيد التي لا ينفل معها شيء ، فالتوحيد الخالص الذي لا تشوبه شائبة ، و لا يكره شرك ، و لا تعلق بغير الله تعالى ينجي صاحبه يوم القيمة برحمه الله و فضله .

و قد بدأ الحديث بقوله: (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ) بتشدید اللام أي يميز و يختار (فَيَنْشُرُ) أي فيفتح (تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجْلًا) أي : كتاباً كبيراً (كُلُّ سِجْلٍ مِثْلَ مَدَّ الْبَصَرِ) أي : كل كتاب منها طوله و عرضه مقدار ما يمتد إليه بصر الإنسان ، (ثُمَّ يَقُولُ) : أي الله سبحانه و تعالى (أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا) أي المكتوب (أَظْلَمَكَ

(١) : سنن الترمذى ، إعداد : هشام سعير البخارى ، د . ط ، ج ٣ ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء فيمن يموت و هو يشهد أن لا إله إلا الله ، رقم الحديث : ٢٦٤٤ ، مرجع سابق ، ص ٢٤ - ٢٥ .

كتَبِي) جمع كاتب ، و المراد الكرام الكاتبون (الْحَافِظُونَ) ، أي : لأعمال بني آدم (فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ) أي فيما فعلته من كونه سهواً أو خطأ أو جهلاً و نحو ذلك ، (فَيَقُولُ : بَلَى) أي لك عندنا ما يقوم مقام عذرك (إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً) أي واحدة عظيمة مقبولة . (فِي خَرْجٍ) بصيغه المجهول المذكر ، فتخرج له بطاقة .

قال في النهاية : البطاقة رقعة صغيرة يثبت فيها مقدار ما تجعل فيه إن كان عيناً فوزنه أو عدده ، و إن كان متاعاً فشمنه ، قيل سميت بذلك لأنها تشد بطاقة من الشواب ، فتكون الباء حينئذ زائدة ، و هي كلمة كثيرة الاستعمال بمصر. و قال في القاموس البطاقة : ككتابة الرقعة الصغيرة المنوطة بالثوب التي فيها رقم ثمنه ، سميت لأنها تشد بطاقة من هدب الثوب (فِيهَا) : أي مكتوب في البطاقة (أَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ) قال القاري : يحتمل أن الكلمة هي أول ما نطق بها . و يحتمل أن تكون غير تلك المرة مما وقعت مقبولة عند الحضرة ، و هو الأظهر في مادة الخصوص من عموم الأمة (احْضُرْ وَزْنَكَ) أي الوزن الذي لك ، أو وزن عملك ، أو وقت وزنك ، أو آلة وزنك و هو الميزان ليظهر لك انتقاء الظلم و ظهور العدل و تحقق الفضل .

(فَيَقُولُ : يَا رَبَّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ) أي الواحدة (مَعَ هَذِهِ السِّجَلَاتِ) أي الكلثيرة و ما قدرها بجنبها و مقابلتها (فَقَالَ : إِنَّكَ لَا تُظْلِمُ) أي لا يقع عليك الظلم لكن لابد من اعتبار الوزن كي يظهر أن لا ظلم عليك فاحضر الوزن . قيل وجه مطابقة هذا جواباً لقوله ما هذه البطاقة ؟ أن اسم الإشارة للتحقيق كأنه أنكر أن يكون مع هذه البطاقة المخمرة موازنه لتلك السجلات ، فرد بقوله : إنك لا تظلم بحقيقة ، أي لا تحقر هذه فإنها عظيمة عنده سبحانه ، إذ لا يقل مع اسم الله شيء ، و لو ثقل عليه شيء لظلمت .

(قَالَ : فَتُوضَعُ السِّجَلَاتُ فِي كِفَةٍ) أي فرده من زوجي الميزان (وَالْبِطَاقَةُ) أي و توضع (في كِفَةٍ) أي في أخرى (فَطَاشَتِ السِّجَلَاتُ) أي خفت (وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ) أي رجحت و التعبير بالمضى لتحقيق وقوعه (فَلَا يَشْفُلُ) أي و لا يرجح

و لا يغلب (مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ) و المعنى لا يقاومه شيء من المعاصي بل يتوجه ذكر الله تعالى على جميع المعاصي .

فإن قيل : الأعمال أعراض لا يمكن وزنها وإنما توزن الأجسام ، أجيب بأنه يوزن السجل الذي كتب فيه الأعمال و يختلف باختلاف الأحوال أو أن الله يجسم الأفعال والأقوال فتوزن فتشغل الطاعات و تطيش السيئات لشلل العبادة على النفس و خفة المعصية عليها ^(١) .

موضع الشاهد:

(... فَطَاشَتِ السِّجَّلَاتُ وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ ، فَلَا يَشْكُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ) .

التحليل البلاغي:

ورد اللون البدعي المعنوي المبالغة في قوله : (طَاشَتِ السِّجَّلَاتُ وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ) ، و يعد من التبليغ و هو أن يكون الوصف ممكناً عقلاً و عادة ، فبقدرة الله و فضله ممكن أن يشقل قول لا إله إلا الله و تطيش السجلات ، و لكن هذا الحديث لا يعني التواكل و ترك العمل ، و التفريط في الواجبات ، و ارتكاب المحرمات ؛ لأن مثل هذه الأحاديث ليست عامة لكل الناس ، بل تدخل تحت مشيئة الله و رحمته ، و قد تقضي مشيئة الله تعالى تعذيب صاحب الكبائر من المسلمين فيكون قد خسر خساراً مبيناً بتفسيره في جنب الله تعالى .

و ما لاشك فيه أن المبالغة ثبتت المعنى و رسخته في النفوس ، إضافة إلى ما لها من فضل عظيم في توحيد أجزاء الكلام و تلامحه و ترابطه ، فالرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يبين و يوضح بأنه لا يشقل و لا يرجح و لا يغلب مع اسم الله شيء من المعاصي ، بل يتوجه ذكر الله تعالى على جميع المعاصي ، و أن التوحيد الحالص يُكفر

(١) : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، ج ٧ ، أبواب الإيمان ، مرجع سابق ، ص ٣٩٥ - ٣٩٧ .

الله به الخطايا و الذنوب التي دون الشرك و الكفر ، وأن قول لا إله إلا الله و أن محمد عبده و رسوله سبب من أسباب دخول الجنة و النجاة من النار .

الحديث الخامس :

حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُعاوِيَةُ ابْنُ أَبِي مُرْزِدٍ عَنْ سَعِيدِ
بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (خَلَقَ
اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحْمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمِنِ فَقَالَ لَهُ مَهْ قَالَ :
هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنْ الْقَطْعِيَّةِ ، قَالَ : أَلا تَرْضِيَنَّ أَنْ أَصِلَّ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ
مَنْ قَطَعَكِ ؟ ، قَالَ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَذَاكِ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : افْرَأُوا إِنْ
شِئْتُمْ : ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له ^(٢) .

موضع الشاهد:

(... فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحْمُ فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمِنِ فَقَالَ لَهُ مَهْ ...) .

التحليل البلاغي:

لقد أمر الله تعالى في الحديث القدسي السابق بصلة الأرحام ، و البر والإحسان إليهم ، و نهى و حذر من قطيعتهم و الإساءة إليهم ، وعد ﷺ قطيعة الأرحام مانعاً من دخول الجنة مع أول الداخلين ، و موصلاً للمسيئين لأرحامهم بنار الجحيم .

و يظهر في الحديث عدد من الألوان البدعية التي سبق ذكرها إضافة إلى المبالغة ، و تعد من التبليغ الممكن عقلاً و عادة ، فقوله ﷺ : (فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمِنِ) و معنى كلمة (أخذت) : قالوا أخذت بقائمة من قوائم العرش ، و قال عياض الحقو

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكوماني ، ط ٢ ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، باب (وَتُقْطِعُوا أَرْحَامَكُمْ) ، رقم الحديث : ٤٥١١ ، مرجع سابق ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) : راجع البحث : ص ٩١ .

معقد الإزار و هو الموضع الذي يستجار به و يحترم به على عادة العرب ، لأنه من أحق ما يحمي عنه و يدفع ، كما قالوا : نمنعه مما نمنع منه أزarna ، فاستعير ذلك مجازاً للرحم في استعادتها بالله من القطيعة . و قد يطلق الحقو على الإزار نفسه . و قال الطبيبي : هذا القول مبني على الاستعارة التمثيلية كأنه شبه حالة الرحم و ما هي عليه من الافتقار إلى الصلة و الذب عنها بحال مستجير يأخذ بحقه المستجار به ، ثم أنسد على سبيل الاستعارة التخيالية ما هو لازم للشبه به من القيام فيكون قرينة مانعة عن إرادة الحقيقة ، ثم رشحت الاستعارة بالقول و الأخذ و بلفظ الحقو فهو استعارة أخرى ، و التثنية فيه للتأكيد ؛ لأن الأخذ باليدين أكد في الاستجارة من الأخذ بيد واحدة ^(١) .

و قوله (فَأَنْجَدْتُ بِحَقِّ الرَّحْمَنِ) مبالغة فيها دلالة كبيرة على عظم شأن الرحم و وجوب وصلها و التحذير من قطعها ، فمن وصلها وصله الله بإحسانه و عطائه و فضله و امتنانه ، و من قطعها قطعه الله و حرمه من فضله و إحسانه و عطائه ، بل إن صلة الرحم تعد سبباً من أسباب دخول الجنة ، و أيضاً سبباً من أسباب البركة في الرزق و العمر و الولد .

و عند التأمل في المبالغة نجد أنها عملت على تلامس أجزاء الكلام بعضها مع بعض و ترابطها ، إضافة إلى أنها شاركت في استقرار المعاني في النفوس و ترسيخها و تقريرها و تشتيتها .

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٨ ، مرجع سابق ، ص ٧٣٧ - ٧٣٨ .

المبحث الخامس :

مراجعة النظير

التعريف باللون البديعي :

ذكر السكاكي أن مراعاة النظير : " هي عبارة عن الجمع بين المتشابهات " ^(١) .

و أشار الخطيب القزويني إلى أن مراعاة النظير : " تسمى التناصب و الائتلاف و التوفيق أيضاً ، وهي أن يجمع في الكلام بين أمر و ما يناسبه لا بالتضاد " ^(٢) .

و شرح سعد الدين التفتازاني قول الخطيب السابق فعندما ذكر " (و منه) أي و من المعنوي (مراعاة النظير و يسمى التناصب و التوفيق) و الائتلاف و التلفيق أيضاً (و هي جمع أمر و ما يناسبه لا بالتضاد) و المناسبة بالتضاد أن يكون كل منهما مقابلاً للآخر ، و بهذا القيد يخرج الطلاق ، و ذلك قد يكون بالجمع بين أمرين ... " ^(٣) .

و شرح ابن يعقوب المغربي قول الخطيب السابق أيضاً بقوله : " (و منه) أي و من البديع المعنوي (مراعاة النظير) أي ما يسمى بمراعاة النظير (و يسمى التناصب و التوفيق) و الائتلاف و التلفيق (أيضاً) و يؤخذ من معناه وجه التسمية كما سيدرك الآن (و هو) أي المسمى بمراعاة النظير (جمع أمر و ما يناسبه) أي أن الجمع بين أمرين متناسبين أو أمور متناسبة (لا بالتضاد) بل بالتوافق في كون ما جمع من واد واحد لصحبته في إدراك أو لمناسبتها في شكل أو لتوقف بعض على بعض أو ما أشبه شيئاً من ذلك ، و بهذا القيد خرج الطلاق ؛ لأنه جمع بين أمرين متفقين فأكثر ، بالتضاد ، و قد تقدم أن المراد بالتضاد مطلق التقابل ، و مطلق التنافي في الجملة ، و لما كان في هذا الجمع رعاية الشيء مع نظيره أي شبهه أو مناسبة سمي بمراعاة النظير و الجمع في هذا الباب أيضاً قد يكون بين أمرين ... " ^(٤) .

(١) : مفتاح العلوم ، ٢٠٠.

(٢) : الإيضاح ، ٣٤٠.

(٣) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٠١-٣٠٢.

(٤) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٠١-٣٠٢.

و ذكر صاحب عروس الأفراح أن قوله : " (و منه مراعاة النظير) شأي هو من التحسين المعنوي قال (و يسمى التناسب و التوفيق أيضا) و يسمى الائلاف و كان الأحسن تسميته التأليف لموافقة التوفيق ، و هو جمع المتكلم أمرًا مع ما يناسبه لا بالتضاد أى تكون المناسبة بغير المضادة ... " ^(١) .

و ورد في حاشية الدسوقي على شرح السعد : " (قوله أى و من المعنوي) أى و من البديع المعنوي (قوله جمع أمر و ما يناسبه) أى أن يجمع بين أمرين متناسبين أو أمور متناسبة ، فاقتصر المصنف على أمرين لأن ذلك أقل ما يتحقق فيه المناسبة (قوله لا بالتضاد) أى بل بالتوافق في كون ما جمع من واد واحد لصحته في إدراكه ، أو لمناسبيته ، في شكل ، أو لترتب بعض على بعض ، أو ما أشبه شيئاً من ذلك (قوله و المناسبة بالتضاد الخ) هذا يشعر بأن المتضادين متناسبان ، و هو كذلك من جهة أن الضد أقرب خطوراً بالبال عند ذكر ضده (قوله مقابلاً للآخر) أى منافياً له (قوله و بهذا القيد) أعني قوله لا بالتضاد يخرج الطلاق لأنه جمع بين أمرين متضادين و قد تقدم أن المراد بالتضاد مطلق التقابل و التنافي في الجمع و لما كان في هذا الجمع رعاية الشيء مع نظيره بشبه أو مناسبة سمي مراعاة النظير (قوله و ذلك) أى الجمع بين أمر و ما يناسبه لا بالتضاد قد يكون أى قد يتحقق بسبب الجمع بين أمرين ... " ^(٢) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي المعنوي (مراعاة النظير) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخیص ، ج ٤ ، ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٢) : شروح التلخیص ، ج ٤ ، ٣٠٢ - ٣٠١ .

الحادي عشر

حَدَّثَنَا شِيَّانُ عَنْ مَنْصُورٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَنْ عَيْنِيَّةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ حَبْرٌ مِّنَ الْأَخْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّا نَجَدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضَيْنَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالشَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرُ الْخَلَاقِ عَلَى إِصْبَعٍ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، فَضَحِّكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْدِيقًا لِقَوْلِ الْحَبْرِ ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقًّا قَدَرِهِ وَالْأَرْضَ جَمِيعًا قَبَضَتُهُ، يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ۚ ۝ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ ۝ .)^(١)

المضمون العام للحديث:

بيّن الحديث القدسي عظمة الله سبحانه و تعالى و قدرته ، الذي يملك مقاليد الأمر في السماء والأرض :

فبدأ الحديث بقوله : (جاءَ حَبْرٌ مِّن الْأَحْبَارِ...) و الحبر بفتح الحاء ، أي عام من علماء اليهود ، قال الحافظ ابن حجر لم أقف على اسمه ، (إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَا نَجَدُ) أي في التوراة ^(٢) ثم ذكر بعد ذلك ستةً من مخلوقات الله سبحانه و دلائل عظمته ، حيث إن الله سبحانه له القدرة و القوة العظيمة في جعل السماوات السبع على إصبع ، و الأرضين على إصبع ، و الشجر على إصبع ، و الماء و الثرى على إصبع ، و سائر الخلائق على إصبع ، و يقول : (فَيَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ) .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، سورة الزمر ﴿ وَمَا فَدَرُوا اللَّهُ حَقِّ فَدْرَهُ ﴾ ، رقم الحديث : ٤٤٩٢ ، مرجع سابق ، ٦٩-٧٠ .

(٢) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ٢٥١.

و قوله : (فَضَحِلَّتِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَأْتِ نَوَاجِذُهُ) : جمع ناجذ بنون و جيم مكسورة ثم ذال معجمة و هو ما يظهر عند الضحك من الأسنان ، و قيل : هي الأنابيب ، و قيل : الأضراس ، و قيل الدواخل من الأضراس التي في أقصى الحلق ، قال النووي : ظاهر الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم صدق الخبر في قوله : إن الله يقبض السموات والأرضين والملائقات بالأصابع ، ثم قرأ الآية التي فيها الإشارة إلى نحو ما يقول .

قال القاضي : و قال بعض المتكلمين : ليس ضحكه صلى الله عليه وسلم و تعجبه و تلاوته الآية تصديقاً للخبر بل هو رد لقوله و إنكار و تعجب من سوء اعتقاده ، فإن مذهب اليهود التجسيم ، ففهم منه ذلك ، و قوله تصديقاً له إنما هو من كلام الراوي على ما فهم و الأول أظهر و انتهى .

و قال التميمي : تكفل الخطابي فيه ، و أتى في معناه مالم يأت به السلف و الصحابة كانوا أعلم بما رأوه ، و قالوا : إنه ضحك تصديقاً له . و ثبت في السنة الصحيحة : ما من قلب إلا و هو بين أصبعين من أصابع الرحمن انتهى ، و قد اشتد إنكار ابن خزيمة على من ادعى أن الضحك المذكور كان على سبيل الإنكار . فقال بعد أن أورد هذا الحديث في كتاب التوحيد من صحيحه بطريقه : قد أجل الله تعالىنبيه صلى الله عليه وسلم عن أن يوصف ربه بحضرته بما ليس هو من صفاتاته فيجعل بدل الإنكار و الغضب على الواصف ضحكاً بل لا يوصف النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الوصف من يؤمن بنبوته انتهى .

قلت : قول من قال إن الضحك المذكور كان على سبيل الإنكار لا شك عندي أنه يستأهل أن ينكر عليه أشد الإنكار و الله تعالى أعلم (قال) ثم قرأ رسول صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴾ أي ما عرفوه حق معرفته ، أو ما عظموه حق عظمته حين أشركوا به غيره . قال النووي : هذا الحديث من أحاديث الصفات ، و فيها مذهبان : التأويل والإمساك عنه مع الإيمان بها مع اعتقاد أن الظاهر منها غير مراد ، فعلى قول المتأولين يتأنلون الأصابع هنا على الاقتدار أي خلقها مع عظمها بلا

تعب و لا ملل ، و الناس يذكرون الإصبع في مثل هذا للمبالغة و الاحتقار فيقول أحدهم : بإصبعي أقتل زيداً أي لا كلفة علي في قتله ، و قيل : يتحمل أن المراد أصابع بعض مخلوقاته ، و هذا غير ممتنع ، و المقصود أن يد الجارحة مستحيلة انتهى .

قلت:- الإمساك عن التأويل و إقرار هذه الأحاديث كما جاءت من غير تكيف و لا تحريف هو مذهب السلف ^(١).

موضع الشاهد:

(... أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْمَاءَ وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ، وَسَائِرُ الْخَلَائِقِ عَلَى إِصْبَعٍ ...) .

التحليل البلاغي:

التناسب عنصر أساسي في بلاغة الكلام ، و عامل قوي في حسنها و جودتها ، فالكلام البليغ ينبغي أن تتألف ألفاظه ، و تتلاءم معانيه ، و ينظم في نسق بديع متلاحم الأجزاء متناسب الدلالات ، و بدون ذلك لا يستحق الكلام وصف البلاغة ، و لا يكون نظماً معتداً به عند البلاغيين ^(٢).

ففي الحديث السابق تتناسب الألفاظ التالية:

(السَّمَاوَاتِ - الْأَرْضِينَ - الشَّجَرَ - الْمَاءَ - الثَّرَى أي التراب - سَائِرُ الْخَلَائِقِ) أدى هذا التناوب اللغطي إلى ترابط المعاني و تلامح الأجزاء ، تلامحاً وصل به الأسلوب إلى حد البلاغة .

و تظهر القيمة البلاغية من اللون البدوي المعنوي (مراقبة النظير) في أنه من خلال الجمع بين الأمور المتناسبة و هي السماوات و الأرضين و الشجر و الماء و الثرى و سائر الخلائق تظهر مدى قدرة الله و قوته و عظمته في جعلها على أصابعه

(١) : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، ج ٩ ، مرجع سابق ، ١١٣-١١٤ .

(٢) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٨٤ .

عز و جل ، فينبر الإِنْسَان بـهـذـهـ القـوـة ، و هـذـهـ القـوـةـ لـيـسـتـ لـلـتـحـوـيـف ، بل من أـجـلـ زـرـعـ تـعـظـيمـهـ فـيـ نـفـوسـهـمـ تعـظـيمـاًـ يـولـدـ حـبـاًـ وـ يـعـينـ عـلـىـ طـاعـتـهـ وـ شـكـرـ نـعـمـهـ ، فالـنـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـىـهـ وـسـلـمـ أـقـرـ الحـبـرـ فـيـ كـلـامـهـ حـوـلـ عـظـمـةـ اللـهـ وـ قـوـتـهـ .

فـكـيـفـ أـنـهـ بـعـظـمـتـهـ وـ قـوـتـهـ عـزـ وـ جـلـ يـسـتـطـعـ أـنـ يـضـعـ السـمـاـوـاتـ السـبـعـ بـجـمـهاـ وـ عـظـمـتـهـاـ عـلـىـ إـصـبـعـهـ ؟ـ وـ كـيـفـ يـضـعـ الرـحـمـنـ الـأـرـضـيـنـ بـثـقـلـهـاـ وـ صـلـابـتـهـاـ عـلـىـ إـصـبـعـهـ ؟ـ وـ كـذـلـكـ كـيـفـ يـضـعـ الـأـشـجـارـ بـتـنـوـعـهـاـ وـ كـثـرـتـهـاـ وـ تـشـابـكـهـاـ عـلـىـ إـصـبـعـهـ ؟ـ ، وـ كـيـفـ يـضـعـ الـخـيـطـاتـ وـ الـبـحـارـ وـ الـأـنـهـارـ وـ الـعـيـونـ وـ الـيـنـابـيعـ عـلـىـ إـصـبـعـهـ ؟ـ ، وـ كـيـفـ يـضـعـ التـرـابـ وـ سـائـرـ الـخـلـائقـ مـنـ بـشـرـ وـ حـجـرـ وـ جـبـالـ شـاهـقةـ وـ صـخـورـ صـلـبـةـ عـلـىـ إـصـبـعـهـ ؟ـ ، فـأـيـ عـظـمـةـ هـيـ عـظـمـةـ اللـهـ ، وـ أـيـ قـوـةـ هـيـ قـوـتـهـ سـبـحـانـهـ ، فـكـيـفـ يـعـصـيـهـ بـشـرـ وـ كـيـفـ يـكـفـرـ بـهـ إـنـسـانـ ؟ـ !ـ .

الحديث الثاني:

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ : حَدَّثَنَا أَبِي : حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ : سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذُكْرَنِي ، فِإِنْ ذُكْرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكْرُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذُكْرَنِي فِي مَلَءِ ذَكْرُهُ فِي مَلَءٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُه هَرْوَلَةً) ^(١).

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له ^(٢).

موضع الشاهد:

(... وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شَبْرًا تَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ بَاعًا ...).

التحليل البلاغي:

إن التناسب أمر ضروري في بلاغة الأساليب ، و إن الأسلوب البلigh تتلاءم ألفاظه و تتناسب معانيه ، و يكون منظوماً على نسق مؤتلف في شكله و مضمونه ^(٣).

و قد ظهر التنااسب في الحديث القديسي السابق في (شبر- ذراع- باع) و هي أدوات قياس كان يستخدمها الإنسان قديماً لقياس الأشياء المحسوسة أو القريبة ، و قد

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : (وَيُحَدِّرُكُمُ اللَّهُ أَنْفَسَهُ) و قوله جل ذكره : (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) ، رقم الحديث : ٦٩٥٦ ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

(٢) : راجع البحث : ص ١١٣ .

(٣) : دراسات منهجية في علم البدع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ص ٩٠ .

وردت في الحديث القدسي بمعنى : " قال ابن بطال : وصف سبحانه نفسه بأنه يتقرب إلى عبده ، و وصف العبد بالتقرب إليه ، و وصفه بالإتيان و المرولة ، كل ذلك يحتمل الحقيقة و المجاز ، فحملها على الحقيقة يقتضي قطع المسافات و تداني الأجسام ، و ذلك في حقه تعالى محال ، فلما استحالـت الحقيقة تعـين المجاز لشهرته في كلام العرب ، فيكون وصف العبد بالتقرب إليه شيراً و ذراعاً و إتيانه و مشيه معناه التقرب إليه بطاعته و أداء مفترضاته و نوافله ، و يكون تقريره سبحانه من عبده و إتيانه و المشي عبارة عن إثابته على طاعته و تقريره من رحمته " ^(١) .

فالقيمة البلاغية لمراعة النظر في هذا الحديث تظهر في تقرير المعاني و تمكينها و استقرارها في نفس المتلقـي ، فحينئذ ترسخ و تثبت المعاني في النفس ، فعندما جاء بأدوات القياس قدـماً كان موافقاً تماماً فهو أسلوب يتناسب تماماً مع تلك الأفهام خاصة و تلك البيئة ؟ فالله تعالى أسرع بالخيرات إلى العبد و أسرع بالإثابة من فعل العبد للطاعة .

و قد أـسهم ضرب المثل المحسوس في هذا الحديث القدسـي في ترسـيخ المعنى ، إضافة إلى مـاله من فـضل في تـلاـحـم أـجزاء الـكلـام و تـرابـطـ المعـانـي ، فـفي التـأـمـلـ في هـذاـ الحديثـ القدسـيـ بـحدـ أنهـ كـعـقدـ اللـؤـلـؤـ المنـظـومـ ، وـ كـالـرـياـضـ الزـاهـرـةـ بـالـنـسـبةـ لـبعـضـهـ البعضـ .

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب التوحيد ، باب ذكر النبي ﷺ و روایته عن ربه ، ج ١٣ ، مرجع سابق ، ص ٦٣٨-٦٣٩.

الحديث الثالث:

حدَّثني مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ : حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ مُخْلِدٍ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ ابْنُ بِلَالٍ : حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَعْمَانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَتُهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَرَأُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أُحِبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبَصِّرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلْنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيدَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) ^(١).

المضمون العام للحديث:

هذا الحديث القدسي في قوم اصطفاهم الله بمحبته ، وآثرهم بفضله ورحمته ، وقد بلغ من علو شأنهم وسمو قدرهم أن أعلن سبحانه الحرب على كل من أراد بهم سوءاً أو أحق بهم أذى .

فقد بدأ الحديث بقوله : (مَنْ عَادَ لِي وَلِيًّا) : المراد بولي الله : العالم بالله ، المواظب على طاعته ، المخلص في عبادته ^(٢).

وقوله (فَقَدْ آذَنَتُهُ) : بالمد وفتح المعجمة بعدها نون أي أعلمته ، والإيدان : الإعلام ، و منه أخذ الأذان ^(٣) . (المراد لازمه) أي أعمل به ما يعمله العدو المحارب من الإيذاء و نحوه ^(٤) .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ٢٣ ، كتاب الرفاق ، باب التواضع ، رقم الحديث : ٦١١٦ . مرجع سابق ، ص ٢٢-٢٣.

(٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الرفاق ، باب التواضع ، ج ١١ ، مرجع سابق ، ص ٤١٥.

(٣) : المرجع السابق ، ص ٤١٦.

و قوله (بِالْحَرْبِ) : قال الفاكهاني : في هذا تحديد شديد ، لأن من حاربه الله أهلكه ، و هو من المجاز البلigh ، لأن من كره من أحب الله خالف الله ، و من خالف الله عانده ، و من عانده أهلكه ، و إذا ثبت هذا في جانب المعاداة ثبت في جانب المولاة ، فمن ولي أولياء الله أكرمه الله . و قال الطوفى : لما كان ولي الله من تولى الله بالطاعة و التقوى تولاه الله بالحفظ و النصرة ، و قد أجرى الله العادة بأن عدو العدو صديق ، و صديق العدو عدو ، فعدو ولي الله عدو الله ، فمن عاداه كان كمن حاربه ، و من حاربه فكأنما حارب الله ^(٢) .

و قوله : (وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ) و يدخل تحت هذا اللفظ جميع فرائض العين و الكفاية ، و ظاهره الاختصاص بما ابتدأ الله فرضيته ، و في دخول ما أوجبه المكلف على نفسه نظر للتفصيد بقوله افترضت عليه ، إلا أن أخذ من جهة المعنى الأعم ، و يستفاد منه أن أداء الفرائض أحب الأعمال إلى الله ^(٣) .

و قوله (وَمَا يَرَأُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ) : التقرب طلب التقرب ، قال أبو القاسم القشيري : قرب العبد من ربه يقع أولاً بيااته ، ثم بمحاسنه . و قرب الرب من عبده ما يخصه به في الدنيا من عرفانه ، و في الآخر من رضوانه ، و فيما بين ذلك من وجوه لطفه و امتنانه . و لا يتم قرب العبد من الحق إلا ببعده من الخلق . قال : و قرب الرب بالعلم و القدرة عالم للناس و باللطف و بالنصرة خاص بالخواص ، و بالتأنيس خاص بالأولياء ^(٤) .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ٢٣ ، كتاب الرفاق ، باب التواضع ، رقم الحديث : ٦١١٦
مرجع سابق ، ص ٢٢٠ .

(٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الرفاق ، باب التواضع ، ج ١١ ، مرجع سابق ، ص ٤١٦ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٤١٦ - ٤١٧ .

(٤) : المرجع السابق ، ص ٤١٧ .

قوله : (**بِالْتَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ**) : قال الفاكهاني : معنى الحديث أنه إذا أدى الفرائض و دام على إتيان النوافل من صلاة و صيام و غيرها أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى . و قال ابن هيره : يؤخذ من قوله : (ما تقرب الح) أن النافلة لا تقدم على الفريضة ، لأن النافلة إنما سميت نافلة لأنها تأتي زائدة على الفريضة ، فما لم تؤد الفريضة لا تحصل النافلة ، و من أدى الفرض ثم زاد عليه النفل و أداه ذلك تحققت منه إرادة التقرب انتهى ^(١) .

قوله : (**إِنَّمَا أَحَبَّتْهُ كُنْتُ سَمِعْتُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرْتُ الَّذِي يُبَصِّرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا**) و قد استشكل كيف يكون الباري جل و علا سمع العبد و بصره...الخ ؟ و الجواب من أوجه :

أحدهما : أنه ورد على سبيل التمثيل ، و المعنى كنت سمعه و بصره في إشارة أمري ، فهو بحب طاعتي ، و يؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح .

ثانيها : أن المعنى كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني ، و لا يرى بصره إلا ما أمرته به .

ثالثها : المعنى أجل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه و بصره إلخ .

رابعها : كنت له في النصرة كسمعه و بصره و يده و رجله في المعاونة على عدوه .

خامسها : قال الفاكهاني و سبقه إلى معناه ابن هبيرة : هو فيما يظهر لي أنه حذف مضاف ، و التقدير : كنت حافظ سمعه الذي يسمع به ، فلا يسمع إلا ما يحل استماعه ، و حافظ بصره و كذلك إلخ .

سادسها : قال الفاكهاني : يحتمل معنى آخر أدق من الذي قبله ، و هو أن يكون معنى سمعه مسموعه ، لأن المصدر قد جاء بمعنى المفعول ، مثل : فلان أملني بمعنى مأمولي ، و المعنى أنه لا يسمع إلا ذكري ، و لا يلتذ إلا بتلاوة كتابي ، و لا يأنس إلا

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، ج ١١ ، مرجع سابق ، ص ٤١٧ .

بمناجاتي ، و لا ينظر إلا في عجائب ملوكوتى ، و لا يمد يد إلا فيما فيه رضاي ، و رجله كذلك ، و معناه قال ابن هبيرة أيضاً^(١) .

قوله : (وَإِنْ سَأَلَنِي لَا أُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَا عِذْنَهُ) (أُعْطِيَنَّهُ) أي بمعنى ما سأل ، (لَئِنْ اسْتَعَاذَنِي) المعنى : (أعذته مما يخاف)^(٢) .

قوله : (تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدْتُ عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ) : قال الخطابي : التردد في حق الله غير جائز ، و البداء عليه في الأمور غير سائغ . و لكن له تأويلان : أحدهما أن العبد قد يشرف على الملائكة في أيام عمره من داء يصيبه ، و فاقة تنزل به ، فيدعون الله فيشفيه منها ، و يدفع عنه مكروها ، فيكون ذلك من فعله كتردد من يريد أمراً ثم يجدوه فيه فيتركته و يعرض عنه ، و لا بد له من لقائه إذا بلغ الكتاب أجله ، لأن الله قد كتب الفناء على خلقه و استأثر بالبقاء لنفسه . و الثاني أن يكون معناه ما ردت رسلي في شيء و أنا فاعله كترددتي إياهم في نفس المؤمن ، كما روى في قصة موسى و ما كان من لطمه عين ملك الموت ، و ترددته إليه مرة بعد أخرى ، قال : و حقيقة المعنى على الوجهين : عطف الله على العبد ، و لطفه به ، و شفقته عليه^(٣) .

قوله : (يَكْرُهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرُهُ مَسَاءَتَهُ) الكراهة هنا لما يلقى المؤمن من الموت و صعوبته و كريهه ، و ليس المعنى أني أكره له الموت ؛ لأن الموت يورده إلى رحمة الله و مغفرته انتهى.

و يحتمل أن تكون المساءة بالنسبة إلى طول الحياة لأنها تؤدي إلى أرذل العمر ، و تنكس الخلق و الرد إلى أسفل سافلين^(٤) .

موضع الشاهد:

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ١١ ، مرجع سابق ، ص ٤١٨ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٤١٨ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٤٢٠ .

(٤) : المرجع السابق ، ص ٤٢١ .

(...) كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبَصِّرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ...) .

التحليل البلاغي:

ظهر اللون البدوي المعنوي مراعاة النظير في الحديث القديسي السابق في أربع كلمات وهي: (سمعيه ، بصره ، يده ، رجله) و هي من أعضاء الإنسان ، و إنما خص هذه الأعضاء بالذكر دون غيرها " و ذلك أن مساعي الإنسان إنما تكون بهذه الجوارح الأربع " ^(١) .

و السر البلاغي من وراء الجمع بين هذه الأمور المناسبة يظهر في تكين المعانى و استقرارها في نفس المتلقى ، فالمعنى هو " توفيقه في الأعمال التي باشرها بهذه الأعضاء ، و تيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ، و يعصمه من مواجهة ما يكره الله تعالى من إصغاء إلى اللهو مثلاً ، و من نظر إلى ما نهى عنه ، و من بطش مما لا يحل له ، و من سعي في الباطل برجله " ^(٢) . و ما لا شك فيه إذا علم المتلقى بهذا المعنى فإنه سيرسخ في نفسه و يتثبت .

و من خلال هذا الجمع بين تلك الأمور نجد أنه كان له أثر كبير في بلاغة الاسلوب و سموه و رونقه ، فقد أدى إلى تلامح أجزاء الكلام ، و ترابط المعانى ، و تقوية السبك ، و تماسك اللبنات ، فنجد أن كل لفظة مفتقرة إلى أختها لا يمكن بترها بحال من الأحوال ، أو حتى تغيير مكانها و تبدلها .

و يلاحظ هذا الحديث و قد اختاره ﷺ لألفاظه و تمازج تلك الألفاظ مع المعانى ، تمازجاً وصل إلى أسمى الغايات ، فنجد دقته أيضاً ﷺ في أنه لم يقدم البصر على السمع ، و لا الرجل على اليد إنما رتب الكلمات حسب ترتيب المعانى في نفسه ﷺ.

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، ج ٢٣ ، مرجع سابق ، ص ٢٣ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٢٢ - ٢٣ .

الحاديـث الـرابـع:

حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ
الْأَعْرَوْيِ وَأَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (يَسْتَرِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلُّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى
ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ : مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَحِيْبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيْهُ مَنْ
يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) (١) .

المضمون العام للحديث:

وَضَحَّ الْحَدِيثُ الْقَدِيسِيُّ السَّابِقُ فَضْلُ الدُّعَاءِ فِي الْثَّلَاثِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيلِ ، فَهُوَ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ وَأَجْلِ الطَّاعَاتِ الَّتِي رَغِبَ فِيهَا الشَّرِعُ ، فَهُوَ دَأْبُ الصَّالِحِينَ ، وَ تَحْارَةُ الْمُؤْمِنِينَ .

قال ابن بطال: هو وقت شريف ، خصه الله بالتنزيل فيه ، فيتفضل على عباده بإجابة دعائهم ، و إعطاء سؤلهم ، و غفران ذنوبهم ، و هو وقت غفلة و خلوة و استغراق في النوم و استلذاذ له ، و مفارقة اللذة و الدعة صعب ، لا سيما أهل الرفاهية و في زمن البرد . و لذا أهل التعب و لا سيما في قصر الليل ، فمن آثر القيام لمناجاة ربه و التضرع إليه مع ذلك دل على خلوص نيته و صحة رغبته فيما عند ربه ، فلذلك نبه الله عباده على الدعاء في هذا الوقت الذي تخلو فيه النفس من خواطر الدنيا و علقها ، ليستشعر العبد الجد ، و الإخلاص لربه ^(٢) .

و بدأ الحديث بقوله (يَسْتَرِّعُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلُّ لَيْلٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا) قال ابن عثيمين: "نزله تعالى حقيقي؛ لأنَّه كما مر علينا من قبل: أنَّ كُلَّ شَيْءٍ كان الضمير يعود فيه إلى الله؛ فهو ينسب إليه حقيقة. فعلينا أن نؤمن به و نصدق و نقول: ينزل

(١) : صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب : باب الدعاء نصف الليل ، رقم الحديث : ٦٣٢١ ، مترجم سابق ، ص ١٢١٦ .

(٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب الدعاء نصف الليل ، ج ١١ ، ص ١٥٥ .

ربنا إلى السماء الدنيا ، و هي أقرب السماوات إلى الأرض ، و السماوات سبع ، و إنما ينزل في هذا الوقت من الليل للقرب من عباده جل و علا ؛ كما يقرب منهم عشية عرفة ؛ حيث يباهي بالواقفين الملائكة .

و قوله : (كل ليلة) : يشمل جميع ليالي العام " ^(١) .

بينما ذكر البيضاوي : " و لما ثبت بالقاطع أنه سبحانه منزه عن الجسمية والتحيز امتنع عليه النزول على معنى الانتقال من موضع إلى موضع آخر ضمه ، فالمراد نور رحمته ، أي ينتقل من مقتضى صفة الجلال التي تقتضي الغضب والانتقام إلى مقتضى صفة الإكرام التي تقتضي الرأفة والرحمة " ^(٢) .

و قوله : (حين يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ) : " و الليل ينتهي من غروب الشمس اتفاقاً ، لكن حصل الخلاف في انتهاءه هل يكون بطلوع الفجر أو بطلع الشمس ؟ و الظاهر : أن الليل الشرعي ينتهي بطلوع الفجر ، و الليل الفلكي ينتهي بطلع الشمس " ^(٣) .

و قوله (مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ... إِلَخ) الفرق بين الأمور الثلاثة و هي الدعاء و السؤال والاستغفار ، هو أن المطلوب إما لدفع المضار أو جلب المصال ، و ذلك إما ديني وإما دنيوي ، ففي الاستغفار إشارة إلى الأول ، و في السؤال إشارة إلى الثاني ، و في الدعاء إشارة إلى الثالث . و قال الكرماني : يحتمل أن يقال الدعاء ما لا طلب فيه نحو يا الله ، و السؤال الطلب ، و أن يقال المقصود واحد و إن اختلف اللفظ انتهى ^(٤) .

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٤١٥ .

(٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٣ ، كتاب التهجد ، باب الدعاء و الصلاة من آخر الليل ، ص ٤٠ .

(٣) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٤١٥ .

(٤) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٣ ، كتاب التهجد ، باب الدعاء و الصلاة من آخر الليل ، ص ٤٠ .

موضع الشاهد:

(... مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ) .

التحليل البلاغي:

ظهر التناسب في الحديث القدسي السابق في : (يدعونني ، يسألني ، يستغفرني) و هي من أنواع العبادات التي يجب صرفها لله تعالى خاصة في الثالث الأخير من الليل حيث يتنزل الله إلى السماء الدنيا .

ما لا شك فيه أن التنااسب في الحديث القدسي السابق كان له أثر واضح في الأسلوب شكلاً و مضموناً ، ففي الشكل بحد الفاظاً متجانسة و جمالاً متوازنة كان لها أثرها الصوتي الرنان بنغماتها الموسيقية ، خاصة عندما استخدم أسلوب الشرط ، حيث إن جميع الجمل الثلاث بدأن (بمن) الشرطية و من ثم أتى بعدها فعلها المضارع و جوابها المترون بالفاء ، و قد أتى تركيب الجمل بالطبع غير متكلف و لا متصنع ، فلذا بحدتها تناسب إلى نفس السامع انسياجاً رائعاً و تتمازج مع المعنى تمازجاً آخذًا .

أما في المضمون فنجد المعاني متلاحمة و متراقبة ، فالدعاء يقوى صلة العبد بربه و يفتح له أبواب خيره و نعمه ، ففيه تقضى الحاجات و تدفع الحن و المصائب و بالأخص ذلك الدعاء الذي يكون في الثالث الأخير من الليل ، حيث يتنزل رب العزة فيقول من يدعوني ؟ ، من يسألني ؟ ، من يستغفرني ؟ ، فعندها يعلم ذلك العبد أن تتحقق له طمأنينة القلب و صفاء النفس فيشعر المسلم بالرضا و السكينة و الأمان فيnal غاية ما يتمنى الإنسان . فحينئذ تتأكد المعاني ، و تترسخ في نفس المتلقى .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ ، عَنْ هَلَالِ بْنِ أَبِي هَلَالٍ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ . رضى الله عنهم . أَنَّ هَذِهِ، الْآيَةُ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ قَالَ فِي التَّوْرَأَةِ (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزاً لِلْأَمْمَيْنَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي سَمِّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيْظٍ وَلَا سَخَّابٌ بِالْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ السَّيْئَةَ بِالسَّيْئَةِ وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفُحُ وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةُ الْعَوْجَاءَ بِأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيُفْتَحَ بِهَا أَعْيُّنَا عُمْيَاً، وَآذَانَا صُمْمَاً، وَقُلُوبًا غُلْفَا) ^(١).

المضمون العام للحديث:

لقد كان الصحابة و التابعون حريصين على معرفة وصف الرسول ﷺ في الكتب السابقة بعد معرفتهم لصفته ﷺ في القرآن الكريم ؛ و ذلك كي يزيد إيمانهم و حبهم لنبيهم ﷺ و لإقامة الحجة على أهل الكتاب الذين بشرت كتبهم النبي الإسلام نبي آخر الزمان .

و قد وضح الحديث القديسي السابق بعضاً من صفاته صلى الله عليه وسلم في التوراة ، و قد بدأ الحديث بقوله : (أَنَّ هَذِهِ، الْآيَةُ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ : ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ قَالَ فِي التَّوْرَأَةِ : يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا) أي شاهداً على الأمة ، و مبشرًا للمطيعين بالجنة ، و للعصاة بالنار ، أو شاهداً للرسل قبله بالإبلاغ .

قوله : (وَ حِرْزاً) أي حصنًا ، و الأميين هم العرب .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، باب (إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا) مرجع سابق ، ص ٩٧ .

قوله : (سَمِّيْكَ الْمُتَوَكِّلَ) أي على الله لقناعة باليسير ، و الصبر على ما كان يكره .

قوله : (لَيْسَ بِفَظٌّ وَلَا غَلِيلٌ) هو موافق لقوله تعالى : ﴿فِيمَا رَحْمَةٌ مِنَ اللَّهِ لِنَتَلَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيلًا لَأَنَفَضُوا مِنْ حَوْلَكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

و لا يعارض قوله تعالى : ﴿وَأَغْلُظُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] لأن النفي محمول على طبعه الذي جبل عليه ، و الأمر محمول على المعالجة ، أو النفي بالنسبة للمؤمنين ، و الأمر بالنسبة للكفار و المنافقين كما هو مصرح به في نفس الآية ^(١) .

قوله (وَلَا سَخَابٌ) و يقال : من الصخب بالصاد المهملة بدل السين ، و هو رفع الصوت بالخصام ، و أخذت الكراهة في نفي الصفة المذكورة عن النبي صلى الله عليه وسلم كما نفيت عنه صفة الفظاظة و الغلطة ^(٢) .

قوله (يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ) هو مثل قوله تعالى : ﴿أَدْفَعْ بِإِلَيْهِ أَحْسَنَ﴾ ^(٣).

قوله : (وَلَنْ يَقْبِضُهُ) أي يمتهنه .

قوله : (حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَةُ الْعَوْجَاءُ) أي حتى ينفي الشرك و يثبت التوحيد . و الملة العوجاء : ملة الكفر ، ^(٤) و بذكر الملة العوجاء أي ملة العرب ، و وصفها

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الفتح ، باب ﴿يَأَمْبَاهَا الَّتِي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ، ج ٨ ، مرجع سابق ، ص ٧٤٥ .

(٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب الكيل على البائع و المعطي و قول الله عز وجل ﴿وَلَذَا كَلُوْهُمْ أَوْ زَرُوْهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ، ج ٤ ، ص ٤٣٤ .

(٣) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الفتح ، باب ﴿يَأَمْبَاهَا الَّتِي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ، ج ٨ ، مرجع سابق ، ص ٧٩٤ .

(٤) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الفتح ، باب ﴿يَأَمْبَاهَا الَّتِي إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ، ج ٨ ، مرجع سابق ، ص ٧٤٦ .

بالعوج بما دخل فيها من عبادة الأصنام ، و المراد بإقامتها أن يخرج أهلها من الكفر إلى الإيمان ^(١) .

قوله (فَيَفْتَحَ بِهَا) أي كلمة التوحيد (أَعْيُنَا عُمِّيًّا) أي عن الحق ، و ليس هو على حقيقته ، و كذا الكلام في الآذان و القلوب ^(٢) .

موضع الشاهد:

(... فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنَا عُمِّيًّا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا) .

التحليل البلاغي:

ظهر التناوب في الحديث القدسي السابق في : (أَعْيُنَا ، آذَانًا ، قُلُوبًا) و هي من أعضاء الإنسان و حواسه المهمة التي يستطيع بامتلاكه لها الاطلاع و الانسجام مع العالم الخارجي .

و السرُّ البلاغي من وراء الجمع بين هذه الأمور المتناسبة يظهر في أنه سبحانه لم يبعث رسولنا صلى الله عليه وسلم إلا ليقيم به الملة العوجاء و هي ملة الكفر ، و حتى يقول هؤلاء البشر المبعوث إليهم : لا إله إلا الله ، بهذه العبارة يُفتح بها (أَعْيُنَا عُمِّيًّا وَآذَانًا صُمًّا وَقُلُوبًا غُلْفًا) و تجدر الإشارة إلى أن هؤلاء المبعوث إليهم ليسوا عمياً الأ بصار و لا صم الآذان و لا غلف القلوب من الناحية الحقيقة ، إنما أنت مجازاً ، فهم عميان عن الحق و طريق الصواب ، و صم الآذان فهم لا يسمعون كلام الله ، و كذلك غلف القلوب فهم لا يدركون و لا يفقهون الصراط المستقيم .

فمن خلال هذه الحواس الثلاث يكون الإنسان مدركاً و عاقلاً و مُميزاً بين الخير و الشر و الحق و الباطل ، و مأموراً بالبحث و النظر في الكون ليتأمل و يتدارك ،

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب الكيل على البائع و المعطي و قول الله عز وجل ﴿ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ زَرَوْهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ ، ج ٤ ، مرجع سابق ، ص ٤٣٤ .

(٢) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب التفسير ، سورة الفتح ، باب ﴿ يَأَيُّهَا أَنَّى إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ ، ج ٨ ، مرجع سابق ، ص ٧٤٦ .

فالمؤمن يسمع و يصر و يفقه و من عداه من الكفار و المنافقين لا يسمعون و لا يصرون و لا يفهون ، فقد عطلوا ما وهبهم الله من أدوات الفهم و الإدراك و التدبر .

فمن هنا نجد أن الجمع بين هذه الحواس الثلاث أريد به تثبيت المعنى الحقيقي و ترسيخته و استقراره في نفس المتلقى ، لا سيما و قد أتت بجمل متوازية متناسبة الأجزاء ، مترابطة المعاني .

المبحث السادس

الجمع و التقسيم

أولاً: الجمع:

التعريف باللون البدائي :

الجمع عند السكاكي : " هو أن تدخل شيئين فصاعدا في نوع واحد " ^(١).

و الجمع عند الخطيب : " هو أن يجمع بين شيئاً أو أشياء في حكم واحد " ^(٢).

و شرح سعد الدين التفتازاني قول الخطيب السابق فعندما ذكر " (و منه) أي : و من المعنوي (الجمع ، و هو أن يجمع بين متعدد) اثنين أو أكثر (في حكم واحد كقوله تعالى : (المال و البنون زينة الحياة الدنيا) و نحو قوله) أي قول أبي العتاهية : علمت يا مجاشع بن مساعدة * (أن الشباب و الفراغ و الجدة *) أي الاستغفاء (مفسدة) أي داعية إلى الفساد (للمرء أي مفسدة *) ... " ^(٣).

و ذكر صاحب عروس الأفراح إلى أن قوله : " (و منه الجمع الخ) ش الجمع اصطلاحاً عبارة عن جمع متعدد في حكم اما اثنين كقوله تعالى : (المال و البنون زينة الحياة الدنيا) أو أكثر كقول الشاعر :

إن الشباب و الفراغ و الجدة * مفسدة للمرء أي مفسدة

و ورد في حاشية الدسوقي على شرح السعد: " (قوله : أن يجمع بين متعدد في حكم) أي شيء محكوم به كالزينة ، و إنما أدخل لفظ بين و لم يقل أن يجمع متعددًا إشارة إلى أن للتعدد يجب أن يكون مصريحاً به في الذكر ، و ليس قولنا للبنون زينة

(١) : مفتاح العلوم ، ٢٠٠ .

(٢) : الإيضاح ، ٣٥٢ .

(٣) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٣٥ .

الحياة الدنيا من قبيل الجمع و سواء كان الجمع ، بين المتعدد بعطف أو غيره ، و سواء كان من نوعين متقاربين أو من أنواع متباعدة ، و سواء كان ذلك الحكم الذي جمع بين المتعدد فيه وقع خبرا عن المتعدد كما في الآية أو البيت أولا كما في قوله :

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى و أبو اسحاق و القمر

و المراد بالحكم المحكوم به و لو في المعنى ...^(١).

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البدوي المعنوي (الجمع) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح السلحيص ، ج ٤ ، ٢٣٥ .

الحديث الأول:

حدَّثني بِشر بْن مرحوم : حَدَّثنَا يَحْيى بْن سَلِيم ، عَنْ إِسْمَاعِيل بْن أُمِّيَة ، عَنْ سَعِيد بْن أَبِي سَعِيد ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (ثَلَاثَةُ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

يتحدث هذا الحديث القدسي أولاً : عن نقض العهد ، و ثانياً : عن أكل الحرام ؛ لأن بيع الحر حرام ، و ثالثاً : عن ظلم العمال ، فلاشك أن هؤلاء الذين يتصرفون بهذه الصفات القبيحة يكون الله خصمهم يوم القيمة .

و قد بدأ الحديث بقوله عز وجل على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم : (ثَلَاثَةُ أَنَا خَصْمُهُمْ) قال ابن التين : هو سبحانه و تعالى خصم جميع الظالمين ، إلا أنه أراد التشديد على هؤلاء بالتصريح ، و الخصم يُطلق على الواحد و على الاثنين و على أكثر من ذلك .

قوله : (أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ) كذا للجميع على حذف المفعول ، و التقدير : أعطى يمينه بي ، أي عاهد عهداً و حلف عليه بالله ثم نقضه .

قوله : (بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ) خص الأكل بالذكر لأنه أعظم مقصود ؛ قال الخطابي : اعتقاد الحر يقع بأمررين : أن يعتقد ثم يكتم ذلك أو يجحد ، و الثاني أن يستخدمه كرهاً بعد العتق ، و الأول أشدهما . قال المهلب: و إنما كان إثم شديداً لأن

(١) : صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب إثم من باع حرراً ، رقم الحديث : ٢٢٢٧ مرجع سابق ، ص

المسلمين أكفاء في الحرية ، فمن باع حرّاً فقد منعه التصرف فيما أباح الله له ، و ألزمه الذل الذي أنقذه الله منه .

و قال ابن الجوزي : الحر عبد الله فمن جني عليه فخصمه سيده .

و قال ابن المنذر : لم يختلفوا في أن من باع حرّاً أنه لا قطع عليه ، يعني أنه إذا لم يسرقه من حرز مثله ، إلا ما يروى عن علي : تقطع يد من باع حرّاً قال : و كان في جواز بيع الحر خلاف قدسم ثم ارتفع ، فروي عن علي قال : من أقر على نفسه بأنه عبد فهو عبد .

قوله : (وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ) هو في معنى من باع حرّاً ، و أكل ثمنه لأنه استوفي منفعته بغير عوض و كأنه أكلها ، لأنه استخدمه بغير أجرة و كأنه استعبده ^(١) .

موضع الشاهد:

(ثَلَاثَةُ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ باعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ) .

التحليل البلاغي:

الجمع لون بديع يحقق الإيجاز في الأسلوب ، حيث يجمع فيه بين الشيئين أو الأشياء في خبر واحد . و لو جعل لكل منها خبراً على حده لطال الكلام و خرج عن حد الاعتدال ^(١) .

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب إثم من باع حررا ، ج ٤ ، مرجع سابق ، ص ٥٢٧ - ٥٢٨ .

و قد جمع الله تعالى في الحديث السابق ثلاثة أصناف من الناس في حكم واحد و هو خصومته لهم يوم القيمة ، و ذكرهم على الترتيب حيث بدأ بالرجل الغادر ، و المناقض للعهد ، و الثاني أكل مال الحرام ، و الثالث الذي يستأجر الأجير و لا يعطيه حقه .

ما لا شك فيه أن أول قيمة بلاغية للفن البدعوي المعنوي الجمع هي إثارة الفكر ، و التشويف ، و لفت الإنتماه لما سيدكره ، فعندما ذكر الله تعالى الحكم (**ثَلَاثَةُ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**) ضاعف ذلك الأسلوب من لهفة المتلقى لبيان من هم هؤلاء الذين يخاصمهم الله يوم القيمة ؟ مَنْ مِنْ الْخَلْقِ إِنْسٌ أَوْ جَنٌ أَوْ مَلَكٌ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْصُبْ الْخَصُومَةَ بَيْنِهِ وَ بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ ؟ مَنْ يَسْتَطِعُ أَنْ يَقْفَ عَلَى أَرْضِ الْمَعرَكةِ حَرْبًا مَعَ اللَّهِ تَعَالَى ؟ وَ مَنْ ثُمَّ ذَكَرَ هُؤُلَاءِ الْأَصْنَافِ الْثَلَاثَةِ ، فَحِينَئذٍ اسْتَقَرَ الْمَعْنَى فِي نَفْسِ الْمَتَلَقِيِّ وَ رَسَخَ ، وَ وَقَفَ عَلَى الْمَرَادِ مِنَ الْحَكْمِ .

و ثاني القيم البلاغية التي تظهر للجمع في هذا الحديث القدسى ربط الأسلوب و تقوية العلاقة بين مفرداته ؛ نظراً لأن الأشياء المجموعة متعلقة بالحكم الذي جمعت فيه و ملتحمة به بحيث لا يمكن الفصل بينها ^(٢) ، و يظهر هذا عندما ذكر الله عز وجل أصناف الرجال الثلاث الذين هم خصم يوم القيمة ، رابطاً بين هؤلاء الأصناف بواو العطف التي أسهمت في بناء الجملة المتوازنة .

(١) : دراسات منهجية في علم البدع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٣٣ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٢٣٤ .

الحديث الثاني:

حَدَّثَنِي أَبُو عَسَانَ الْمِسْمَعِيُّ، وَحُمَّادُ بْنُ الْمُشَنَّى، وَحُمَّادُ بْنُ بَشَّارِ بْنِ عُثْمَانَ، - وَاللَّفْظُ لِأَبِي عَسَانَ وَابْنِ الْمُشَنَّى - قَالَا : حَدَّثَنَا مُعاَدُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ فَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارِ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ : (أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهَلْتُمْ مِمَّا عَلِمْنِي يَوْمِي هَذَا) : كُلُّ مَا لِنَحْلَتُهُ عَبْدًا ، حَلَالٌ . وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ ، وَإِنَّهُمْ أَتَنْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَنَّتَهُمْ عَنِ دِينِهِمْ ، وَحَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ ، لَهُمْ وَأَمْرُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا . وَإِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَمَقْتَهُمْ ، عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ ، إِلَّا بَقَائِيَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ . وَقَالَ : إِنَّمَا بَعْثَتُكَ لِأَبْشِلَّكَ وَأَبْتَلِّكَ ، وَأَنْزَلْتُ عَلَيْكَ كِتَابًا لَا يَغْسِلُهُ الْمَاءُ . تَقْرُؤُهُ نَائِمًا وَيَقْطَانَ . وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرْبَيَا فَقُلْتُ : رَبِّ إِذَا يَشْلُغُوا رَأْسِي فَيَدْعُوهُ خُبْرَةً ، قَالَ : اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجْتُوكَ ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ ، وَأَنْفَقْ فَسَنْنِفَ عَلَيْكَ ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ ، قَالَ : وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُفْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوفَّقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى ، وَمُسْلِمٌ . وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ . قَالَ : وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ : الْضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَيْرَ لَهُ ، الَّذِينَ هُمْ فِيْكُمْ تَبَعًا لَا يَتَبَعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا . وَالْخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمَعٌ ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ . وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِلُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ . وَدَكَرَ الْبُخْلَ أَوِ الْكَذِبَ

(وَ الشَّنْظِيرُ الْفَحَّاשُ) . وَلَمْ يَذْكُرْ أَبُو عَسَانَ فِي حَدِيثِهِ (وَ أَنْفَقَ فَسَنْفِقَ عَلَيْكَ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له ^(٢) .

موضع الشاهد:

(.... وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ : ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُؤْفَقٌ ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقُلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى ، وَمُسْلِمٌ . وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ...) .

(.... وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ : الضَّعِيفُ الَّذِي لَا زَبَرَ لَهُ ، الَّذِينَ هُمْ فِيكُمْ تَبَعًا لَا يَتَبَعُونَ أَهْلًا وَلَا مَالًا . وَالخَائِنُ الَّذِي لَا يَخْفَى لَهُ طَمْعٌ ، وَإِنْ دَقَّ إِلَّا خَانَهُ . وَرَجُلٌ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَهُوَ يُخَادِعُكَ عَنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ) . وَذَكَرَ الْبُخْلَانُ أَوِ الْكَذِبَ (وَالشَّنْظِيرُ الْفَحَّاشُ) .

التحليل البلاغي:

وقع الجمع في الحديث القدسي السابق في موضعين ، فال الأول منهما أن الله تعالى ذكر الصفات التي يعرف بها أهل الجنة في الدنيا وهي ثلاثة ، عندما قال الله تعالى :

(وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ) تشئت الآذان لسماعها و تشوقت النفس لمعرفتها حتى يكون المؤمن بإذن الله منهم ، و يفوز بالنعيم الخالد ، و يقيم في جنات النعيم ، فذكرها الله عز و جل على الترتيب ، و هي :

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ١٧ ، كتاب الجنة و صفة نعيمها و أهلها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة و أهل النار ، رقم الحديث : ٧١٣٦ ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ .

(٢) : راجع البحث : ص ٤٠٤ .

- السلطان العادل الموفق لما يحب الله .

- الرحيم بالمؤمنين والأقارب .

- القراء المتعففون مع أنهم محتاجون ، لكن عفتهم تمنعهم من المسألة ^(١) .

ثم ذكر الله عز وجل الصفات التي يعرف بها أهل النار - أعادنا الله منها - في الدنيا ، و قال الله عز و جل : (وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ) ، فعندما يذكر الله هذا الحكم يتשוק الإنسان و يصغي لمعرفة صفات أهل النار في الدنيا فرعاً ليبتعد و ينفر منها ، فنوات و تتابعت تلك الصفات ، و هي على الترتيب :

- ضعيف العقل الذي لا عقل ينجره عن المكرات و الفواحش و إنما هدفه في الحياة الشهوات و الملذات .

- الخائن الذي يعيش على الخيانة في الأهل و المال و في كبير الأمور و صغيرها و الذي لا يعرف أحداً إلا للخيانة في أهله و ولديته يرعى حولهم لأجل جوارهم .

- البخيل أو الكذاب و كلابهما مذموم .

- الشنطير الفحاش و هو البذيء سيء الخلق ^(٢) .

و في الجمع تتأكد المعاني و ترسخ في نفوس المتلقين و تستقر ، لا سيما و قد ربطت تلك الجمل باللواو العاطفة التي سبقت بحكم ، اشتراك فيه الجمل بعدها .

و أيضاً في الجمع تتقوى صلات الأسلوب و يصبح أكثر تماساً و ترابطًا و تلامحاً بين عبارات الفقرة الواحدة .

(١) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ١٣ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ١٣ - ١٤ .

الحديث الثالث:

وَحَدَّثَنِي عَنْ مَالِكٍ ، عَنْ أَبِي حَازِمٍ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسِ الْخُولَانِيِّ ، أَنَّهُ قَالَ : دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمْشِقَ . فَإِذَا فَتَّى شَابٌ بَرَاقُ الشَّنَائِيَا . وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ . وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ . فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هَذَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدْرُ ، هَجَرْتُ . فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهَجِيرِ . وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي قَالَ : فَإِنَّتَظَرْتُهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ . ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أُحِبُّكَ لِلَّهِ . فَقَالَ : أَلَّهُ ؟ فَقُلْتُ : أَلَّهُ . فَقَالَ : أَلَّهُ . فَقَالَ : أَلَّهُ ، قَالَ : فَأَخْذَ بِجُبْرِيَةِ رَدَائِي فَجَبَنَنِي إِلَيْهِ . وَقَالَ : أَبْشِرْ . فَإِنِّي سَعَثُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِينَ فِي ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِي ، وَالْمُتَرَاوِرِينَ فِي ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِي) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

وضَعَ الحَدِيثُ الْقُدُسِيُّ السَّابِقُ أَرْبَعَةً أَوْصَافًا وَعَلَامَاتًا ، مِنْ يَتَحَمَّلُ بَهَا فَإِنَّ اللَّهَ لَا بُدُّ وَأَنْ يَحْبِبَ ، وَحُبُّ اللَّهِ لِلْعَبْدِ هُوَ الْغَايَا الْكَبِيرَا ، وَصُكُوكُ الْأَمَانِ مِنَ النَّارِ ، وَتَذَكِّرَةُ الْعَبُورِ لِجَنَّاتِ النَّعِيمِ ، وَإِنَّ الْحَبِيبَ لَا يُعذَبُ حَبِيبَهِ .

وَقَدْ بَدَأَ الْحَدِيثُ بِقَصْةٍ طَرِيفَةً ، أَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : " (وَجَبَتْ) أَيِّ ثَبَّتْ أَوْ تَقدَّمَتْ (لِلْمُتَحَابِينَ فِي) بِتَشْدِيدِ التَّحْتِيَةِ أَيِّ لَأْجَلِي (وَالْمُتَجَالِسِينَ فِي) أَيِّ فِي

(١) : المَوْطَأُ . الإِمَامُ مَالِكُ بْنُ أَنْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، كِتَابُ إِسْعَافِ الْمُبَطَّأِ لِرِجَالِ الْمَوْطَأِ ، الإِمَامُ جَلالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السِّيُوطِيُّ ، طِّسْمٌ ، كِتَابُ الْجَامِعِ ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُتَحَابِينِ فِي اللَّهِ . رَقْمُ الْحَدِيثِ : ١٦ ، (بَيْرُوتُ : دَارُ ابْنِ حَزْمٍ ، ١٤١٦ھـ) ، صِ ٨٢٧ .

حي أو سبلي (وَالْمُتَّأْوِرِينَ فِيَ) بأن يزور بعضهم بعضاً لعيادة أو نجها (وَالْمُتَبَذِّلِينَ فِيَ) أي بأن يبدل بعضهم البعض المال (فيَ) أي في رضائى "^(1)." .

و ورد في الموطأ (وَالْمُتَبَادِلِينَ فِي) " قال الباقي : الذين يبذلون أنفسهم في مرضاته من الإنفاق على جهاد عدوه و غير ذلك مما أمروا به ، و قال غيره : أي يبذل كل واحد منهم لصاحب نفسه و ماله في مهماته في جميع حالاته في الله ، كما فعل الصديق بذل نفسه ليلة الغار و بذل ماله ^(٢) .

موضع الشاهد:

(وَجَبَتْ مَحْبَتِي لِلْمُتَحَابِينَ فِي ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِي ، وَالْمُتَرَاوِرِينَ فِي ، وَالْمُتَبَدِّلِينَ فِي) .

التحليل البلاغي:

جمع الله تعالى في الحديث القدسي بين أمور كثيرة ، توالٰت و تعاقبٰت و تتابٰعٰت فربطت المتلقٰي بها ، و جذبته إلى الإصغاء و الإنصات لآخر أمر من تلك الأمور ، و خاصةً بعد أن أصدر الله تعالى حكمًا اشتاقت إليه نفس المتلقٰي ، و تعلق به قلبه لعله يفوز بذلك الحكم .

ففي البداية أصدر الله تعالى حكماً و هو (وجَبَتْ مَحَبَّتِي) و محبة الله تعالى أثمن ما في الوجود ، وإن نالها الإنسان نال كل شيء ، وإن لم ينالها لم ينل شيئاً ، فهنا

(١) : مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايح ، ج ٩ ، كتاب الآداب ، باب الحب في الله و من الله ، مرجع ساقية ، ص ٢١٦ .

(٢) : الموطأ ، مرجع سابق ، ص ٨٢٧.

اشتاقت نفس المتلقى و ثار فكره و فرع وجده : ما الذي يوجب حبّة الله سبحانه ؟
ما الذي يلزم حبّة الله تعالى ؟ .

و قد أعقب ذلك الحكم جملاً متوازنة ، و مفردات منتقاة ، و عبارات رنانة ، ذات صوت موسيقي عالي ، كأنها عقود اللؤلؤ أو زهور الرياض أو سبائك الذهب ، أُسهمت بجمال الأسلوب و سموه ، و خاصةً عند ربط أجزاء الكلام بعضها مع بعض و تلامحها .

فقد دارت تلك الجمل المجموعة في حكم واحد حول موضوع واحد و هو لزوم محبتة سبحانه و تعالى ، و تلك الجمل هي (لِمُتَحَابِينَ فِي) فقد لزمت محبة الله سبحانه للإنسان الذي يحب إخوانه في الله عز وجل لا مصلحة دنيوية ، الجملة الثانية (وَالْمُتَجَالِسِينَ فِي) فقد لزمت محبتة سبحانه أيضاً لكل مجموعة جلسوا يقرؤون القرآن أو جلسوا يتناصرون في الله عز وجل ، و الجملة الثالثة (وَالْمُتَزاوِرِينَ فِي) فقد لزمت محبتة سبحانه للمتوازيين في الله عز وجل كمن ذهب يزور أخاه في الله سبحانه لا يتغى شيئاً إلا أن يزوره في الله ، و الجملة الأخيرة (وَالْمُتَبَذِّلِينَ فِي) محبتة لزمت من أعطى ابتغا وجهه سبحانه و لو آثر على نفسه .

و المتأمل في هذا الحديث يجد أن للفن البدوي المعنوي الجماع فضلاً كبيراً في تثبيت المعايير و ترسيخها في الذهن .

الحديث الرابع:

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُتَّهِفِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدٌ قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ مَنْصُورٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ رِبْعِيًّا عَنْ زَيْدِ بْنِ ظَبَيَانَ - رَفِعَهُ إِلَى أَبِي ذَرٍ - عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (تَلَاثَةٌ يُحْبُّهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : رَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ ، وَلَمْ يَسْأَلُهُمْ بِقَرَابَةِ بَيْنِهِ وَبَيْنِهِمْ فَمَنَعُوهُ فَتَخَلَّفُهُمْ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُمْ سِرَّاً ، لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالَّذِي أَعْطَاهُ ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ ، حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ ، نَزَلُوا ، فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ ، فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي ، وَيَتَلُو آيَاتِي ، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيرَةٍ ، فَلَقُوا الْعُدُو فَانْهَزَمُوا ، فَاقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ ، أَوْ يُفْتَحَ لَهُ) ^(١).

المضمون العام للحديث:

وضح الحديث القدسي السابق الثلاثة الذين يحبهم الله عز و جل ، فمحبته سبحانه ذات قيمة كبيرة و منزلة عالية فإليها يتتسابق المتسابقون ، و يعمل لها العاملون ، و يتنافس للحصول عليها المتنافسون ، فهي قوت القلوب ، و غذاء الأرواح ، و قرة العيون .

فيما بين نبينا صلى الله عليه وسلم في الحديث ثلاثة يحبهم الله عز و جل :

فالأول : معطي الصدقة الخالصة للإنسان المؤمن بالله سرّاً .

و الثاني : قائم الليل و الناس نيا م يتودد و يدعوا و يرجوا و يتضرع لله سبحانه و تعالى .

(١) : سنن النسائي ، بشرح الأمامين السيوطي و السندي ، تحقيق : السيد محمد سيد و علي محمد علي و سيد عمران ، ضبط أصوله : مصطفى محمد حسين الذهبي ، ط١ ، ج٢ ، كتاب قيام الليل و تطوع النهار ، باب فضل صلاة الليل في السفر ، رقم الحديث : ١٦١٤ ، (القاهرة : دار الحديث ، ١٤٢٠ هـ) ، ص ٢٤٣

و الثالث : المجاهد المقتول في سبيل الله و عند لقاء عدوه .

قال السيوطي : قوله (يَتَمَلَّقُنِي) (النهاية) الملق بالتحريك ؛ الزيادة في التوడد و الدعاء والتضرع ^(١) .

قال السندي : قوله : (رَجُلٌ أَتَى قَوْمًا) ظاهر السائل أحد الثلاثة الذين يحبهم الله و ليس كذلك ؛ بل معطيه ، فلا بد من تقدير مضاف ؛ أي معطي رجل ، و كذا قوله : و قوم ، بتقدير مضاف ؛ أي و عابد قوم (فَتَخَلَّفُهُمْ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ) فخرج من بينهم بحيث صار خلفهم في ظهورهم ، و قوله : بأعقابهم ، يعني في ظهورهم بمنزلة التأكيد لما يدل عليه تخلفهم (مِمَّا يُعَدِّلُ بِهِ) على بناء المفعول ؛ أي مما يجعل عديلاً و مثلاً و مساوياً في العادة (يَتَمَلَّقُنِي) هذا على حكاية كلام الله تعالى في شأن ذلك الرجل ، و الملق بفتحتين : الزيادة في الدعاء و التضرع (بِصَدْرِهِ) تأكيد الإقبال ؛ فإنه لا يكون إلا بالصدر (حَتَّى يُقْتَلَ) على بناء المفعول ^(٢) .

موضع الشاهد:

(ثَلَاثَةُ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : رَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ ، وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ فَمَنَعُوهُ فَتَخَلَّفُهُمْ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا ، لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالَّذِي أَعْطَاهُ ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ ، حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعَدِّلُ بِهِ ، نَرَلُوا ، فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ ، فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي ، وَيَتْلُو آيَاتِي وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ ، فَلَقُوا الْعَدُو فَانْهَرُمُوا ، فَأَفْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ ، أَوْ يُفْتَحَ لَهُ) .

(١) : سنن النسائي ، مرجع سابق ، ص ٣٤٣ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ٣٤٣ .

التحليل البلاغي:

في الجمع تشويق لنفس المتلقى ، و إثارة لفكره ، و لفت لانتباشه ؛ و بعث للعقل للتصور و التفكير .

ففي الحديث السابق أصدر و وضع الله حكماً و هو محبته لثلاثة ، فحينئذٍ تعلم النفس ذلك الأمر ، و هو أن الله أحب ثلاثة ، تشتاق و تستنفر القوى لمعرفة من الذين يحبهم الله ؟ .

و قد ذكر صلى الله عليه و سلم من هم هؤلاء الثلاثة الذي يحبهم الله ، فال الأول الفائز بمحبة الله هو معطي الصدقة الخالصة للإنسان المؤمن بالله سراً ، فالأصل في معاملة العبد مع ربه أن تكون سرّاً ؛ لأنّه إنما يتبع الله رجاء ثوابه و النجاة من عقابه ، و الثاني الفائز بمحبة الله : قائم الليل و الناس نيا م يتودد و يدعوا و يرغب و يرجو و يتضرع إلى عظيم العطایا و المبادرات ، فقيام الليل هو دأب الصالحين ، و تجارة المؤمنين ، و عمل الفائزين ففي الليل يخلو المؤمنون برهم ، و يتوجهون إلى حالاتهم فيشكرون إليه أحوالهم و يسألونه من فضله ، و ثالث الفائزين بمحبة الله هو المجاهد المقتول في سبيل الله و عند لقاء العدو (الشهيد) ، و يعد القتل في سبيل الله من أعلى صور الشهادة ، و الشهيد أرفع الناس درجة بعد الأنبياء و الصديقين ، و فيها

يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَالًا بَلْ أَحِيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ١٦٩ فِرِحِينَ بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبَشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوْهُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ١٧٠ [آل عمران: ١٦٩ -] .

و عند إنعام النظر في هذا الحديث الفُدسي يُرى أن للجمع دوراً كبيراً في ربط الأسلوب و تقوية العلاقة بين مفرداته ؛ نظراً لأن الأشياء المجموعة متعلقة بالحكم الذي جمعت فيه ، و ملتحمة به بحيث لا يمكن الفصل بينهما ^(١) .

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٣٤ .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ حَبِيبِ الْخَارِبِيُّ . حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ الْخَارِبِ . حَدَّثَنَا ابْنُ جُرْبِيجِ .
 حَدَّثَنِي يُونُسُ بْنُ يُوسُفَ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ . قَالَ : تَفَرَّقَ النَّاسُ عَنْ أَيِّ هُرْبَرَةِ .
 فَقَالَ لَهُ نَاتِلُ أَهْلِ الشَّامِ : أَيُّهَا الشَّيْخُ ! حَدَّثَنَا حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : نَعَمْ . سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ أَوَّلَ
 النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، فَأُتَيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا ،
 قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ ، قَالَ : كَذَبْتَ .
 وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ . فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أَمْرَ بِهِ فَسُحْبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى
 الْقِيَ في النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعْلَمَ الْعِلْمَ وَعَلَمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتَيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا ،
 قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا ؟ قَالَ : تَعْلَمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ . قَالَ :
 كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعْلَمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ . وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ . فَقَدْ
 قِيلَ . ثُمَّ أَمْرَ بِهِ فَسُحْبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى الْقِيَ في النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلَّهُ ، فَأُتَيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةً فَعَرَفَهَا . قَالَ : فَمَا عَمِلْتَ
 فِيهَا ؟ قَالَ : مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قَالَ :
 كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ . فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أَمْرَ بِهِ فَسُحْبَ عَلَى
 وَجْهِهِ ، ثُمَّ الْقِيَ في النَّارِ) ^(١) .

المضمون العام للحديث :

هذا حديث عظيم الشأن ، جليل القدر ، رفيع المكانة ، بين أن كل إنسان يقابل ربِّه جلَّ و علا يوم القيمة بحسب نيته التي ساقته إلى الأعمال في الدنيا .

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ١٣ ، كتاب الأمارة ، باب من قاتل للرياء و السمعة استحق النار ، رقم الحديث : ١٩٠٥ ، مرجع سابق ، ص ٤ .

فدل الحديث على أنه لا يكفي مشاركة الغازي في الغزو و الجهاد فحسب ، بل لابد أن تكون النية خالصة لله تعالى ، فيكون قصد الغازي إعلاء كلمة الله ، و إلا سُحبَ على وجهه حتى يلقى في النار .

و كذلك التعالم و قارئ القرآن لابد أن يخلص النية لله تعالى في علمه و تعليمه و قراءته ، و إلا سُحب و أُلقي في النار .

و أيضاً الرجل الغني الثري الذي ينفق و يعطي من أجل الرياء و السمعة ، و ليس ابتغاً وجه الله فإنه سيلقى في نار جهنم .

فالإخلاص في الأعمال هو حقيقة الدين و مفتاح دعوة المرسلين ، و الأعمال لا تتفاصل و لا تقاس بكثرتها و عددها و أشكالها و أنواعها ، إنما تتفاصل بتفاصل ما في القلوب ، و تقاس كذلك بحسن نية صاحب العمل ، إن كان بذلك العمل قاصداً وجه الله أم أنه عمله من أجل الرياء و السمعة .

قال النووي : " قوله صلى الله عليه وسلم : في الغازي و العالم و الجoward و عقابهم على فعلهم ذلك لغير الله و إدخالهم النار دليل على تغليظ تحريم الرياء و شدة عقوبته ، و على الحث على وجوب الإخلاص في الأعمال كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا
لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الْأَيْنَ ﴾ و فيه أن العمومات الواردة في فضل الجهاد إنما هي من أراد الله تعالى بذلك مخلصاً ، و كذلك الثناء على العلماء و على المنافقين في وجوه الخيرات كله محمول على من فعل ذلك لله تعالى مخلصاً " ^(١) .

موضع الشاهد:

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ١٣ ، كتاب الأمارة ، باب من قاتل للرياء و السمعة استحق النار ، رقم الحديث : ١٩٠٥ ، مرجع سابق ، ص ٤ - ٤٥.

(إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، فَأُتَيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةٌ فَعَرَفَهَا ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ . وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ . فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتَيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةٌ فَعَرَفَهَا ، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ ، قَالَ: كَذَبْتَ ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ . وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ ، فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ ، وَرَجُلٌ وَسَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلَّهِ ، فَأُتَيَ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةٌ فَعَرَفَهَا . قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ ، قَالَ: كَذَبْتَ . وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ ، فَقَدْ قِيلَ . ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ، ثُمَّ الْقِيَامَةِ فِي النَّارِ) .

التحليل البلاغي:

في الجمع تهيج للتفكير ، و تنشيط للسامع ، و تشويب لنفس المتلقى ، فقد بدأ الحديث بعبارة تلفت الانتباه و تشد الذهن ، و هي : (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ) و ذلك بذكر الكلمة (أول) و بجوارها القضاء و يوم القيمة ، ذلك اليوم الذي تبلغ فيه النفوس مبلغاً عظيماً من الخوف و الذهول و الفزع .

فعندما أطلق الله تعالى الحكم و هو قوله : (إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ) أعقبه جمع لثلاثة أصناف من الناس ، الأول : الغازي المرائي ، ثانيهما : العالم و قارئ القرآن غير مخلص النية لله ، و الثالث : الشري الغني المنفق القاصد بذلك الإنفاق السمعة فقط .

و الحديث يشير إلى الإخلاص ، و مع الإخلاص ينفع كل عمل قليله و كثيره ، و من دون إخلاص لا ينفع أي عمل لا كثيره و لا قليله .

و المتمعن في الحديث السابق يدرك دور الجمع في تثبيت المعاني و تأكيدتها في النقوس و ترسيخها ، إضافةً إلى ما له من دورٍ بارزٍ في سمو الأسلوب و بهجته ، و خاصةً عند ربط مفردات الجمل بعضها مع بعض و ربط كذلك الجمل المكونة للفقرات بعضها مع بعض .

و جدير بالذكر أن الترتيب الذي ورد في الحديث القدسي بالنسبة للغازي و العالم و الحواد ليس ترتيباً اعتباطياً ، إنما ترتيب مقصود ، فهل من عمل أعظم من الجهاد في سبيل الله ؟ و مع ذلك قد يدخله الرياء ، و قد يجاهد الإنسان ليقال عنه شجاع و جريء ، و هل من عمل أعظم أيضاً من تعلم العلم و تعليمه و قراءة القرآن و إقراه ؟ و مع ذلك قد يتعلم الإنسان ليقال عنه عالم ، و هل من عمل أعظم أيضاً من العطاء و الإنفاق من الأموال التي بذل فيها الإنسان جهداً طيلة ليله و نهاره في جمعه و تحصيله ؟ و مع ذلك قد ينفق و يعطي الإنسان ليقال عنه جواد ! .

ثانياً: التقسيم:التعريف باللون البديعي:

أشار ابن أبي الإصبع المصري إلى أن صحة الأقسام عبارة عن : استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه ، بحيث لا يغادر منه شيئاً ^(١) .

و وضح السكاكي أنه : " أن تذكر شيئاً ذا جزأين أو أكثر ثم تضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عندك " ^(٢) .

و ذكر الخطيب أنه : " ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكل إلية على التعين " ^(٣) ، و قد يطلق التقسيم على أمرين : أحدهما: أن يذكر أحوال الشيء مضافاً إلى كل حال ما يليق بها. الثاني: استيفاء أقسام الشيء بالذكر ^(٤) .

و شرح سعد الدين التفتازاني قول الخطيب السابق : " (التقسيم وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل إلية على التعين) وهذا القيد يخرج اللف و النشر ، و قد أهمله السكاكي فتوهم بعضهم أن التقسيم عنده أعم من اللف و النشر ، و أقول : إن ذكر الإضافة مغن عن هذا القيد ، إذ ليس في اللف والنشر إضافة ما لكل إلية ، بل يذكر فيه ما لكل حتى يضيفه السامع إليه ويرده " ^(٥) .

(١) : تحرير التحبير ، ١٧٣.

(٢) : مفتاح العلوم ، ٢٠١.

(٣) : الإيضاح ، ٣٥٣.

(٤) : المرجع السابق ، ٣٥٥ ، ٣٥٦.

(٥) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٣٦-٣٣٧.

و علق السبكي على قول الخطيب : " (و منه التقسيم وهو ذكر متعدد ثم إضافة ما لكل) من أفراده (إليه على التعين) والمراد بالإضافة نسبته إليه ويحترز بقوله على التعين من اللف والنشر " ^(١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي المعنوي (التقسيم) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٣٣٦-٣٣٧.

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا حَمْوَدُ بْنُ غِيلَانَ وَغَيْرُهُ وَاحِدٌ قَالُوا : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَاقُ : أَخْبَرَنَا الشَّوَّرِيُّ :

أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ أَنَّ الْأَعْرَفَ حَدَّثَهُ عَنْ أَيِّ سَعِيدٍ وَأَيِّ هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (يُنَادِي مُنَادٍ) : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيِوْ فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبَاسُوا أَبَدًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾) [الزخرف : ٧٢].

قال أبا عيسى وروى ابن المبارك وغيره هذا الحديث عن الشوري ولم يرفعه^(١).

المضمون العام للحديث:

متع الدنيا واقع مشهود ، و نعيم الجنة غيب موعود ، و الناس يتآثرون بما يرون و يشاهدون ، و يشقى على قلوبهم ترك ما بين أيديهم إلى شيء ينالونه في الزمن الآتي ، فكيف إذا كان الموعود ينال بعد الموت ؟ ! .

فالحديث القدسي السابق يبين أن نعيم الجنة خير و أبقى من متع الدنيا ، فقد بدأ الحديث بقوله : (يُنَادِي مُنَادٍ) أي في الجنة ، (إِنَّ لَكُمْ) أي قائلًا إن لكم (أَنْ تَحْيِوْ) أي أن تكونوا أحياء دائمًا (أَنْ تَصِحُّوا) أن تكونوا صحيحي البدن دائمًا (فَلَا تَسْقَمُوا) أي لا تغروا (أَنْ تَشِبُّوا) أي تدوموا شباباً (فَلَا تَهْرَمُوا) أي لا تشيبوا (أَنْ تَنْعَمُوا) أي يدوم لكم النعيم (فَلَا تَبَاسُوا) أي : لا يصيكم بأس ، و هو شدة الحال^(٢) .

(١) : سنن الترمذى ، ج ٥ ، أبواب تفسير القرآن ، ٤٠ و من سورة الزمر ، رقم الحديث : ٣٥٢٧ ، مرجع سابق ، ص ٤٥٢ .

(٢) : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، ج ٩ ، مرجع سابق ، ص ١١٩ - ١٢٠ .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله :

" النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن أهل الجنة ينادي فيهم منادٍ : (إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيِوَا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا) و ذكر الحديث . أي أنهم في نعيم دائم لا يخافون الموت ، ولا السقم ، ولا انقطاع ما هم فيه من النعيم كما قال الله تعالى : ﴿ وَفِكَاهَةٌ كَثِيرَةٌ لَا مَقْطُوعَةٌ وَلَا مَنْوَعَةٌ ﴾ [الواقعه : ٣٢ - ٣٣] .

وأن لهم سوقاً كل يوم جمعة يعني في مقدار ذلك ، و إلا فالجنة ليس فيها صلاة ولا جمعة ولا غيرها ، وأنها تحب ريح الشمال فتزيدهم حسناً و جمالاً . و المراد ريح تشبه ريح الشمال في بروتها و لذاذتها ، و ما ذكر يوجب للإنسان الرغبة في العمل الصالح الذي يتوصل به إلى هذه الدار - جعلنا الله و إياكم من أهلها " ^(١) .

موقع الشاهد:

(يُنَادِي مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيِوَا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا ، وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا ، وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا) .

التحليل البلاغي:

الحديث القدسي السابق صورة من صور التقسيم ، و هو أن يذكر أحوال الشيء مضافا إلى كل حال ما يليق بها ^(٢) فبذلك يزداد المعنى فخامة و تأكيداً .

(١) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢، مرجع سابق ، ص ٣٥ .

(٢) : الإيضاح ، ص ٣٥٥ .

فقد بدأ الحديث بقوله: (إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا) فحيثما ذكر رب العزة نعيم الجنة و بدأ يعدد في هذا الحديث القدسي ذكر حالاً من أحوال أهل الجنة لا و هي الحياة الدائمة ، و أضاف ما يليق بتلك الحال و هو عدم الموت ، فأهل الجنة لا يموتون أبداً إلا موتة الدنيا ، فالموت من أجل المنغصات للإنسان ، و هو يتقيه بكل ما أوتي من قوة و مال و جاه و سلطان ، و لو ذكره ضاقت نفسه و تقدرت و تغيرت أحوال و تقلبت ، فأهل الجنة لا يخطر بالهم الموت و لا الفناء أو الانتقال مما هم فيه .

ثم ذكر الحال الثانية من نعيم أهل الجنة و هي الصحة و سلامة البدن و أضاف إلى تلك الحال ما يليق بها ، و هو عدم السقم و المرض ، فالمرض من المكريات للإنسان التي تقدر و تقلق حياته و تغيرها من السعادة إلى الهم و الغم و الضيق المستمر باستمرار المرض ، و لكن أهل الجنة لا يسقمون و لا يمرضون فهم أصحاب متعافون دوماً بإذنه تعالى .

ثم ذكر الحال الثالثة من نعيم أهل الجنة و هي الشباب و أضاف إلى تلك الحالة ما يليق بها و هي عدم الهرم و الشيخوخة ، فأهل الجنة في شباب دائم لا يطرأ عليهم الهرم و لا تصيبهم الشيخوخة و لا يشيبوا ، بل هم في شباب مستمر دائم .

ثم ذكر الحالة الأخيرة من نعيم أهل الجنة و هي النعيم المستمر ثم ذكر ما يليق بتلك الحال و هي عدم البؤس و الفقر ، فأهل الجنة في نعيم مستمر ليس فيه بؤس و لا فقر و لا شدة حال بل هم في راحة و سعادة و طمأنينة .

فلا يلاحظ من خلال ذلك أنَّ أسلوب التقسيم " من عوامل ترابط الأسلوب ، و اتحاد أجزائه ، فأوله متصل و آخره مرتب بأوله ، و كل كلمة فيه آخذة بعنق

صاحبها ، إذا الفائدة متوقفة على الكلام جميعه ، و معلقة بالانتهاء منه ^(١) ، وقد جعله الشيخ عبد القاهر من النظم الذي يتحد في الوضع ، و يدق فيه الصنع ، و ترى فيه أجزاء الكلام متعددة و متداخلة ، و يشتد ارتباط ثان منها بأول ^(٢) .

و ما لاشك فيه أنَّ أسلوب الطباق المتداخل في أسلوب التقسيم قد زاد في جمال الأسلوب و بمحنته و سموه ، و ألبسه الجزلة و الفخامة و الرصانة ، و خاصة أن التقسيم كان معتمداً عليه اعتماداً أساسياً فقد تحقق إيضاح المعنى و إظهاره و تأكيده و تقويته و ذلك عن طريق المقارنة بين الضدين ، فالحياة ضدها الموت ، و الصحة ضدها السقم ، و الشباب ضدها الهرم ، و النعيم ضدها المؤس .

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٤٥ .

(٢) : دلائل الإعجاز ، الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، مرجع سابق ، ٩٣ - ٩٤ .

الحديث الثاني :

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ حَدَّثَنِي مَالِكٌ ، عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدِ الْجُهْنَى أَنَّهُ قَالَ : صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالْحَدِيْرَةِ عَلَى إِثْرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلَةِ ، فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : (هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟) قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكِبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكِبِ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له ^(٢) .

موضع الشاهد :

(... أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بِالْكَوْكِبِ ، وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِنَوْءٍ كَذَا وَكَذَا ، فَذَلِكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالْكَوْكِبِ) .

التحليل البلاغي:

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ٥ ، كتاب الاستسقاء ، باب قوله تعالى ﴿ وَجَعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ

تُكَبِّرُونَ ﴾ ، رقم الحديث : ٩٨٥ ، مرجع سابق ، ص ١٢٤ - ١٢٥ .

(٢) : راجع البحث : ص ٨٨ .

في الحديث القدسي السابق صورة من صور التقسيم و هي ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكل إليه على التعين ^(١) .

المطر فضل من الله و رحمة بعباده ، و قد بدأ الحديث القدسي الذي رواه زيد بن خالد الجهمي عنه صلى الله عليه وسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى صلاة الصبح بالحدبية على إثر نزول مطر من الليلة ، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم أقبل على الناس و قال لهم : إن الله تعالى يقول : (أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ) فهنا ذكر صلى الله عليه وسلم متعددًا و هو (مؤمن بي و كافر) ثم أضاف ما لكل إليه على التعين ، فالمؤمن بالله و الكافر بالכוכاب قال : مطربنا بفضل الله و رحمته ، و أما الكافر بالله و المؤمن بالכוכاب فقال : مطربنا بنوء كذا و كذا .

فالتقسيم وضح المعنى و أكدده ، و خصوصاً عندما أتى تفصيل بعد إجمال و إيضاح بعد إيجام فقد ازداد المعنى بذلك جمالاً و فخامة و جزالة ، فقد أتى بالبداية بقوله : (أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ) فهذه العبارة مشوقة لنفس المتلقى ، محركة لفكرة ، و بعد ذلك أتى بالمعنى مفصلاً ، و كان أدعى إلى ترسیخ المعنى و تثبيته في الأذهان .

و تحدّر بالإشارة إلى مشاركة التقسيم فن بديعي آخر و هو المقابلة التي كانت لها دورها الفعال في إظهار المعنى بأوّي غرض و أكمل صورة ، و قد أسهم كل من التقسيم و المقابلة في جمال الأسلوب و بهجته و سموه فقد نتج عنهما تلامح أجزاء الحديث و ائتلاف ألفاظه و ترابط معانيه .

الحديث الثالث :

حَدَّثَنِي يَحْيَى عَنْ مَالِكٍ ، عَنْ العَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبا السَّائِبِ ، مَوْلَى هِشَامَ بْنِ رُهْرَةَ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَنْ صَلَّى صَلَاتَ لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأَمْ القُرْآنِ فَهِيَ حِدَاجٌ . هِيَ حِدَاجٌ . غَيْرُ تَمَامٍ) قَالَ ، فَقُلْتُ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ ! إِنِّي أَحِيَانًا أَكُونُ وَرَأَءَ الْإِمَامِ . قَالَ فَعَمِزَ ذِرَاعِي ، ثُمَّ قَالَ : اقْرُأْ إِلَيَّ فِي نَفْسِكَ يَا فَارَسِي . فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (قَالَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى : فَسَمِعْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ فَنَصَفَهَا لِي وَنَصَفَهَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ) . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (اقْرُأْ يَا عَبْدَ اللَّهِ) ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ . يَقُولُ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي . وَيَقُولُ الْعَبْدُ : ﴿الْرَّحْمَنُ الرَّجِيمُ﴾ ، يَقُولُ اللَّهُ : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، وَيَقُولُ الْعَبْدُ : ﴿مَنِلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ، يَقُولُ اللَّهُ : مَجَدَنِي عَبْدِي ، يَقُولُ الْعَبْدُ : ﴿إِيَّاكَ نَبْتُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِنُ﴾ ، فَهَذِهِ الْآيَةُ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ . يَقُولُ الْعَبْدُ : ﴿أَهَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرَ الْمَغْصُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الظَّالِمِينَ﴾ . فَهَؤُلَاءِ لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ) ^(١) .

المضمون العام للحديث :

(١) : الموطأ ، الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، كتاب إسعاف المبطأ لرجال الموطأ ، الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، كتاب الصلاة ، باب القراءة خلف الإمام فيما لا يجهر فيه بالقراءة ، رقم الحديث : ٤٢ ، مرجع سابق ، ص ٧٣.

سبق التعرض له ^(١).

موضع الشاهد :

(... قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَ بَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ فَنَصَفَهَا لِي وَ نَصَفَهَا لِعَبْدِي مَا سَأَلَ ...).

التحليل البلاغي:

في الحديث القدسي السابق صورة من صور التقسيم وهي ذكر متعدد ، ثم إضافة ما لكل إليه على التعين .

و الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام ، و هي الصلة بين العبد و ربه ، و عليها تبني ديانة المرء ، فمن حفظها فقد حفظ دينه ، و من أضعها فهو لما سواها أضيع ، و هي الفرق بين المسلم و الكافر ، و الحديث السابق يشير إلى وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة من الصلاة .

و قد أشار الله تعالى في الحديث القدسي إلى أهمية قراءة سورة الفاتحة في كل ركعة و قد كفى عنها بالصلاحة لأنها لا تصح الصلاة إلا بها ، فقوله تعالى : (قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَ بَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ) هنا ذكر متعدد ثم أضاف ما لكل إليه على التعين ، فقال : (فَنَصَفَهَا لِي وَ نَصَفَهَا لِعَبْدِي ، وَ لِعَبْدِي مَا سَأَلَ) ، ثم أوضح إن النصف الذي له تعالى في الثلاث الآيات الأولى و الباقي لعبده .

(١) : انظر البحث : ص ١٣٣ ، و يجدر بالإشارة إلى أن الحديث الوارد في مبحث التورية روایة مسلم إنما هذا الحديث رواه صاحب الموطأ ، أضف إلى ذلك أن هناك عدداً من الفروقات في الألفاظ ما يميز به هذه الرواية عن تلك من بينها (... فَنَصَفَهَا لِي وَ نَصَفَهَا لِعَبْدِي ...) و هي موضع الشاهد في هذا الحديث .

قوله " (قَسَمْتُ الصَّلَاةَ) " قال العلاء : أراد بالصلاحة هنا الفاتحة ، لأنها لا تصح إلا بها ، كقوله (الحج عرفة) و المراد قسمتها من جهة المعنى لأن نصفها الأول تحميد الله و تمجيد و ثناء عليه و تغويض إليه ، و النصف الثاني سؤال و تضرع و افتقار (فنصفها لي) هي الآيات الثلاث - (الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم .

مالك يوم الدين) - (و نصفها لعبدي) و هو من (اهدنا) إلى آخرها . ﴿إِيَّاكَ

تَبَعُّدُ وَإِيَّاكَ نَتَعَيَّثُ ﴿ فهذه لعبدي) : أي هؤلاء الآيات مختصة به ، لأنها دعاؤه بال توفيق إلى صراط من أنعم عليه و العصمة من صراط المغضوب عليهم و الضالين .

(و لعبدي ما سأله) من المداية و ما بعدها " ^(١) .

فالسرير البلاغي من وراء التقسيم السابق يظهر في تثبيت الأقسام في الذهن و تمكنها من النفس و خاصة عندما جاءت القسمة بين رب العزة و العبد ، فتلك القسمة لها هييتها و جلالها و فخامتها فهي أعظم قسمة .

و في التقسيم تناقض صوتي بديع نشأ من الجمل المتساوية و الأقسام المحددة و يظهر ذلك حلياً في الحديث السابق خاصة في : (حَمَدَنِي عَبْدِي أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ... مَجَدَنِي عَبْدِي ... فهذه الآية بَيْنِي وَ بَيْنَ عَبْدِي ...) .

و أيضاً يظهر في التقسيم السابق ترابط الأسلوب و بلاغته و ذلك من خلال التحام أجزاء الكلام بعضها مع بعض و ارتباط معانيه .

(١) : الموطأ ، مرجع سابق ، ص ٧٣ .

الحديث الرابع :

حَدَّثَنَا سَلْمَةُ بْنُ شَيْبٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَا : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ أَئِيُوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةِ ، قَالَ : أَحْسَبُهُ قَالَ : فِي الْمَنَامِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ : هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِّ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا ، قَالَ فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتَفَيْهِ ، حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ ، أَوْ قَالَ : فِي نَحْرِي ، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِّ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فِي الْكُفَّارَاتِ . وَالْكُفَّارَاتُ : الْمُكْثُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ ، وَالْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؛ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيْوَمْ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرْدَتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً؛ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونِ، قَالَ : وَالدَّرَجَاتُ : إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

هذا الحديث من الأحاديث القدسية العظيمة ، وفيه دليل على أن من رأى رؤيا تسره فإنه يقصها على أصحابه و إخوانه الحبين له ، و لا سيما إن تضمنت رؤياه بشارة لهم ، و تعليمًا لما ينفعهم ^(٢) .

(١) : سنن الترمذى ، ج ٥ ، كتاب تفسير القرآن ، باب (٣٨) ، رقم الحديث: ٣٤٧ ، مرجع سابق ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧.

(٢) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٤٦ .

و فيه دلالة على شرف النبي صلى الله عليه وسلم و تفضيله بتعلمه ما في السماوات والأرض ، و تجلّى ذلك له مما تختص به الملائكة في السماء وغير ذلك ^(١) .

و فيه دلالة على أن الملائكة أو المقربون منهم يختصون فيما بينهم ، أو يتراجعون القول في الأعمال التي تقرب بني آدم من الله عزّ وجلّ ، و تكفر بها عنهم خطاياهم ، و قد أخبر الله عنهم بأنهم يستغفرون للذين آمنوا و يدعون لهم ^(٢) .

ثم ذكر الله تعالى أن الملائكة يختصون في الكفارات و الكفارات هي أولاً : المكث في المساجد بعد الصلوات ، و يعني الجلوس بالمساجد بعد الصلوات ، و المراد بهذا الجلوس انتظاراً صلاة أخرى ^(٣) .

و ثانيةها : المشي على الأقدام إلى الجماعات لا سيما إن توضاً الرجل في بيته ثم خرج إلى المسجد لا يريد بخروجه إلا الصلاة ^(٤) .

و ثالثها : إسباغ الوضوء في المكاره (وإسباغ الوضوء) أي إتمامه و إكماله باستيعاب المحل بالغسل و تطويل الغرة و تكرار الغسل ثلاثة (على المكاره) جمع مَكْرَه بفتح الميم : ما يكرهه شخص و يشق عليه ، و الكره بالضم و الفتح : المشقة ،

(١) : المرجع السابق ، ص ٣٤٦.

(٢) : المرجع السابق ، ص ٣٤٧.

(٣) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٤٨.

(٤) : المرجع السابق ، ص ٣٥٧.

أي يتوضأ مع برد شديد ، و علل يتأذى معها بمس الماء ، و مع إعوازه ، و الحاجة إلى طلبه ، و السعي في تحصيله ، و ابتعاده بالشمن الغالي ، و نحوها مما يشق^(١) .

و قد سميت كفارات لأن الله يكفر بها الذنوب و الخطايا و السيئات ، و لذلك جاء قوله : (... وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؛ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِئَتِهِ كَيْوَمْ وَلَدَتُهُ أُمُّهُ...) ، فهذه الخصال المذكورة الأغلب عليها تكفير السيئات و يحصل بها أيضاً رفع الدرجات^(٢) .

و قد أوصي الله تعالى رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم بأن يقول إذا صلى :

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً؛ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ) ، فهذا دعاء عظيم من أجمع الأدعية و أكملاها ، فقوله صلى الله عليه وسلم : أسألك فعل الخيرات و ترك المنكرات ، يتضمن طلب كل خير و ترك كل شر ، فإن الخيرات تجمع كل ما يحبه الله تعالى و يقرب منه من الأعمال و الأقوال من الواجبات و المستحبات ، و المنكرات تشمل كل ما يكرهه الله تعالى و يباعد منه من الأقوال و الأعمال ، فمن حصل له هذا المطلوب حصل له خير الدنيا و الآخرة ، و قوله : (حُبَّ الْمَسَاكِينِ) هذا قد يقال أنه من جملة فعل الخيرات و أفرده بالذكر لشرفه و قوته الإهتمام به ، و سأل الله كذلك السلام من الفتن^(٣) .

ذكر الله تعالى فيما يختص الملا الأعلى إضافة على الكفارات : الدرجات ، و هي ثلات :

(١) : تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، ج ١ ، باب ما جاء في إسباغ الوضوء ، ص ١٧١-١٧٢.

(٢) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٤٨.

(٣) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢ ، مرجع سابق ، ص ٣٨١.

أحداها : إفشاء السلام فهو من موجبات دخول الجنة ^(١) .

و ثانيتها : إطعام الطعام ، و قد جعله الله في كتابه من الأسباب الموجبة للجنة و نعيمها ^(٢) .

و ثالثها : قيام الليل و الناس نائم ، فقيام الليل يوجب علو الدرجات في الجنة ^(٣) .

موضع الشاهد :

(... وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ؛ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ، وَ كَانَ مِنْ خَاطِئَتِهِ كَيْوَمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ...) .

التحليل البلاغي:

في الحديث القدسي صورة من صور التقسيم و هي استيفاء أقسام الشيء بالذكر ^(٤) ، الذي هو آخذ به بحيث لا يغادر فيها قسماً محتملاً .

فأتي التقسيم في الحديث القدسي شاملًا لأحوال الإنسان و هي العيش و الموت و البعث ، فتلك جميع أحوال الإنسان لم يُترك منها قسم محتمل ، فالإنسان يعيش ثم يموت ثم يبعث ، فمن كُفِرَتْ ذنبه و خطايته و سيئاته عن طريق المكث في المساجد لانتظار الصلاة بعد الصلاة ، و المشي على الأقدام إلى الجماعات ، و أسبغ و أتم الوضوء في المكاره من حالات برد شديد و نحوه - فإنه عاش بخير و مات بخير و كان مبعوثاً بإذن الله يوم القيمة من خطايته و ذنبه كيوم ولدته أمه .

(١) : المرجع السابق ، ص ٣٦٧.

(٢) : المرجع السابق ، ص ٣٦٧.

(٣) : المرجع السابق ، ص ٣٧٦.

(٤) : الإيضاح ، ص ٣٥٦.

فحصر أقسام الشيء و استيفاؤها بالذكر له أثر جليل في ثبيت المعاني و ت McKينها، حيث يحاط بالشيء من كافة أقسامه ، و يحصر من جميع وجوهه ، فلا يبقى أمام العقل إلا أن يسلم بما عرض عليه و يتفرغ لمضمته و استيعابه^(١) .

و قد شارك التقسيم في الحديث القدسي لون بدعيّ معنوي آخر و هو الطباق الذي كان بين الفعلين (عاشَ وَ ماتَ) فقد أكسب الأسلوب لوناً من البهجة و الرونق و الجرالة و الفخامة و الرصانة ، إضافة إلى أن ذلك أدعى إلى ثبيت المعاني في النفوس و شدة ترابط الأسلوب .

(١) : دراسات مهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ٢٤٥ .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ قَالَ : حَدَّثَنِي مَالِكُ ، عَنْ أَبِي الزِّنَادِ ، عَنِ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (تَكْفَلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَ تَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ ، بَأْنَ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ يُرْجِعُهُ إِلَى مَسْكَنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

وضع الحديث القدسي السابق فضل الجهاد في سبيل الله و عظم ثوابه ، فالمجاهد في سبيل الله إما أن ينال الشهادة التي ترفعه مع النبيين و الصديقين ، و إما أن يرجع إلى سكنه الذي خرج منه مع جزيل الحسنات و الغنائم . فالحديث يدل على أن الغنيمة لا تنقص من أجر المجاهد شيئاً ، و أن المجاهد في سبيل الله له وافر الأجر غنم أو لم يغنم.

و قد بدأ الحديث بقوله : (تَكْفَلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ) " و قوله : (تضمن الله ، و تكفل الله ، و انتدب الله) بمعنى واحد ، و محصلة تحصيل الوعد المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَشَرَّى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالُهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ و ذلك التحقيق على وجه الفضل منه سبحانه و تعالى ، و قد عبر صلى الله عليه وسلم عن الله سبحانه و تعالى بتفضيله بالثواب بلفظ الضمان و نحوه مما

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١١ ، كتاب الجهاد و السير ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : أحلت لكم الغنائم ، رقم الحديث ٢٩١٥ ، مرجع سابق ، ص ٩٥.

جرت به عادة المخاطبين فيما تطمئن به نفوسهم ، و قوله : (لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ)
نصَّ على اشتراط خلوص النية في الجهاد " ^(١) .

قوله : (بَأْنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ) أي بغير حساب و لا عذاب ، أو المراد أن يدخله
الجنة ساعة موته ، كما ورد (أن أرواح الشهداء تسرح في الجنة) و بهذا التقرير يندفع
إيراد من قال : ظاهر الحديث التسوية بين الشهيد و الراجع سالماً ؛ لأن حصول الأجر
يستلزم دخول الجنة ، و محصل الجواب أن المراد بدخول الجنة دخول خاص ^(٢) .

قوله : (أَوْ يُرْجَعُهُ) بفتح أوله ، و هو منصوب بالعاطف على يوفاه .

قوله : (مِنْ أَجْرٍ أَوْ غَنِيمَةٍ) أي مع أجر خالص إن لم يغنم شيئاً ، أو مع
غنيمة خالصة معها أجر، و كأنه سكت عن الأجر الثاني الذي مع الغنيمة لنقصه
بالنسبة إلى الأجر الذي بلا غنيمة ، و الحامل على هذا التأويل أن ظاهر الحديث أنه
إذا غنم لا يحصل له أجر ، و ليس ذلك مراداً ، بل المراد أو غنيمة معها أجر أنقص
من أجر من لم يغنم ، لأن القواعد تقتضي أنه عند عدم الغنيمة أفضل منه و أتم أجراً
عند وجودها ، فالحديث صريح في نفي الحرمان ، و ليس صريحاً في نفي الجمع ^(٣) .

موضع الشاهد:

(... بَأْنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ ، أَوْ يُرْجَعُهُ إِلَى مَسْكِنِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ مِنْ أَجْرٍ أَوْ
غَنِيمَةٍ) .

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج ٦ ، كتاب الجهاد و السير ، باب أفضل الناس مؤمن مجاهد
بنفسه و ماله في سبيل الله ، مرجع سابق ، ص ١١ .

(٢) : المرجع السابق ، ص ١١ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ١١ .

التحليل البلاغي:

في الحديث القدسي صورة من صور التقسيم و هي استيفاء أقسام الشيء بالذكر^(١) ، الذي هو آخذ به بحيث لا يترك منه قسماً محتملاً .

فالتقسيم في الحديث القدسي السابق أتى شاملاً لأحوال المجاهد في سبيل الله الذي لا يخرج إلا للجهاد في سبيل الله و تصديق كلماته ، و في هذا إشارة إلى صدق النية مع الله ، فالمجاهد في سبيل الله له حالان لا ثالث ، لهما فهو إما أن يستشهد في سبيل الله و يدخله الله الجنة ، أو أن يرجعه الله تعالى إلى مسكنه الذي خرج منه مع وافر الأجر و جزيل الغنائم .

فذلك هي جميع أحوال المجاهد في سبيل الله لم يترك الله منها قسم محتمل ، ففي حصر أقسام الشيء ترسیخ للمعاني و تثبيت لها ، و هذا هو السرُّ البلاغي في التقسيم في هذا الحديث .

و قد وَأَكَبَ التقسيم عدداً من الألوان البدعية التي أضفت على الحديث البهجة و الرونق ، منها الجناس الاستيقاق في (جاهد ، الجهاد) ، و كذلك الطلاق في (لا يخرجه إلا الجهاد ، يدخله الجنة) ، و قد أَسْهَمَت تلك الألوان البدعية بالإضافة إلى التقسيم في ترابط الأسلوب و تلامِحِ الأجزاء ، لاسيما و قد بدأ الحديث بفعل ماضي دال على الثبات و الإستقرار و هو ضمان من الله تعالى للمجاهدين في سبيله .

(١) : الإيضاح ، ص ٣٥٦

المبحث السابع:

حسن الابتداء وحسن الانتهاء

أولاً: حُسن الابتداء:

التعریف باللون البدوي:

ذكر صاحب تحرير التحبير في باب حسن الابتداءات أن " هذه تسمية ابن المعتز ، وأراد بها ابتداءات القصائد ، وقد فرع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال ، و خصوا بها ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله وإن وقع في أثناء القصيدة " (١) .

في حين لم يحدد صاحب الإيضاح تعريفاً خاصاً به إنما ذكر أنه " ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه ، حتى تكون أعزب لفظاً ، وأحسن سبكًا ، وأصح معنى ، الأول : الابتداء لأنه أول ما يقرع السمع ، فإن كان كما ذكرنا أقبل السامع على الكلام ، فوعي جميعه ؛ وإن كان بخلاف ذلك أعرض عنه ورفضه وإن كان في غاية الحسن " (٢) .

و قد شرح سعد الدين التفتازاني قول الخطيب السابق بقوله " (فصل) من الخاتمة في حسن الابتداء و التخلص و الانتهاء (ينبغي للمتكلم) شاعراً كان أو كاتباً (أن يتأنق) أي يتسع الآنق الأحسن ، يقال : تأنق في الروضة إذا وقع فيها متبعاً لما يونقه أي يعجبه (في ثلاثة مواضع من كلامه حتى تكون) تلك الموضع الثلاثة (أعزب لفظاً) بأن تكون في غاية البعد عن التنافس و الثقل (و أحسن سبكًا) بأن تكون في غاية البعد عن التعقيد و التقديم و التأخير الملبس ، وأن تكون الألفاظ متقاربة في الجزلة و المثانة و الرقة و السلاسة ، و تكون المعاني مناسبة لألفاظها من غير أن يكتسي اللفظ الشريف المعنى السخيف ، أو على العكس ، بل يصاغان صياغة تناسب و تلاؤم (و أصح معنى) بأن يسلم من التناقض و الامتناع و الابتذال و مخالفة العرف و نحو ذلك (أحدها الابتداء) لأنه أول ما يقرع السمع فإن كان

(١) : تحرير التحبير ، ١٦٨ .

(٢) : الإيضاح ، ٤١٩ .

عذباً حسن السبك ، صحيح المعنى ، أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه و إلا
أعرض عنه وإن كان الباقي في غاية الحسن فالابتداء الحسن في تذكرة الأحبة
و المنازل " ^(١) .

و أيضاً شرح ابن يعقوب المغربي قول الخطيب السابق بقوله : " ... ثم بين
المواضع الثلاثة التي ينبغي أن يعنيها فيما ذكر أكثر بقوله (أحدها) أي أحد تلك
المواضع (الابتداء) لأنه أول ما يقع السمع ، فإن كان عذباً حسن السبك ، صحيح
المعنى ، أقبل السامع على الكلام فوعى جميعه لانسياق النفس إليه و رغبتها فيه من
حسنه الأول ، و استصحابه لذة المذاق السابق ، و إلا يكن الابتداء حسن السبك
عذباً صحيح المعنى نافرة السمع بالمقابلة الأولى فيعرض عنه جملة و إن كان الباقي من
الكلام حسناً ، لأن السمع قاطعه الابتداء القبيح ، و هذا أمر تجربتي و الابتداء الحسن
في تذكرة المنازل و الأحبة... " ^(٢) .

و شرح أيضاً بهاء الدين السبكي قول الخطيب السابق بقوله : " ... (أحدها
الابتداء) و هو المطلع لأنه أول ما يقع السمع فإذا كان بهذه المثابة أقبل السامع على
الكلام و وعاه ، و إلا أعرض عنه و إن كان حسناً ... " ^(٣) .

و ذُكر في حاشية الدسوقي أنَّ قوله : " (قوله : و نحو ذلك) أي كالسلامة من
عدم المطابقة لمقتضى حال المخاطب (قوله : لأنه) أي الابتداء بمعنى المبدأ به ،
و قوله : يقع بمعنى يصيب ، و قرع من باب نفع كما في المصباح (قوله : فإن كان
عذباً) الأولى التعبير بأفعال التفضيل ليلائم ما مر ، أي فإن كان أعزب من غيره
(قوله : أقبل السامع على الكلام فوعى) أي حفظ جميعه لانسياق النفس
إليه و رغبتها فيه من حسنه الأول و استصحابها لذة المسايق السابق (قوله : و إلا
أعرض عنه) أي و إلا يكن الابتداء عذباً حسن السبك صحيح المعنى أعرض عنه

(١) : شروح التلخيص ، ٥٢٩ - ٥٣١ .

(٢) : شروح التلخيص ، ٥٣١ .

(٣) : شروح التلخيص ، ٥٣١ .

السامع لقبحه (قوله : فالابداء الحسن) هذا مبتدأ حبره قوله : كقوله ، و قوله : (في تذكارات الأحبة و المنازل) حال وليس خبرا لأن الابداء الحسن ليس خاصا بما ذكر ، بل يكون في الغزل ، و في وصف أيام البعد بين الأحبة ، و في استجلاب المودة ، و في التورك على الدهر وعلى النفس ، و في المدح و غير ذلك ... " ^(١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البدوي المعنوي (حُسن الابداء) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ٥٣١ .

الحديث الأول :

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ الْأَعْمَشِ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً ، يَطْوُفُونَ فِي الْطُّرُقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا : هَلْمُوا إِلَى حَاجَتِكُمْ ، قَالَ : فَيَحْفُونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيُخْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَا ، وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَحِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ تَسْبِيحًا ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَمَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالَ : يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ ، قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَا ، وَاللَّهِ يَا رَبَّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً ، قَالَ : فَمِمْ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : مِنِ النَّارِ ، قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فَرَارًا ، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً ، قَالَ : فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، قَالَ : يَقُولُ مَلَكُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ : فِيهِمْ فُلَانٌ ، لَيْسَ مِنْهُمْ ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ ، قَالَ : هُمُ الْجُلَسَاءُ ، لَا يُشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)^(١) .

المضمون العام للحديث:

تعرّض الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي السابق إلى فضل خير المجالس وأركانها وأطهارها وأشرفها وأعلاها قدرًا وأجلّها مكانة عند الله ، إنها مجالس الذكر ، فهي حياة القلوب ، ونماء الإيمان ، وزكاء النفس ، وسبيل السعادة والصلاح في الدارين الدنيا والآخرة ، ولهذا ورد هذا الحديث في فضلها ، و الحديث

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ط ٢ ، ج ٢٢ ، كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز وجل ، رقم الحديث : ٦٠٣٤ ، مرجع سابق ، ١٨٨-١٨٦ .

على لزومها ، و الترغيب في الحفاظة عليها ، و هناك نصوص كثيرة في الكتاب و السنة ، و من بين هذه النصوص الحديث القدسي السابق .

و قد بدأ الحديث بقوله : (إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً ، يَطْوُفُونَ فِي الطُّرُقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ...) و الملائكة عالم غيبي فاضل ، و هم كلهم خير يسيرون في الأرض يطلبون حلق الذكر ، خلقهم الله من نور ، فإذا وجدوا حلق الذكر جلسوا معهم ، ثم حفوا هؤلاء الجالسين بأجنحتهم إلى السماء .

يسأل الله تعالى هؤلاء الملائكة عن عباده و هو أعلم بهم من ملائكته ، ما يقول عبادي ؟ قال يقولون : (يُسَبِّحُونَكَ وَ يُكَبِّرُونَكَ ، وَ يَحْمُدُونَكَ وَ يُمَجِّدُونَكَ) ، و قد قيل : (يؤخذ من مجموع هذه الطرق المراد بمحالس الذكر و أنها التي تشتمل على ذكر الله بأنواع الذكر الواردة من تسبيح و تكبير و غيرهما ، و على تلاوة كتاب الله سبحانه و تعالى ، و على الدعاء بخيري الدنيا والآخرة ، و في دخول قراءة الحديث النبوى و مدارسة العلم الشرعي و مذاكرته و الاجتماع على صلاة النافلة في هذه المحالس نظر ، و الأشبه اختصاص ذلك بمحالس التسبيح و التكبير و نحوهما و التلاوة حسب ، و إن كانت قراءة الحديث و مدارسة العلم و المناظرة فيه من جملة ما يدخل تحت مسمى ذكر الله تعالى) ^(١) .

ثم يسأل الله ملائكته : (هَلْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَا ، وَ اللَّهُ) أقسموا زيادة في مدح الذاكرين (مَا رَأَوْكَ) فيه تنبيه على أن تسبيحبني آدم و تقديسهم أعلى و أشرف . لأنه في عالم الغيب مع وجود المowanع و تقدير الملائكة في عالم الشهادة بلا صارف (قَالَ : فَيَقُولُ :) أي الله (كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟) تعجب و تعجب و جواب لما دل عليه كيف . لأنه سؤال عن الحال ، أي لو رأوني ما يكون حالهم في الذكر (قَالَ : يَقُولُونَ لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَ أَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا) أي تعظيمًا (وَ أَكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحاً) فيه إباء إلى أن تحمل مشقة الخدمة على قدر المعرفة و المحبة

(١) : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز وجل ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٢٥٤ .

(قَالَ : فَيَقُولُ : فَمَا يَسْأَلُونِي ؟) أي مني (قَالَوا : يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ) فيه إشارة إلى أن سؤال الجنة ليس بذموم ، فإنها دار الجزاء و اللقاء و إنما ذم من لا يعبد الله إلا لرجاء الجنة أو لحوف النار فإن الله تعالى يستحق العبادة لذاته (قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا) فيه إشعار بأن الجنة مخلوقة موجودة حسية (فَيَقُولُونَ) وفي نسخة قال فيقولون (قَالَ : يَقُولُونَ : لَا ، وَاللَّهِ يَا رَبَّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً) لأن الخبر ليس كالمعاينة (قَالَ) أي الله (فَمِمْ) أي فمن أي شيء (يَتَعَوَّذُونَ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : مِنَ النَّارِ) لأنها أثر غضب الله و عقابه و محل أصحاب بعده و حجابه (قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَا ، وَاللَّهِ يَا رَبَّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فَرَارًا) بفرارهم عمما يجر إليها (وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً) أي خوفاً في قلوبهم بكثرة الاستعاذه منها (قَالَ : فَيَقُولُ : فَأَشْهُدُكُمْ أَنِّي قُدْمَ غَفَرْتُ لَهُمْ) أي بذكرهم ، فإن الحسنات يذهبن السيئات (قَالَ : يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ : فِيهِمْ فُلَانٌ) كنایة عن اسمه و نسبة (لَيْسَ مِنْهُمْ) أي من الذاكرين (إِنَّمَا جَاءَ) أي إليهم (لِحَاجَةٍ) أي دنيوية له فجلس معهم يريد الملك بهذا أنه لا يستحق المغفرة (قَالَ : هُمُ الْجُلَسَاءُ) أي الكاملون (لَا يَشْقَى) بفتح الياء (جَلِيسُهُمْ) أي مجالسهم ، قال الطيب : أي هم جلساء لا يخيب جليسهم عن كرامتهم فيشقى انتهی^(١).

موضع الشاهد:

(إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً ، يَطْوُفُونَ فِي الطُّرُقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ...).

التحليل البلاغي:

الابتداء أول ما يشرع السمع ، فإن كان عذب اللفظ ، صحيح المعنى ، جيد السكب ، ملائماً للموضوع و مناسباً للمقام ، قبل السامع على الكلام بانشرح فوعاه

(١) : مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصاصح ، ج ٥ ، مرجع سابق ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

و علم ما فيه ، و إن كان على خلاف ذلك أعرض عنه و نفر منه ^(١) ، و هذا ما يظهر في الحديث القدسي السابق .

فقد ابتدأ الرسول صلى الله عليه وسلم الحديث بجملة اسمية مثبتة ، دعا فيها المخاطب إلى أن يقبل جميع كلامه فيصغي إليه و يتأمله و يعيه ، خاصةً و أنه بدأ كلامه بألفاظ عذبة حالية من الثقل و التناور ، و تخيّر النظم الأحود بعيد عن التعقيد ، و أتى بالمعنى الصحيح المطابق لمقتضى الحال .

و هناك فرق بين قول الرسول صلى الله عليه وسلم (إن الله تعالى ملائكة) و بين (الله ملائكة) حيث جاءت الأولى جملة اسمية قوية مثبتة و الثانية أقل منها في الدرجة فهي مجرد إخبار ^(٢) .

و يظهر السرُّ البلاغي من حُسن الابتداء في أنه يشير إلى المقصود من الحديث التالي له فهو يشير إلى فضل ذكر الله تعالى و فضل كلمة التوحيد و الإيمان بالعالم الغيبي فينبغي للمتكلم النظر في أحوال المخاطب ، و يتفقد ما يكره سماعه ليتجنب ذكره .

(١) : دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ١١٤ .

(٢) : دلائل الإعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني ، مرجع سابق ، ص ٣١٥ .

الحديث الثاني:

أَخْبَرَنَا أَبُو دَاؤِدَ قَالَ : حَدَّثَنَا هَارُونَ - هُوَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ - الْحَزَّازُ قَالَ : حَدَّثَنَا هَمَّامٌ ، عَنْ فَتَادَةَ ، عَنْ الْحَسَنِ عَنْ حُرَيْثَ بْنِ فَيْصَةَ قَالَ : قَدِيمْتُ الْمَدِينَةَ ، قَالَ : قُلْتُ : اللَّهُمَّ يَسِّرْ لِي جَلِيسًا صَالِحًا، فَجَلَسْتُ إِلَى أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال : فَقُلْتُ: إِنِّي دعوت الله عز وجل أن يُسِّرَ لِي جَلِيسًا صَالِحًا ، فَحَدَّثْنِي بِحَدِيثٍ سَمِعْتُه مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَنِي بِهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ ، فِإِنْ صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ) .

قَالَ هَمَّامٌ : لَا أَدْرِي هَذَا مِنْ كَلَامِ فَتَادَةَ ، أَوْ مِنْ الرِّوَايَةِ : (فِإِنْ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ ، قَالَ : انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطْوِعٍ ؟ فَيُكَمَّلَ بِهِ مَا نَقَصَ مِنْ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له ^(٢) .

موضع الشاهد:

(إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ) .

التحليل البلاغي:

(١) : سنن الترمذى ، بشرح الإمامين السيوطي والسندي ، ج ١ ، كتاب الصلاة ، باب الحاسبة على الصلاة ، رقم الحديث : ٤٦٤ ، مرجع سابق ، ص ٣٤٣.

(٢) : انظر البحث : ص ٩٨ .

يظهر حُسن الابتداء في الحديث القدسي السابق بعبارة مشوقة تنبه الفكر و تنشط الذهن و هي : (إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ) فهذه العبارة تحمل ألفاظاً عذبة حالية من التنافر و الثقل ، فكل كلمة وضعت في مكانها الصحيح السليم بعيدة عن الغموض و التعقيد .

فالحديث بدأ بجملة اسمية فيها دلالة على الثبات و الاستقرار ، فقوله : (إِنَّ) تدل على التأكيد ، و قوله : (أَوَّلَ) فيها لفت انتباه و إثارة تشويق : ما أول ما يحاسب به العبد ؟ فهنا نجد أن العبارة جزء النظم سلسة اللفظ رقيقة السبك ، و هذا أدعى إلى قبولها و دخولها إلى عقل المتلقى بكل يسر و سهولة .

و يلاحظ أنَّ العبارة السابقة عبارة موجزة كثيرة المعاني قليلة الألفاظ ، تشير إلى أنَّ أول الأعمال التي يحاسب عليها العبد الصلاة ، فالصلاحة عماد الدين ، من إقامها فقد أقام الدين ، و من هدمها فقد هدم الدين ، و تجدر الإشارة إلى استخدامه صلى الله عليه و سلم لل فعل المضارع (يُحَاسِبُ) فيه دلالة على أن نوعية الحساب و طريقته و كيفية مجهولة لا يعلمها إلا الله سبحانه .

و قد أكتسب الحديث القدسي كغيره من الأحاديث القدسية بلاغة و فصاحة ترجع إلى عوامل عدة منها حُسن الابتداء ، و التسلسل المنطقي المترابط ، و جودة الصياغة و إتقانها .

الحديث الثالث:

حَدَّثَنَا سُوَيْدُ بْنُ نَصْرٍ . أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ عَنْ لَيْثِ بْنِ سِعْدٍ . حَدَّثَنِي عَامِرُ بْنُ يَحْيَى عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُعَافِرِيِّ ثُمَّ الْخُبَلِيِّ قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنَ الْعَاصِ - رضي الله عنهما - يقول : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِّلًا ، كُلُّ سِجِّلٍ مِثْلَ مَدَّ الْبَصَرِ ، ثُمَّ يَقُولُ أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ ! فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟ قَالَ : لَا يَا رَبِّ ، فَيَقُولُ : بَلَى ؛ إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً ، فِإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ ، فَتُخْرَجُ بِطَاقَةً فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، فَيَقُولُ : اخْضُرْ وَرْنِكَ ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجَلَاتِ ، فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تُظْلِمُ ، قَالَ : فَتَوْضَعُ السِّجَلَاتُ فِي كِفَّةِ ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةِ ، فَطَاشَتِ السِّجَلَاتُ وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ ؛ فَلَا يَشْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له ^(٢) .

موضع الشاهد:

(إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...) .

التحليل البلاغي:

(١) : الجامع الصحيح سنن الترمذى ، إعداد : هشام سمير البخارى ، ج ٣ ، كتاب الإيمان ، باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ، رقم الحديث : ٢٦٤٤ ، مرجع سابق ، ص ٢٤ - ٢٥ .

(٢) : انظر البحث : ص ١٥٨ .

حسن الابتداء هو داعية الانشراح و مطية النجاح ، و قد بدأ صلی الله عليه و سَلَّمَ الحديث بجملة اسمية مؤكدة و مثبتة ، داعياً بها المتلقى إلى الإنصات و الإصغاء ؛ نظراً لما تحمله تلك الجملة من تشويق و لفت انتباه .

فقوله صلی الله عليه و سَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ سَيُخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...) عبارة قوية تحمل في طياتها معانٍ عظيمة ، منها : فضل التوحيد الخالص من شوائب الشرك بأنه و بإذن الله سيكون مناجاة لصاحب يوم القيمة إضافة إلى عظم أهوال يوم القيمة و أحواها ذلك اليوم الذي يشيب به الوليد ، و تضع الحامل حملها ، و ترى الناس سكارى و ما هم بسكارى ، إضافة إلى أن هذه العبارة تحمل بشائر و مفاجآت لكل إنسان مؤمن بإيماناً صادقاً .

فقوله صلی الله عليه و سَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ سَيُخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي) يختلف عن (سيخلص الله رجلاً من أمتي) فال الأولى جملة اسمية دالة على الشبات والاستقرار ، و خبرية مثبتة ، و مؤكدة بالرغم من حدوث هذا الأمر بالاستقبال ففيها بشري و مفاجأة و طمأنة للإنسان المؤمن بإيماناً خالصاً و تفاؤلاً و رضا و استحضاراً للعقل و القلب و تمنياً بأن يكون من هذا الصنف ، أما الجملة الثانية فهي أقل منها الدرجة حيث تحمل خبراً فقط .

و قد اشتمل هذا الابتداء الحسن إشارة إلى المقصود و هو عظم كلمة لا إله إلا الله ، و فضل التوحيد الخالص من شوائب الشرك ، و إن كان الأمر كذلك سُمي براعة استهلال^(١) .

فالرسول صلی الله عليه و سَلَّمَ جعل مطلع كلامه و هو (إِنَّ اللَّهَ سَيُخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي ...) متناسباً مع ما بعده و متلائماً معه ، فكان دالاً على موضوعه الذي هو آخذ في التعبير عنه ، و من هنا طبع هذا الحديث بطابع البلاغة إضافة إلى ما يحمله من فنون و ألوان عدة .

(١) : (أحسن الابتداءات ما ناسب المقصود) ، الإيضاح ، ص ٤٢١ .

الحديث الرابع :

حدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ سَلِيمٍ ، عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (ثَلَاثَةُ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ ، وَرَجُلٌ باعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرُّض له ^(٢) .

موضع الشاهد:

(ثَلَاثَةُ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ...) .

التحليل البلاغي:

بدأ الحديث القدسي بوعيد شديد من الله سبحانه و تعالى محدداً زمناً معيناً و هو يوم القيمة ، ذلك اليوم الذي لا ينجو منه أحد حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا برحمة الله عز وجل ، فمن الذي يجرأ أن يخاصم الله عز وجل ؟

فجملة (ثَلَاثَةُ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) تحمل تشويقاً عظيماً للمتلقي و لفتاً للانتباه و لحفنة معرفة ، من هم هؤلاء الثلاثة ؟ و تنشيط للفكر و تحفيز للذهن

(١) : صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، باب إثم من باع حرجاً ، رقم الحديث : ٢٢٢٧ ، مرجع سابق ، ص ٤١٥

(٢) : انظر البحث : ص ١٨٨ .

و العقل ، فالخبر الذي تحمله هذه الجملة الاسمية الخبرية خبراً قوياً يحمل وعیداً و تهدیداً لثلاثة أصناف من الناس ، و الجملة تدل على الثبات و الاستقرار .

و عند مجئ العدد ثلاثة يحصر تفكير المتكلم في ثلاثة أصناف فقط ، و و أما ضمير المتكلم (أنا) ففيه دلالة على العظمة و القوة و الجبروت و الكبرياء و العزة التي تليق به سبحانه عز وجل ، و عندما قال : (خَصْنُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) يقشعر البدن خوفاً منه سبحانه على ألا يكون ذلك الشخص المتكلمي منهم و خاصةً في ذلك اليوم الموعود .

ثم ذكر سبحانه هؤلاء الأصناف الثلاثة في جملة اسمية متوازنة مختلفة الألفاظ ، متناسبة المعاني ، متناسبة الدلالات ، الخصم الأول مناقض العهد ، و الخصم الثاني أكل الحرام ، و الخصم الثالث مستأجر لأجير و لم يعطيه أجره .

و قد أعلن الله سبحانه و تعالى خصومته لهؤلاء الأصناف يوم القيمة لعل الإنسان أن يتقي الله في أقواله و أفعاله ، فلا يوجد شخص يقوى على مخاصمته سبحانه و محاربته و مواجهة جبروته و غضبه .

فقد اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم لابتداء كلامه ألفاظاً جزلة عذبة خالية من الثقل ، و أتى بمعنى صحيح مطابق لمقتضى الحال .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُكَيْرٍ ح ، وَ حَدَّثَنَا أَبْنُ مُكَيْرٍ (وَاللَّفْظُ لَهُ) حَدَّثَنَا أَيِّ : حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ حَكِيمٍ : أَخْبَرَنِي عَامِرُ بْنُ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ مِنَ الْعَالِيَةِ حَتَّى إِذَا مَرَّ بِمَسْجِدِ بَنِي مُعَاوِيَةَ دَخَلَ فَرَكَعَ فِيهِ رُكْعَيْنِ . وَصَلَّيْنَا مَعَهُ . وَدَعَا رَبَّهُ طَوِيلًا . ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيْنَا . فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي ثَنَتْيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً . سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرْقَ فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلْ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا) ^(١) .

المضمن العام للحديث:

لقد فضل الله تعالى هذه الأمة و ميّزها و اختصها على غيرها من سائر الأمم بكرامات كثيرة في الدنيا ليس لغيرها ، لم تكن لها أن تتميز و تتبوأ هذه المكانة ، و تلك الفضيلة إلا بتعظيم الله لرسولها و تكريمه نبيها و إتباع هذه الأمة نبيها محمدًا صلى الله عليه وسلم .

فقد بدأ الحديث القدسي بأنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مرّ بمسجدٍ من بني معاوية ، و هم بطن من بطون الأنصار ، قيل : كان المسجد في المدينة (دَخَلَ) أي دخل المسجد استئناف بيان. و في رواية البغوي : فدخل ، أي دخل المسجد (فَرَكَعَ) أي فصلَ فيه (رُكْعَيْنِ) أي تحية أو فريضة (وَصَلَّيْنَا مَعَهُ) أي موافقة أو متابعة (وَ دَعَا) أي فناجي كما في رواية (رَبَّهُ طَوِيلًا) أي زماناً كثيراً أو دعاء عريضاً بعد الصلاة ، و الظاهر أن أصحابه دعوا معه أو أمنوا ، و الأظاهر أن (طَوِيلًا) قيد للصلاة و الدعاء ... (ثُمَّ انْصَرَفَ) أي من الدعاء فقال : (سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا)

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ط٤ ، ج ١٧ ، كتاب الفتنة و أشرطة الساعة ، باب هلاك هذه الأمة بعضها بعض ، رقم الحديث: ٢٨٩٠ ، مرجع سابق ، ص ١٢ .

أي من المسؤولات ، أو ثلاث مرات (فَاعْطَانِي ثُتَّيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً) فيه زيادة توضيح (سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ) أي بالقطط العام (فَاعْطَانِيهَا) أي المسألة (وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ) أمتى (بِالْغَرْقِ) بفتحتين ، وفي نسخة بسكون الراء بالغرق العام كقوم فرعون في اليم ، و قوم نوح بالطفوان (فَاعْطَانِيهَا) ، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بِأَسْهُمْ) أي حربهم الشديد (بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا) ^(١) .

موضع الشاهد :

(سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَاعْطَانِي ثُتَّيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً ...) .

التحليل البلاغي :

الاستهلال هو الطليعة الدالة لما جاء بعدها ، لذا أحسن رسول الله صلى الله عليه وسلم مبدأ حديثه حينما قال : (سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَاعْطَانِي ثُتَّيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً) فقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم حديثه بألفاظ عذبة جزلة سلسة منتقاة ، وقد تخير النظم الحسن و السبك الصحيح ، لذلك جاء المعنى واضحاً حالياً من الحشو و الركاكة و التعقيد و التقليل .

و قد تأنيق الرسول صلى الله عليه وسلم في مبدأ حديثه : (سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا ...) فبدأ حديثه بجملة فعلية فعلها ماضٍ دال على الثبات و الاستقرار .

فمن الخصائص العظيمة لهذه الأمة دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم ربه لهذه الأمة ، فقد سأله ثلاثاً و أجاب الله دعوته في اثنين و منعه واحدة : فالأولى أن لا يهلك أمتة بالسنين أي المحاجعات الماحقة التي تهلك بها الأمة كافة فأعطاه إياها ، وأن لا يهلكها بما أهلك به الأمم السابقة كالغرق الذي أهلك الله به قوم نوح و فرعون و جنوده ، فأعطاه إياها. ولكن أمراً آخر طلبه النبي صلى الله عليه وسلم من ربها ،

(١) : مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايب ، ج١ ، كتاب الفضائل و الشمائئ ، باب فضل سيد المرسلين ، مرجع سابق ، ص ٤٣٠ - ٤٣١ .

فلم يحب إليه و لم يضمنه له ، و هو : أن لا يجعل بأس هذه الأمة بينها ، فلم يحب الله سبحانه لرسوله الكريم هذا السؤال ، فتركه للسنن الكونية و الاجتماعية ، الأسباب و المسببات .

و في قوله صلى الله عليه وسلم : (سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي ثِنَتَينِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً) إثارة للذهن ، و تنشيط للعقل ، و تحفيز للتفكير ، و هو يحتاج إلى التأمل ، و يحث على التدبر ، فإذا اهتدى للمعنى ثبت في ذهنه و تأكد لديه .

و فيه أيضاً تشويق و لفت انتباه للمتلقي ، فقد تحت المتلقي على إلهاب عقله ، و شحد فكره لمعرفة ما هي تلك الدعوات الثلاث التي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه .

و يلاحظ في الحديث ورود أعداد ثلاثة بدأت من الأكبر للأصغر (ثلاثة ، ثنتين ، واحدة) و قد جاءت كل كلمة في موقعها الصحيح و لم تكن ملتفقة مقطعة الأوصال .

و عند التأمل في حروف العطف (فأعطاني - و منعني) نجد براعته صلى الله عليه وسلم في توظيفها ؛ فالفاء تدل على الترتيب و التعقب ، و أما الواو فهي تدل على المشاركة المطلقة ، فمن هنا نستنتج - كما ييدو لي - أن عطاء الله سبحانه و تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم كان سريعاً ، و ليس مثل منعه و الله أعلم .

فمن هنا نجد أنه انطبق وصف البلاغة على هذا الحديث القدسى فالرسول صلى الله عليه وسلم مهّد لقوله تمهيداً جيداً ، و جعل أول كلامه منسجم الأفكار مع آخره ، إضافة إلى ما فيه من ألوان و فنون بلاغية رائعة .

ثانيًا : حسن الانتهاء :**التعريف باللون البدائي :**

لم يذكر ابن أبي الإصبع المصري تعريفاً محدداً لحسن الانتهاء و أكتفى بذلك أنه : " يجب على الشاعر و الناشر أن يختتما كلامهما بأحسن خاتمة ، فإنها آخر ما يبقى في الأسماع ، ولأنها ر بما حفظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال فيجب أن يجتهد في رشاقتها و نضجها و حلاوتها و جزالتها " ^(١) .

و لم يورد كذلك السكاكي تعريفاً محدداً لحسن الانتهاء ، في حين ذكر الخطيب القزويني : أنه ينبغي للمتكلم أن يتأنق في ثلاثة مواضع من كلامه ، حتى تكون أذب لفظاً وأحسن سبّغاً ، و أصح معنى . و ذكر منها " الانتهاء ؛ لأنه آخر ما يعيه السمع ، و يرسم في النفس ، فإن كان مختاراً كما وصفنا جبر ما عساه وقع فيما قبله من التقصير ، و إن كان غير مختار كان بخلاف ذلك ، و ربما أنسى محاسن ما قبله " ^(٢) .

و ذكر سعد الدين التفتازاني شارحاً قول الخطيب السابق : " (و ثالثها) أي ثالث الموضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها (الانتهاء) لأنه آخر ما يعيه السمع و يرسم في النفس ، فإن كان حسناً مختاراً تلقاه السمع و استلذه حتى جبر ما وقع فيما سبقه من التقصير ، و إلا كان على العكس ، حتى ربما أنساه المحاسن الموردة فيما سبق ... " ^(٣) .

(١) : تحرير التجبير ، ٦٦٦ .

(٢) : الإيضاح ، ٤١٩ ، ٤٢٤ .

(٣) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٥٤٣ .

وأيضاً علق المغربي على قول الخطيب ذاكراً : " (وثالثها) أي وثالث الموضع التي ينبغي للمتكلم أن يتأنق فيها (الانتهاء) ، أي انتهاء القصيدة أو الرسالة أو الخطبة ، لأن الانتهاء آخر ما يفهمه السامع و يحفظه من القصيدة أو الخطبة أو الرسالة و يرتسם في نفسه ، فإن كان ذلك الانتهاء مختاراً حسناً تلقاء بغاية القبول و استلذه استلذاً إذا يجبر به ما وقع فيما سبقه من التقصير و جبر الواقع من التقصير يعود إلى جموع الكلام بالقبول و المدح ، و إلا كان الأمر على العكس ، أي و إن لم يكن الانتهاء حسناً مجده السامع و أعرض عنه و ذمه ، و ذلك مما قد يعود على جموع الكلام بالذم لأنه ربما أنسى محسنه السابقة قبل الانتهاء فيعمه الذم و يرمي إلى الوراء و يكون عند السامع مما ينبع بالعراء و من المعلوم في المذوقات أن آخر الطعم إن كان لذيداً أنسى مرارته الأولى ، و إن كان مراً أنسى حلاوته الأولى ... " ^(١) .

وأشار صاحب العروس إلى أن قوله : " (وثالثها الانتهاء) أي المقطع و يتطلب تحسينه لأنه آخر ما يعيه السمع و يرتسם في الذهن ، قال : فإذا كان مختاراً جبر ما عساه وقع قبله من تقصير ، و إن كان غير مختار فالعكس و ربما أنسى حسن ما قبله " ^(٢) .

وذكر في حاشية الدسوقي على شرح السعد : " (قوله الانتهاء) أي الكلام الذي انتهت به و ختمت القصيدة أو الخطبة أو الرسالة و ختم المصنف كتابه بالكلام على حسن الانتهاء لأجل أن يكون فيه حسن انتهاء ، حيث أعلم بفراغ كلامه و انتهاءه ففيه براعة مقطع (قوله : آخر ما يعيه) أي يحفظه ، و قوله : (السمع) أي سمع السامع ، و يرتسם في نفسه أي يدوم و يبقى فيها ، فألم عوض عن المضاف إليه . (قوله : تلقاء السمع) أي بغاية القبول (قوله : حتى جبر ما وقع فيما سبقه من التقصير) أي فتعود ثمرة حسنه إلى جموع الكلام بالقبول و المدح (قوله : و إلا كان

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٥٤٣ .

(٢) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٥٤٣ .

على العكس) أي و إن لم يكن الانتهاء حسنا مجده السمع و أعرض عنه و ذمه ، و ذلك قد يعود على مجموع الكلام بالذم ، لأنه ربما أنسى محسنه السابقة قبل الانتهاء ، فهو أي ما ختم به الكلام كالطعام الذي يتناول في الآخر بعد غيره من الأطعمة ، فان كان حلواً لذيداً أنسى مرارة أو ملوحة ما قبله و إن كان مراً أو ماحلاً أنسى حلاوة ما قبله ... " ^(١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي المعنوي (حسن الانتهاء) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٥٤٣ .

الحديث الأول :

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ بَهْرَامِ الدَّارِمِيُّ : حَدَّثَنَا مَرْوَانٌ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدِ الدَّمَشْقِيِّ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسِ الْخُولَانيِّ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، أَنَّهُ قَالَ : (يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً . فَلَا تَظَالُمُوا . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ . فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطِعُمُونِي أُطْعِمُكُمْ . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ . فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ . يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا الَّذِي أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرُ لَكُمْ . يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُونِي . وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ . مَا زادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقْصَ ذَلِكَ مَا عَنِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمُخِيطُ إِذَا دَخَلَ الْبَحْرَ . يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوفِيكُمْ إِيَاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلِيَحْمَدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ) .

قَالَ سَعِيدٌ : كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخُولَانيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ (١)

المضمون العام للحديث :

اشتمل الحديث القدسي السابق على كثير من قواعد الدين وأصوله ، فنص على تحريم الظلم بين العباد ، وهو من أعظم المقاصد التي جاءت الشريعة بتقريرها ، و جاء

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ١٥ ، كتاب البر و الصلة و الآداب ، باب تحريم الظلم ، رقم ٢٥٧٧ ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

التأكيد فيه على أهمية الدعاء ، و طلب الهدایة من الله وحده ، و سؤال العبد ربه كل ما يحتاجه من مصالح دينه و دنياه ، و الدعاء هو العبادة .

كما أنه تضمن تنزيه الله ، و إثبات صفات الكمال و نعوت الجلال له سبحانه ، و بيان غناه عن خلقه ، و أنه لا تنفعه طاعة الطائعين ، و لا تضره معصية العاصين ، و فيه أيضاً التنبية على محاسبة النفس ، و تفقد الأعمال ، و الندم على الذنوب .

و قد وضح النووي معنى الحديث السابق " قوله تعالى : (إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي) . قال العلماء : معناه : تقدست عنه و تعاليت . و الظلم مستحيل في حق الله سبحانه و تعالى كيف يتجاوز سبحانه حدأ و ليس فوقه من يطيعه ، و كيف يتصرف في غير ملكه و العالم كله في ملكه و سلطانه . و أصل التحرير في اللغة المنع فسمى تقدسه عن الظلم تحريمًا لمشابهته للممنوع في أصل عدم الشيء .

و قوله تعالى : (وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا) هو بفتح التاء أي لا تتظالموا ، و المراد لا يظلم بعضكم بعضاً ، و هذا توكيد لقوله تعالى : (إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا) و زيادة تغليظ في تحريمه .

و قوله تعالى : (كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ) قال المازري : ظاهر هذا أئمـمـا خلقوا على الضلال إلا من هداه الله تعالى ، و في الحديث المشهور كل مولود يولد على الفطرة ، قال: فقد يكون المراد بالأول وصفهم بما كانوا عليه قبل بirth النبي صلى الله عليه وسلم ، و أئمـمـا لو تركوا و ما في طباعهم من إيثار الشهوات و الراحة و إهمال النظر لضلوا ، و هذا الثاني أظهر ، و في هذا دليل لمذهب أصحابنا و سائر أهل السنة أن المهدي هو من هداه الله ، و بهدي الله اهتدى ، و بإرادة الله تعالى ذلك ، و أنه سبحانه و تعالى إنما أراد هداية بعض عباده و هم المهددون ، و لم يرد هداية الآخرين و لو أرادها لاحتدوا خلافاً للمعترلة في قولهم الفاسد أنه سبحانه و تعالى أراد هداية الجميع جلـ اللهـ أنـ يـرـيدـ ماـ لـاـ يـقـعـ أوـ يـقـعـ ماـ لـاـ يـرـيدـ .

و قوله تعالى : (ما نقص ذلِكَ مَا عَنِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمُخْيَطُ إِذَا أَدْخَلَ الْبَحْرَ) المحيط بكسر الميم و فتح الياء هو الإبرة . قال العلماء : هذا تقريب إلى الأفهام و معناه لا ينقص شيئاً أصلًا كما قال في الحديث الآخر لا يغيبها نفقة أي لا ينقصها نفقة لأن ما عند الله لا يدخله نقص ، وإنما يدخل النقص المحدود الفاني ، و عطاء الله تعالى من رحمته و كرمه و بما صفتان قد يمتلان لا يتطرق إليهما نقص ، فضرب المثل بالمخيط في البحر لأنه غاية ما يُضرب به المثل في القلة ، و المقصود التقريب إلى الأفهام بما شاهدوه ، فإن البحر من أعظم المائيات عياناً و أكبرها ، و الإبرة من أصغر الموجودات مع أنها صقيقة لا يتعلّق بها ماء و الله أعلم " ^(١) .

موضع الشاهد :

(... يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَخْصِيهَا لَكُمْ . ثُمَّ أُوفِيكُمْ إِيَاهَا . فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلَيَحْمِدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ) .

التحليل البلاغي:

حسن الانتهاء أن يختتم المتكلم كلامه ختاماً حسناً في ألفاظه و معانيه ، و هذا ما نلحظه في قوله صلى الله عليه وسلم السابق ، حيث راعى صلى الله عليه وسلم تخثير الألفاظ و النظم الجيد و صحة المعنى و مطابقته لمقتضى الحال .

فقد ختم الحديث صلى الله عليه وسلم ببيان عدل الله سبحانه و إحسانه إلى عباده ، وبين الله تعالى في نهاية الحديث أنه يخصي أعمال عباده ، ثم يوافيهم أجورها و جزاءها يوم القيمة ، فإن وجد العبد في صحيفته أعمالاً صالحة فهي محسنة إحسان ، و تفضل منه جل و علا ، حيث وفق العبد إليها و أعاشه عليها ، و وفاه أجرها و ثوابها ، ولذلك استحق الحمد و الثناء ، و إن وجد غير ذلك فليوقن أن الله عامله بالعدل و لم يظلمه شيئاً ، و إن كان هناك من يستحق اللوم فهي النفس التي أمرته

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

بالسوء و سولت له المعصية و الذنب ، فیلاحظ هنا عذوبة الألفاظ و حسن سبکها و صحة معناها .

فالحديث صُبغ بصبغة البلاغة و البراعة و الجودة و الإتقان ، فهذا يظهر لمن يتأمل الحديث من أوله و حتى نهايته ، فمحسن الابتداء و جودة الإخراج و سلامته العرض و جودة صياغته و ترابطه و تلاحمه كلها أمور أدت إلى خروج الحديث بعيداً إلى جماليات لا تنتاهى .

و يظهر في حُسن الانتهاء أساليب بلاغية عده شاركت في جمال الأسلوب من أبرزها : أسلوب النداء في قوله (يا عِبَادِي) ففيه دلالة على التودد و التقرب للعبد ، و أسلوب الشرط : (فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلِيَحْمِدِ اللَّهَ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ) و فيه إشارة إلى عدل الواحد القهار و حكمته .

ختام الكلام هو آخر ما يعيه السامتع و يرسّم في نفسه و يرسخ في ذهنه ، و هذا ما نجده في هذا الحديث القدسـي .

الحديث الثاني :

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عُثْمَانَ : حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ حُمَدٍ : حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ ابْنُ يَلَالٍ : حَدَّثَنِي شَرِيكُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي نَمِيرٍ عَنْ عَطَاءٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَهُ بِالْحَرْبِ ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَمَا يَرَأُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبَصِّرُ بِهِ ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا ، وَرِجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، وَإِنْ سَأَلْتُنِي لَأُعْطِيَنَّهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيدَنَّهُ ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) ^(١).

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له ^(٢).

موضع الشاهد :

(... وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ) .

التحليل البلاغي:

ختم الله تعالى الحديث القدسية ختاماً حسناً في ألفاظه ومعانيه ، فقد كان الختام ملائماً لما قبله و مناسباً للموضوع ، فقد تحدث الله سبحانه و تعالى في الحديث عن وليه و فضل تقرب هذا الولي الله سبحانه ، و كيف أنه يكون سمعه و بصره و يده و رجله ، و أنه متى ما سُئل يعطي ؟ و متى ما يستعيد يعاذ ، ثم أتى ختام الحديث

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ٢٣ ، كتاب الرفاق ، باب التواضع ، رقم الحديث : ٦١١٦ ، مرجع سابق ، ص ٢٢ - ٢٣.

(٢) : انظر البحث : ص ١٧٣ .

مترابطاً و متلاحمًا بما قبله ، فالله سبحانه لا يتزدّد في شيء يفعله مثل تردده في نفس المؤمن ، فالمؤمن يكره الموت ، و الله تعالى يكره مساءته .

و " التردد كناية عن محبة الله تعالى لعبد المؤمن أن يأتي بسبب من الأسباب الموجبة لخلوصه من المرض الذي وقع فيه حتى يطول به عمره ، من دعاء ، أو صلة رحم ، أو صدقة ، فإن فعل مُدَّ له في عمره بما يشاء ، و تقتضيه حكمته ، و إن لم يفعل حتى جاء أجله ، و حضره الموت مات بأجله الذي قد قضي عليه إذا لم يتسبب بسبب يترتب عليه الفسحة له في عمره ، مع أنه وإن فعل ما يوجب التأخير ، و الخلوص من الأجل الأول ، فهو لابد له من الموت بعد انقضاء تلك المدة التي وهبها الله سبحانه له " ^(١) .

و عند التأمل في نهاية الحديث يُرى أنه توكيده و تقرير للكلام المتقدم و تحقيق له ، و خصوصاً إنه كرر عدداً من الكلمات مثل : (تَرَدَّدْتُ ، تَرَدَّدِي ، يَكْرَهُ ، أَكْرَهُ ، أَنَا ، أَنَا) فغالباً ما يُراد من التكرار التأكيد .

كان ختام هذا الحديث مما يرسخ في الذهن ، و يبقى في النفس ، و يعلق بالقلب و العقل ؛ و ذلك لأنسجام الألفاظ و المعاني بعضها مع بعض ، و أيضاً بسبب التسلسل المنطقي المتراoط الموضوعي الواضح ؛ الذي أكسب الحديث الجودة و الدقة و الإتقان .

(١) : الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج١ ، مرجع سابق ، ص ٣٩٤-٣٩٥ .

الحديث الثالث:

أَخْبَرَنِي هَارُونُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : حَدَّثَنِي حَمَّيُّ بْنُ عُمَارَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ مَرْثَدٍ ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرِيَّدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ) ، فَإِذَا خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ فَخَانَهُ ، قِيلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : هَذَا خَانَكَ فِي أَهْلِكَ ، فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ ، فَمَا ظَنْنُكُمْ؟^(١)

المضمون العام للحديث:

كان الحديث القدسي السابق في بيان فضل المجاهدين و علو مكانتهم عند الله عز وجل، وفيه واجب المسلمين نحو المرأة المسلمة التي لحقها ضرر في زوجها المجاهد، ووعيد شديد لمن خان مجاهداً في أهله و تخلى عن نفقتهم مع القدرة على ذلك.

قال السندي: " قوله (كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ) تغليظ و تشديد ، أو إشارة إلى وجود توقيرهن ، و إلا فحرمة الأمهات مؤبدة دون حرمة نساء المجاهدين ((يتخلف)) محتمل أنه من خلفه إذا نابه ، أو من خلفه إذا جاء بعده و هما من حصر نصر ، و ذلك لأن الخائن في الأهل كالنائب للأصل ، و قد جاء بعده في الأهل (فَمَا ظَنْنُكُمْ) أي إذا كان حال من خانه خيانةً واحدةً مما حال من زاد على ذلك . و ما ظنك به ، أو إذا خير الغازي بما ظنك بحسابه؟ هل يأخذ الكل ، أو يترك شيئاً؟^(٢) .

قال النووي في شرح صحيح مسلم : " قوله صلى الله عليه وسلم : (حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ) ، هذا في شيئين : أحدهما : تحريم التعرض لهن بريئة من نظر محرم ، و خلوة و حديث محروم ، و غير ذلك . و الثاني : في

(١) : سنن النسائي ، بشرح الأمامين السيوطي و السندي ، ط١ ، ج٣ ، كتاب الجهاد ، باب من حان غازياً في أهله ، رقم الحديث: ٣١٩٠ ، مرجع سابق ، ص ٣٥٨.

(٢) : المرجع السابق ، ص ٣٥٨.

برهن و الإحسان إليهن ، و قضاء حوائجهن التي لا يترب عليها مفسدة ، و لا يتوصل بها إلى ريبة و نحوها " ^(١) .

موضع الشاهد:

(... قِيلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : هَذَا خَانَكَ فِي أَهْلِكَ ، فَخُذْ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شِئْتَ ، فَمَا ظَنُّكُمْ ؟) .

التحليل البلاغي:

ختم الحديث القدسي بأسلوب استفهامي إنشائي طلي ، فيه إثارة لذهن المتلقي و تشويق و لفت انتباه ، إضافةً إلى ما له من دور في تنشيط العقل ، و حثه على التفكير و البحث .

فمن المتعارف عليه في أسلوب الاستفهام أنه ينقسم إلى قسمين : حقيقي و مجازي ، و هذا الحديث من القسم الثاني ، فقد خرج الاستفهام (فَمَا ظَنُّكُمْ ؟) من معناه الحقيقي إلى معنى مجازي بلاغي و هو الاستنطاق ، أي مما ظنكم يوم القيمة ذلك اليوم الذي ﴿ يَوْمَ يَغْرِيُ الرَّءُوفَ مِنْ أَخِيهِ ﴾ ^{٣٤} وَأَمِهِ، وَأَبِيهِ ^{٣٥} وَصَاحِبِهِ، وَبَنِيهِ ^{٣٦} لِكُلِّ أَمْرٍ يُؤْمِنُهُ يَوْمَ يُعَذِّبُهُ ^{٣٧}) ^(٢) ما ظنكم ؟ في ذلك الخائن الذي يخون أخاه الغازي في نسائه ، ما ظنكم أن يفعل به خاصّةً و أنه يوم يبحث فيه كل شخص عن حق يكون له على غيره حتى يأخذه أو يستوفيه ، و لو كان من أقرب الأقرباء إليه .

و يلاحظ في نهاية الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تأنق في صياغته ، فقد اختار الألفاظ الملائمة للمعاني و المناسبة لها ، و قد أجاد صلى الله عليه وسلم

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ١٣ ، كتاب الإمارة ، باب حرمة نساء المجاهدين و إثمه من خافهم فيهن ، مرجع سابق ، ص ٣٧ .

(٢) : عبس ، (٣٧ - ٣٤) .

السبك و النظم ، و كانت النهاية مناسبة و مرتبطة أشد الارتباط بما تقدمها من
كلام ، و لذلك ظهر الحديث متماسكاً و مقترناً بعضه مع بعض .

و عند إنعام النظر في نهاية الحديث نجد أنه من الأحاديث القدسية النادرة التي
تنتهي بأسلوب استفهام .

الحديث الرابع :

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يَسَارٍ : حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ : حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ فَتَادَةَ ، عَنْ أَبِي قِلَابَةَ ، عَنْ خَالِدِ بْنِ اللَّجْلَاجِ ، عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةِ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّي وَ سَعْدِيْكَ ، فَقَالَ فِيمَ يَخْتَصِّ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ : رَبِّي لَا أَدْرِي ، فَوَضَعَ يَدُهُ بَيْنَ كَتِفَيِّ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدَيِّي ، فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّي وَ سَعْدِيْكَ ، قَالَ : فِيمَ يَخْتَصِّ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ : فِي الدَّرَجَاتِ وَالْكَفَّارَاتِ ، وَفِي نَقلِ الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ ، وَإِسْبَاغِ الْوُضُوءِ فِي الْمَكْرُوهَاتِ ، وَانتِظَارِ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ، وَمَنْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَا تَ بِخَيْرٍ ، وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيْوَمْ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) ^(١) .

المضمون العام للحديث :

سبق التعرض له ^(٢) .

موضع الشاهد:

(... وَمَنْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ عَاشَ بِخَيْرٍ وَمَا تَ بِخَيْرٍ ، وَكَانَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيْوَمْ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) .

التحليل البلاغي:

تميز هذا الحديث القدسي بحسن الانتهاء - كغيره من الأحاديث القدسية - فقد جاء آخر كلامه صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل عذب اللفظ ، حسن السبك ، صحيح المعنى .

(١) : سنن الترمذى ، إعداد : هشام سمير البخارى ، د . ط ، جه ، كتاب تفسير القرآن ، باب : ٣٨ ، رقم الحديث : ٣٢٤٨ ، مرجع سابق ، ص ٣٦٧

(٢) : انظر البحث : ص ٢١٦ ، ولكن هذا الحديث برواية مختلفة .

فحاتمة الحديث القدسي كانت وثيقة الصلة بالموضوع ، فالحديث كان يتحدث عن فضل الدرجات و الكفارات ، ثم جاءت الخاتمة مشتملة على أسلوب الشرط المقوون بالترغيب على القيام بهذه الأعمال ، و ضرورة الحفاظ عليها و ملازمتها حتى يفوز بالكافأة العظيمة ، و هي الحياة و العيش و الممات الطيب ، و البراءة من الذنوب و المعاصي و الخطايا كيوم ولدته أمه .

فقد كانت نهاية الحديث القدسي نهاية حسنة أتت على أحسن و أتم و أجود وجوه البلاغة ، راعى فيه صلى الله عليه وسلم صحة المعنى و جودة اللفظ و مطابقته لمقتضى الحال .

و في نهاية الحديث عدد من الأساليب البلاغية التي شاركت في جمال الأسلوب و بحجه و رونقه ، منها ما ذُكر سابقاً و هو أسلوب الشرط ، بالإضافة إلى أسلوب الطلاق الذي كان بين الفعلين (عاشَ ، مَاتَ) ، و أسلوب التشبيه فقد شبه خلو الإنسان الحافظ على الدرجات و الكفارات الداوم على فعلها من الذنوب و المعاصي بخلوه من الذنوب و المعاصي و الخطايا حينما ولدته أمه ، فما أعظمها من فضل ! و ما أكبره من أجر ! .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا مُعاذُ بْنُ أَسَدٍ : أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ عَنْ رَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، عَنْ عَطَاءَ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ ، يَقُولُونَ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَلَّمَ) ، فَيَقُولُ : هَلْ رَضِيْتُمْ ؟ ، فَيَقُولُونَ : وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّ وَقَدْ وَسَعَدَيْنَا ، فَيَقُولُ : أَعْطَيْتُنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ ، فَيَقُولُ : أَنَا أَعْطَيْكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا : يَا رَبَّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ ؟ ، فَيَقُولُ : أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له ^(٢) .

موضع الشاهد:

(... أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا) .

التحليل البلاغي:

تخير صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بانتهاء حديثه القدسي فيما يرويه عن ربِّه عَزَّ وَجَلَّ أَفَاطَّا عذبة فصيحة حالية من الثقل والخشوع، وَ معنى صحيح مطابق لمقتضى الحال، وَنظم يمتاز بالدقّة والجودة .

فقد كان نهاية حديثه صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ربِّه عَزَّ وَجَلَّ مرتبطاً أشد الارتباط بأوله ، فالحديث عبارة عن خطاب رب العزة لأهل الجنة ، وَ سؤاله عَزَّ وَجَلَّ عن

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ط ٢ ، ج ٢٣ ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، رقم الحديث : ٦١٦٢ ، مرجع سابق ، ٤٨-٤٩ .

(٢) : انظر البحث : ص ٧٣ .

رضاهم و قد أدخلهم جنته ، و كان جوابهم حسب علمهم : (وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ) ، فكان جواب الله عز وجل أن هناك نعيمًا أكبر من نعيم الجنة ، ألا و هو إحلال الرضا عليهم فلا يسخط عليهم أبداً ، فرضاه سبحانه و تعالى عن عباده هو أكبر نعيم يلقونه في دار الإكرام و الإنعام ، و رضاه عز و جل سبب كل سعادة ، و الله متفضل عليهم بالنعم كلها دنيوية و أخرى .

فمن هنا نلحظ أنه صلى الله عليه وسلم قد ختم كلامه عن الله عز و جل ختاماً حسناً في ألفاظه و معانيه ، ملائماً لما قبله ، و مناسباً للموضوع ، لذلك رسخ في الذهن ، و ثبت بالقلب ، و وعاه العقل .

و قد تميز نهاية الحديث بلون بديعي يشع ضوءاً و هو الطلاق بين المختلفين الاسم و الفعل: (رِضْوَانِي ، أَسْخَطُ) " فالجمع بين الأمور المتضادة يكسو الكلام جمالاً و يزيده بهاءاً و رونقاً " ^(١) .

(١) : علم البديع ، بسيوني عبدالفتاح فيود ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ .

الفصل الثاني

الألوان البدوية اللفظية في الأحاديث القدسية ،

و قيمتها البلاغية ، و يتضمن :

- ❖ المبحث الأول : الجناس .
- ❖ المبحث الثاني : السجع .
- ❖ المبحث الثالث : رد العجز على الصدر .
- ❖ المبحث الرابع : لزوم ما لا يلزم .

المبحث الأول:

الجناس

التعريف باللون البديعي:

لم يذكر ابن أبي الأصبع المصري تعريفاً خاصاً بالجنس، إنما ذكر تعريفات من سبقه من الرماني و قدامة و ابن المعتز حيث قال : " حَدَّ الرَّمَانِي التَّحْنِيسَ بِأَنْ قَالَ: هُوَ بِيَانِ الْمَعْانِي بِأَنْوَاعِ الْكَلَامِ يَجْمِعُهَا أَصْلُ وَاحِدٍ مِّنَ الْلُّغَةِ ، وَجَعَلَهُ قَسْتَمِينَ : جَنَّاسٌ مَزَوْجَةٌ ، وَجَنَّاسٌ مَنَاسِبَةٌ ، ... وَأَمَّا قَدَامَةُ وَابْنُ الْمَعْتَزِ وَإِنْ اخْتَلَفَا فِي تَسْمِيَةِ هَذَا الْبَابِ فَقَدْ اتَّفَقَا عَلَى مَعْنَاهُ ، فَقَالَ قَدَامَةُ فِي حَدِّهِ: هُوَ اشْتِرَاكُ الْمَعْانِي فِي الْفَاظِ مُتَجَانِسَةٌ عَلَى جَهَةِ الْاشْتِقَاقِ ... وَقَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ هُوَ أَنْ تَجْيِئَ الْكَلِمَةُ مُجَانِسَةً لِأَخْتَهَا " ^(١) .

وَقَالَ السَّكَاكِيُّ : " التَّحْنِيسُ هُوَ تَشَابُهُ الْكَلِمَتَيْنِ فِي الْلُّفْظِ وَالْمُعْتَبَرُ فِيهِ فِي بَابِ الْإِسْتِحْسَانِ عَدَّةُ أَنْوَاعٍ ... " ^(٢) ، ثُمَّ عَدَّ أَنْوَاعَ الْجَنَّاسِ.

وَأَكْتَفَى الْخَطِيبُ الْقَزوِينِيُّ عِنْدَ تَعْرِيفِهِ الْجَنَّاسِ بِقَوْلِهِ : " الْجَنَّاسُ بَيْنَ الْلُّفْظَيْنِ ، وَهُوَ : تَشَابُهُمَا فِي الْلُّفْظِ " ^(٣) . ثُمَّ شَرَعَ فِي ذِكْرِ الْأَنْوَاعِ وَالْأَمْثَالِ .

وَقَالَ سَعْدُ الدِّينِ التَّفْتَازَانِيُّ : " فَمِنْهُ الْجَنَّاسُ بَيْنَ الْلُّفْظَيْنِ ، وَهُوَ تَشَابُهُمَا فِي الْلُّفْظِ ، أَيْ : فِي التَّلْفُظِ ، فَيُخْرِجُ التَّشَابُهَ فِي الْمَعْنَى ، نَحْوُ : أَسْدٌ وَسَبْعَ ، أَوْ فِي مُجْرِدِ الْعَدْدِ ، نَحْوُ : ضَرْبٌ وَعِلْمٌ ، أَوْ فِي مُجْرِدِ الْوَزْنِ ، نَحْوُ : ضَرْبٌ وَقَتْلٌ ... " ^(٤) .

وَشَرَحَ الْمَغْرِبِيُّ قَوْلَ الْخَطِيبِ السَّابِقِ : " (الْجَنَّاسُ بَيْنَ الْلُّفْظَيْنِ) أَيْ : فِي النَّوْعِ الْمَسْمَى بِالْجَنَّاسِ - بِكَسْرِ الْجِيمِ - (وَهُوَ) أَيْ : الْجَنَّاسُ ، (تَشَابُهُمَا) أَيْ : الْلُّفْظَيْنِ (فِي الْلُّفْظِ) أَيْ : فِي التَّلْفُظِ وَالنُّطُقِ بِهِمَا ، لِكُونِ الْمَسْمَى فِيهِمَا مُتَحَدٌ الْجَنْسِيَّةُ كُلًا أَوْ جَلًا ، وَإِنَّا فَسَرَنَا الْلُّفْظَ بِالتَّلْفُظِ لِأَنَّهُ لَوْ حَمِلَ عَلَى ظَاهِرِهِ كَانَ التَّقْدِيرُ هُوَ تَشَابُه

(١) : تحرير التحبير ، ١٠٢-١٠٣.

(٢) : مفتاح العلوم ، ٢٠٢.

(٣) : الإيضاح ، ٣٧٥.

(٤) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤١٢.

اللفظين في اللفظ ، و لا يخفى ما فيه ، و يحتمل أن يطلق اللفظ على ذاتهما أي: حروفهما فيكون المعنى : تشابه اللفظين في حروفهما ، ثم التشابه المذكور لابد فيه من اختلاف المعنى كما دلت عليه الأمثلة ... " ^(١) .

و ذكر السبكي أن : " منه الجناس بين اللفظين ، و يسمى التجنيس ، و هو حسن ما لم يكرر كما سألي ، قال في كنز البلاغة : و لم أر من ذكر فائدته ، و خطر لي أنها الميل إلى الإصغاء إليه ، فإنّ مناسبة الألفاظ لتحدث ميلاً و إصغاء إليها ، و لأنّ اللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء و المراد به معنى آخر كان للنفس تشوق إليه" ^(٢). هـ العبارة الثانية قاصرة على بعض أنواع الجناس " ^(٢) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البديعي اللفظي (الجناس) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخیص ، ج ٤ ، ٤١٢ .

(٢) : شروح التلخیص ، ج ٤ ، ٤١٣-٤١٢ .

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا أَزْهُرُ بْنُ الْقَاسِمِ : حَدَّثَنَا الْمُشَيْ يَعْنِي ابْنَ سَعِيدٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَابَاهُ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ ، فَيَقُولُ : انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي ، أَتَؤْنِي شُعْثًا غُبْرًا) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

ليوم عرفة شأن عظيم في نفوس الحجاج من المؤمنين وهم واقفون على صعيد عرفات الطاهر ، رافعين أكف الضراوة و الابتهاج إلى رحمם الكريم الوهاب ، طمعاً في مغفرته ، و تكثير خطاياهم ، و محو سيئاتهم .

ففي ذلك اليوم و هو التاسع من ذي الحجة يباهي الله ملائكته عشية عرفة بأهل عرفة ، و قد أتوه شعثاً غبراً من كل حدب و صوب ، و من كل فج عميق ، فال الحاج في ذلك اليوم يقف مسیل الدمعة ، منكسر الفؤاد ، راجياً من الملك العلام القبول و المغفرة على ما سلف من ذنوب .

موضع الشاهد :

(... عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ ...) .

التحليل البلاغي:

وقع الجناس بين اسمين في قوله : " عَشِيَّةَ عَرَفَةَ " ، " بِأَهْلِ عَرَفَةَ " فكلمة عرفة الأولى يقصد بها اليوم التاسع من ذي الحجة ، و عرفة الثانية يقصد بها حاجاج بيت الله

(١) : مستند الإمام أحمد بن حنبل ، رقم أحاديثه محمد عبد السلام عبد الشافي ، ط ١ ، ج ٢ ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤١٣ هـ) ، ص ٢٢٤ .

الحرام ، و هم واقفون على صعيد عرفات الطاهر ، و الجناس من النوع التام^(١) المماض^(٢) ، فقد جاء الاسمان متفقين في أنواع الحروف ، و أعدادها ، و هيئتها ، و ترتيبها ، مختلفين في المعنى .

و يعد " الجناس من الخلائق و الألوان البدعية التي لها تأثير بلغ ، تحذب السامع ، و تحدث في نفسه ميلاً إلى الإصغاء و التلذذ بنغمته العذبة ، و تحمل العبارة على الأذن سهلة و مستساغة ، فتجد من النفس القبول ، و تتأثر به أي تأثير ، و تقع من القلب أحسن موقع "^(٣) .

و الجناس لا يقبل و لا يعد حسناً إلا إذا طلبه المعنى و استدعاه ، و جاء عفو الخاطر ، صادراً عن طبع لا عن تكلف و تصنع ... يقول عبد القاهر الجرجاني : " و على الجملة فإنك لا تجد تجنيساً مقبولاً ، و لا سجعاً حسناً ، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه و استدعاه و ساق نحوه ، و حتى تجده لا تبتغي به بدلاً ، و لا تجده عنه حِواً ، و من هنا كان أَخْلَى جناس تسمُّعه و أعلاه ، و أَحْقَه بالحسن و أولاً ، ما وقع من غير قصدٍ من المتكلم إلى احتلابه ، و تأهب لطلبه ، أو ما هو - لحسن مُلَاءِمَتِه ، و إن كان مطلوباً - بهذه المنزلة و في هذه الصورة ... "^(٤) .

و الجناس في الحديث القدسي " عَشِيشَةَ عَرَفةَ " ، " أَهْلِ عَرَفةَ " جاء عفو الخاطر لا تكلف فيه و لا تصنع ، تماثلت كلماته تماماً كاماً ، فطررت له الأذن ، و اهتز له وتر القلب ، مما خلق موسيقى داخلية رائعة .

و يظهر السُّرُّ البلاغي من الجناس و هو حسن الإفادة ، مع أن الصورة صورة التكرير و الإعادة ، و في هذا يقول الشيخ عبد القاهر الجرجاني : " و اعلم أن النكتة

(١) : الجناس التام : أن يتتفقا في أنواع الحروف ، و أعدادها ، و هيئتها ، و ترتيبها . (الإيضاح : ٣٧٥) .

(٢) : الجناس المماض : إن كانا من نوع واحد - كاسمين - سمي مماضلاً . (الإيضاح : ٣٧٥) .

(٣) : البدع في ضوء أساليب القرآن الكريم ، عبد الفتاح لاشين ، د . ط (القاهرة : دار الفكر العربي ، ١٤٣٠ هـ) ، ص ١٥٨ .

(٤) : أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، مرجع سابق ، ص ١١ .

التي ذكرتها في التحنيس ، و جعلتها العلة في استيتحابه الفضيلة و هي حُسن الإفادة ،
مع أنّ الصورة صورة التكثير و الإعادة " ^(١) .

(١) : المرجع السابق : ص ١٧ .

ال الحديث الثاني:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ بْنِ زُرَارَةَ الْخَضْرَمِيِّ ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ ، عَنْ مُخْتَارٍ
بْنِ فُلْقِيلٍ ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " قَالَ
اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَرَأُونَ يَقُولُونَ : مَا كَذَا ، مَا كَذَا ، حَتَّى يَقُولُوا : هَذَا
اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ ؟) .

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَيِّ شَيْءَةَ ،
حَدَّثَنَا حُسَيْنُ بْنُ عَلَيٍّ ، عَنْ زَائِدَةَ كِلَاهُمَا ، عَنِ الْمُخْتَارِ ، عَنْ أَنَسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَذَا الْحَدِيثِ ، عَيْرَ أَنَّ إِسْحَاقَ لَمْ يَذْكُرْ ، (قَالَ : قَالَ اللَّهُ : إِنَّ
أُمَّتَكَ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

هذا الحديث فيه دواء لما يخالج كثيراً من النفوس ، و يتحدث به كثير من الناس فيما بينهم ، و قد حصل ما تحدث به رسول الله ﷺ في الحديث حتى في عصرنا هذا ، يحصل من بعض الناس أن يقول أحدهم : من خلق الله ؟ و هذا السؤال سؤال المحال ، و ذلك أن الذي تقتضيه البراهين العقلية و النصوص القرآنية أن صانع العالم أي : خالقه ، يجب أن يكون أزلياً أي : لا ابتداء لوجوده .

و قد بدأ الحديث القدسي بقول الله ﷺ : " (إِنَّ أُمَّتَكَ) ، أي : أمة الدعوة ، أو بعض أمة الإجابة بطريق الجهالة أو الوسوسة من الأمور العامة (لا يَرَأُونَ يَقُولُونَ) أي : بعضهم البعض ، أو في خواطيرهم من غير اختيارهم (مَا كَذَا ؟ مَا كَذَا ؟) كناية عن كثرة السؤال ، و قيل و قال ، أي : ما شأنه ؟ و من خلقه ؟ (حَتَّى يَقُولُوا) أي : حتى يتجاوزوا الحد ، و يتنهوا إلى أن يقولوا (هَذَا اللَّهُ خَلَقَ

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ٢ ، كتاب الإيمان ، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يُفْلِهُ ، رقم الحديث : ٢١٧ . مرجع سابق ، ص ١٣٤ .

الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) و المقصود من الحديث إعلامه تعالى لنبيه عليه الصلاة و السلام بما سيقع من أمهه ليحذرهم منه " ^(١) .

و قال ابن بطال رحمه الله - حول الوسوس في الإيمان - : " إِنْ قَالَ الْمُوسُوسُ : فَمَا الْمَانِعُ أَنْ يَخْلُقَ الْخَالِقَ نَفْسَهُ ، قُيلَ لَهُ : هَذَا يَنْقُضُ ، بَعْضُهُ بَعْضًا ، لَأَنَّكَ أَثْبَتَ خَالِقًا وَ أَوْجَبْتَ وُجُودَهُ ثُمَّ قُلْتَ : يَخْلُقُ نَفْسَهُ فَأَوْجَبْتَ عَدْمَهُ ، وَ الْجَمْعُ بَيْنَ كُونِهِ مُوْجُودًا مَعْدُومًا فَاسِدًا لِتَنَاقْضِهِ ؛ لَأَنَّ الْفَاعِلَ يَتَقدِّمُ بِوُجُودِهِ عَلَى وُجُودِ فَعْلِهِ ، فَيَسْتَحِيلُ كُونُ نَفْسِهِ فَعْلًا لَهُ ، وَ هَذَا وَاضِحٌ فِي حَلِّ هَذِهِ الشَّبَهَةِ ، وَ هُوَ يَفْضِي إِلَى صَرِيحِ الإِيمَانِ . انتهى ملخصاً موضحاً " ^(٢) .

و قد سُئل ابن عثيمين - رحمه الله - : " رجل يُوسُوسُ لِهِ الشَّيْطَانُ بِوْسَاؤِسْ عَظِيمَةٍ فِيمَا يَتَعْلَقُ بِاللهِ تَعَالَى وَهُوَ خَائِفٌ مِنْ ذَلِكَ جَدًّا ، فَمَا تَوْجِيهُ سَماحتَكُمْ ؟
الجواب: ما ذُكرَ مِنْ جَهَةِ مُشَكَّلةِ السَّائِلِ الَّتِي يَخَافُ مِنْ نَتَائِجِهَا ، أَقُولُ لَهُ : أَبْشِرْ بِأَنَّهُ لَنْ يَكُونَ لَهَا نَتَائِجٌ إِلَّا النَّتَائِجُ الطَّيِّبَةُ ؛ لَأَنَّ هَذِهِ وَسَاؤِسْ يَصُولُ بِهَا الشَّيْطَانُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْعُمَ الْعِقِيدَةَ السَّلِيمَةَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَ يَوْقِعُهُمْ فِي الْقَلْقِ النَّفْسِيِّ وَ الْفَكْرِيِّ لِيَكْدُرَ عَلَيْهِمْ صَفْوَ الإِيمَانِ، بَلْ صَفْوَ الْحَيَاةِ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ .

و لَيْسَ حَالَهُ بِأَوْلَ حَالٍ تَعْرُضُ لِأَهْلِ الإِيمَانِ ، وَ لَا هِيَ آخِرُ حَالٍ ، بَلْ سَتَبْقَى مَا دَامَ فِي الدُّنْيَا مُؤْمِنًا " ^(٣) .

موضع الشاهد :

) ... هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهُ) .

التحليل البلاغي:

(١) : مرقة المصايح شرح مشكاة المصايح ، ج ١ ، كتاب الإيمان ، باب الوسوس ، مرجع سابق ، ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٢) : الهداية في شرح الأحاديث القدسية ، ج ١ ، مرجع سابق ، ص ٩٣.

(٣) : المرجع السابق ، ص ٩٤-٩٥.

وقع الجناس في قوله : " خَلَقَ الْخَلْقَ " فالكلمة الأولى فعل (خَلَقَ) تدل على أن الله هو الخالق ، و الكلمة الثانية (الْخَلْقَ) تدل على أن الله خالق الخلق و هم العباد ، و الجناس من نوع الجناس التام المستوفى ^(١) ، فقد جاء فعل و اسم متفقين في أنواع الحروف ، و أعدادها ، و هيئتها ، و ترتيبها ، و مختلفين في المعنى .

و الجناس في الحديث القدسي وقع عفو الخاطر دون تكلف أو تصنع ، و ترجع بلاغته إلى عدة أمور منها :

التجابب الموسيقي الصادر عن تماثيل الكلمات تماثلاً تماماً في (خَلَقَ الْخَلْقَ) كلمتان تطرب لهما الأذن ، و تهتز لهما أوتار القلوب ، فتجابب في تعاطف مع أصداء أبنيتها و هذا يؤكد بجلاء أهمية الجناس في خلق الموسيقى الداخلية في الحديث القدسي ، و بناء ما بين ألفاظه من وسائل التنميم ^(٢) .

إضافة إلى ما يحدثه الجناس من المفاجأة و خداع الأفكار و اختلاط الأذهان ، إذ يتوهם السامع أن اللفظ مردود ، و المعنى مكرر ، و أنه لن يجني منه سوى التطويل و السآمة ، و عندما يأتي اللفظ الثاني بمعنى يغاير ما سبقه ، تأخذ الدهشة لتلك المفاجأة غير المتوقعة ، فاللفظ المشترك إذا حمل على معنى ثم جاء و المراد به معنى آخر ، كان للنفس تشوق إليه و تطلع ، و عندئذ يقع منها أحسن موقع ؛ لأن الجناس يعيد اللفظة على السامع كأنه يخدعه من الفائدة و قد أعطاها و يوهمه كأنه لم يزده ، و قد أحسن الزيادة و وفاتها ^(٣) . و هذا ما نلحظه في الجناس السابق فخلق الأولى تقتضي حصر فعل الخلق لله تعالى فهو الخالق وحده دون سواه ، و أما الخلق فتعني العباد و هم من خلق الله تعالى .

(١) : الجناس المستوفي : إن كان من نوعين مختلفين - كاسم و فعل - سمى مستوفياً . الإيضاح : ٣٧٥ .

(٢) : علم البديع ، بسيوني عبد الفتاح فيود ، مرجع سابق ، ص ٢٨٧ .

(٣) : المرجع السابق ، ص ٢٨٧ .

الحديث الثالث:

أَخْبَرَنَا عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ بْنِ سَعِيدٍ بْنِ كَثِيرٍ ، قَالَ : حَدَّثَنَا أَبِي ، وَ بَقِيَّةً ، قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي حَمْزَةَ ، قَالَ : حَدَّثَنِي الرُّهْرِيُّ ، قَالَ : أَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ نَوْفَلٍ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَبَابٍ بْنِ الْأَرَاثِ ، عَنْ أَبِيهِ - وَ كَانَ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَنَّهُ رَاقَبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْلَّيْلَةَ كُلَّهَا ، حَتَّى كَانَ مَعَ الْفَجْرِ ، فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ صَلَاتِهِ، جَاءَهُ خَبَابٌ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، يَا إِبْرَاهِيمَ ! لَقَدْ صَلَّيْتَ الْلَّيْلَةَ صَلَادَةً مَا رَأَيْتُكَ صَلَّيْتَ تَحْوَهَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَجَلْ إِنَّهَا صَلَادَةٌ رَغْبٌ ، وَ رَهَبٌ ، سَأَلْتُ رَبِّي - عَزَّ وَ جَلَّ - فِيهَا ثَلَاثٌ خِصَالٌ ، فَأَعْطَانِي أَثْنَتَيْنِ وَ مَنَعَنِي وَاحِدَةً : سَأَلْتُ رَبِّي - عَزَّ وَ جَلَّ - أَنْ لَا يُهْلِكَنَا بِمَا أَهْلَكَ بِهِ الْأُمَمَ قَبْلَنَا ، فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُ رَبِّي - عَزَّ وَ جَلَّ - أَنْ لَا يُظْهِرَ عَلَيْنَا عَذَّوْا مِنْ غَيْرِنَا ، فَأَعْطَانِيهَا ، وَسَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لَا يُلْبِسَنَا شِيَعًا ، فَمَنَعَنِيهَا) .^(١)

المضمون العام للحديث:

يبين الحديث القدسي شفقة النبي على أمته و دعاءه لهم .

قال السيوطي: (قوله : "أجل" أي نعم وزنا و معنى (أَنْ لَا يُلْبِسَنَا شِيَعًا) أي : لا يجعلنا فرقا مختلفين ")^(٢) .

" قال السندي : قوله (أجل) كنعم وزنا و معنى (صلادة رغب ، و رهاب) أي صلاة رغبة في استجابة دعائه و رهبة من رده (أَنْ لَا يُهْلِكَنَا) انظر إليه بِكَلَّة ؛ فإن الأنبياء دعوا على أنفسهم بالملائكة و هو يدعوا لهم بعدم الملائكة . (أَنْ لَا يُظْهِرَ) من الإظهار ، أي لا يجعل غالبا علينا عدوا من الكفرة (أَنْ لَا يُلْبِسَنَا) بكسر الباء ،

(١) : سنن السعدي ، شرح الإمامين السيوطي و السندي ، ج ٢ ، كتاب قيام الليل و طوع النهار ، باب إحياء الليل ، رقم الحديث: ١٦٣٧ ، مرجع سابق ، ص ٣٥٤-٣٥٥.

(٢) : المرجع السابق : ص ٣٥٤.

أي : لا يخلطنا في معارك الحرب و (شيئاً) فرقاً مختلفين يقتل بعضهم بعضاً ، و يحتمل أن هذه الخصال الثلاث هي المراده بقوله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَعْثُثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ ﴾ الآية ؛ فالعذاب من فوق يكون إشارة إلى الإهلاك العام بلا مداخلة عدو ؛ لاستناده إلى الله تعالى ، و من تحت الأرجل : إشارة إلى غلبة الكفرة على المسلمين ؛ لكون الكفرة يستحقون الإذلال والاستحقار ، فإذا غلبوا يصير العذاب كأنه جاء من الأسفل ، فلعله ﷺ استشعر من هذه الآية استحقاقهم لهذه الخصال الثلاث فطلب أن يدفع الله عنهم ، فرفع الاثنان ، و بقي الثالث كما هو المشاهد ، و الله تعالى أعلم ^(١) .

موضع الشاهد :

(... إِنَّهَا صَلَاةٌ رَغْبٌ ، وَ رَهَبٌ ...) .

التحليل البلاغي:

وقع الجناس بين اسمين : (رَغْبٌ ، وَ رَهَبٌ) ، فالكلمة الأولى (رَغْبٌ) تدل على رغبة النبي ﷺ في استجابة دعائه الذي دعا به في صلاته ، و الكلمة الثانية (رَهَبٌ) تدل على رهبة الرسول ﷺ و خوفه من عدم استجابة دعائه ، و الجناس من نوع الجناس غير التام و يسمى جناساً مضارعاً ^(٢) .

فجاء الجناس في الحديث القديسي السابق جناساً حسناً مقبولاً ، جاء عفو الخاطر لا تكلف فيه و لا تصنع ، يظهر فيه أيضاً تحاب و مودة صادر من تماثل الكلمات تماثلاً ناقصاً ، حيث اختلفت الكلمتان : (رَغْبٌ - رَهَبٌ) في نوع الحروف ، و وقع الاختلاف في الوسط ، و كان الحرفان اللذان وقع بهما الاختلاف متقاربين في المخرج ، فكلاهما من الحروف الحلقية .

(١) : سنن السعائي ، شرح الإمامين السيوطي و السندي ، ج ٢ ، كتاب قيام الليل و طوع النهار ، باب إحياء الليل ، رقم الحديث: ١٦٣٧ ، مرجع سابق ، ص ٣٥٤ .

(٢) : الجناس المضارع : إذا كان الحرفان المختلفان متقاربين . (الإيضاح) ٣٨٧ .

و يظهر السُّرُّ البلاغي من الجناس في حسن الإفادة من أن الصورة صورة التكرير والإعادة ، يتوجه المتكلمي في بادئ الأمر أن اللفظ مردد و المعنى مكرر ، و لكن عندما يعاود النظر تظهر المفاجأة و خداع الأفكار و هو أن لفظ (رَهْبٌ) لها معنى مغاير عن لفظ (رَغْبٌ) و هنا يظهر سر بلاغي آخر هو عنصر التشويق و تنشيط الفكر .

" الجناس من أسباب تلاحم الأسلوب و ترابط أجزائه ، لما بين طرفيه من المماثلة الشكلية ، و له وقع موسيقي ملحوظ ، يجعل الأسلوب مميزاً و ذا أثر قوي في النفس " ^(١) .

(١) : دراسات مهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، مرجع سابق ، ص ٢٢٠ .

الحديث الرابع:

حَدَّثَنَا حَالِدُ بْنُ خَلَدٍ ، حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ قَالَ : حَدَّثَنِي مُعاوِيَةُ ابْنُ أَبِي مُزَرٍّدٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحْمُ فَأَحَدَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمِنِ فَقَالَ لَهُ مَهْ قَالَتْ : هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنْ الْقَطِيعَةِ ، قَالَ : أَلَا تَرْضِيْنَ أَنْ أَصِلَّ مَنْ وَصَلَّكِ وَ أَفْطِعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ ، قَالَتْ : بَلَى يَا رَبِّ ، قَالَ : فَذَاكِ ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : اقْرُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿فَهَلْ عَسِيْتُمْ إِنْ تَوَلَّتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقْطِلُوا أَرْحَامَكُمْ﴾) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له ^(٢) .

موضع الشاهد:

(... فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحْمُ فَأَحَدَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمِنِ ...) .

التحليل البلاغي:

وقع الجناس بين اسمين (الرَّحْمُ ، الرَّحْمَنِ) فالكلمة الأولى (الرَّحْمُ) تطلق على عضو من أعضاء جسد المرأة ، و منها تحريم قطع الأرحام ، و وجوب وصلها ، فمن وصلها وصله الله ، و من قطعها قطعه الله ، و الكلمة الثانية (الرَّحْمَنِ) و هو

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ط ٢ ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، باب (وَتُقْطِلُوا أَرْحَامَكُمْ) ، رقم الحديث : ٤٥١١ ، مرجع سابق ، ص ٩٢ - ٩٣ .

(٢) : انظر البحث : ص ٩١ .

اسم من أسماء الله **يَعْلَمُ** يرجى و يدعى به ، و يسمى هذا الجناس **نافقاً**^(١) ، و يعد من الجناس المطرف ^(٢) .

يعد الجناس في الحديث السابق جناساً **حسناً مقبولاً** ؛ إذ هو الذي طلبه المعنى و استدعاه و ساقه نحوه ، حيث جاء دون تكلف أو تصنع ، و يظهر السر البلاغي من الجناس الواقع بين الكلمتين (**الرَّحْمُ ، الرَّحْمَنِ**) **أولاً** : في التناغم الموسيقي الحاصل من تماثيل الكلمتين **تماثلاً نافقاً** ، فكلمة (**الرَّحْمَنِ**) تزيد عن الكلمة (**الرَّحْمُ**) بحرف واحد فقط ، و لكن لكل منهما معنى مختلف عن الآخر ، فرب العزة **يَعْلَمُ** يخاطب الرحيم بعد أن فرغ من خلق الخلق ، ففي قيام الرحيم و استجاراتها بالرحيم دلالة عظيمة على عظم صلة الأرحام و تحريم قطعها .

و ثانى الأسرار البلاغية تظهر من خلال خداع الفكر و تنشط الذهن ، فالكلمتان: (**الرَّحْمُ ، الرَّحْمَنِ**) متشاربتان في اللفظ ، مختلفتان في المعنى ، و الناظر للوهلة الأولى يشعر أنه لن يجني منه سوى التطويل ، و لكن عند معاودة النظر تظهر حسن الإفادة .

و قد أفضى الجناس إلى نوع من الترابط و التلامم القوي بين أجزاء الكلام شارك في سمو الأسلوب و بلاغته .

و وجہ حسن هذا النوع كما يقول عبد القاهر الجرجاني : " **أَنَّكَ تَتَوَهَّمُ قَبْلَ أَنْ يَرِدَ عَلَيْكَ آخِرُ الْكَلْمَةِ كَالْمُلْمِينَ مِنْ عَوَاصِمِ وَبَاءِ مِنْ قَوَاضِبِ ، أَنَّهَا هِيَ الَّتِي مَضَتْ ، وَ قَدْ أَرَادْتُ أَنْ تَجْيِئَكَ ثَانِيَّةً ، وَ تَعُودَ إِلَيْكَ مُؤْكِدَةً ، حَتَّى إِذَا تَمَكَّنَ فِي نَفْسِكَ تَمَامُهَا ، وَ وَعَى سَمْعُكَ آخِرَهَا ، انْصَرَفَتْ عَنْ ظَنْكَ الْأَوَّلِ ، وَ زُلْتَ عَنِ الَّذِي سَبَقَ مِنَ التَّخْيُّلِ ، وَ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْتُ لَكَ مِنْ طَلُوعِ الْفَائِدَةِ بَعْدَ أَنْ يَخَالِطَكَ الْيَأسُ مِنْهَا ، وَ حَصُولُ الْرِّيحِ بَعْدَ أَنْ تُغَالَطَ فِيهِ حَتَّى تَرَى أَنَّهُ رَأْسُ الْمَالِ** " ^(٣) .

(١) : الجناس النافق : إن اختلافاً في أعداد الحروف فقط سمي نافقاً . (الإيضاح : ص ٣٧٧) .

(٢) : الجناس المطرف : أن يختلفا بزيادة حرف واحد فقط ، في الأول أو في الوسط أو في الآخر . (الإيضاح : ص ٣٧٧) .

(٣) : أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، مرجع سابق ، ص ١٨ .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ تَوْبَةَ ، حَدَّثَنَا رَافِعُ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ أَيِّ سِنَانٍ ، عَنْ عَمْرُو بْنِ مُرَّةَ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِهِ الْمُخَضْرِمَةِ بِعِرْفَاتٍ ، فَقَالَ : (أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ، وَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا ، وَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا ؟) ، قَالُوا : هَذَا بَلَدُ حَرَامٌ ، وَشَهْرٌ حَرَامٌ ، وَيَوْمٌ حَرَامٌ . قَالَ : " أَلَا وَإِنَّ أَمْوَالَكُمْ وَدِمَاءَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ شَهْرِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا ، فِي يَوْمِكُمْ هَذَا ، أَلَا وَإِنِّي فَرَطْكُمْ عَلَى الْحَوْضِ . وَأَكَاثِرُ بِكُمُ الْأُمَمَ فَلَا تُسَوِّدُوا وَجْهِي . أَلَا وَإِنِّي مُسْتَنْقَدُ أَنَاسًا . وَمُسْتَنْقَدُ مِنِّي أَنَاسٌ . فَأَقُولُ : يَا رَبِّ ! أُصِيبَحَابِي ؟ فَيَقُولُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

يكشف الحديث القديسي السابق دعاء النبي لأمنته يوم عرفة ، و بعض ما جاء في خطبة يوم النحر .

قوله : " عَلَى نَاقَتِهِ الْمُخَضْرِمَةِ " أي : مقطوعة طرف الأذن ، و هي العضباء ، أي : كوش بريده .

قوله : " أَلَا وَإِنِّي مُسْتَنْقَدُ أَنَاسًا ، وَمُسْتَنْقَدُ مِنِّي أَنَاسٌ ... " الخ
الأول : بكسر القاف و الثاني : بفتحها من الاستنقاذ ، و هو التمييز و التخلص
عما وقع فيه ، أي : إن طالب نحاة أنس بشفاعتي لتخليطهم ، و مستنقذ مني أنس ،
أي : و هم يخلصون و يساعدون مني ، و يحكم بهم إلى النار .

قال السندي : " قوله (الْمُخَضْرِمَةِ) بمعنى اسم المفعول من خضرم كدرج أي :
التي قطع طرف أذنها .

قوله : (أَلَا وَإِنِّي فَرَطْكُمْ) بفتحتين أي المهيئ لكم ما تحتاجون إليه .

قوله : (فَلَا تُسَوِّدُوا) بأن تکثروا العاصي فلا تصلحوا لأن يفتخرون بهمكم .

(١) : سنن ابن ماجه ، علق عليه محمد فؤاد عبد الباقي ، كتاب المناسك ، باب الخطبة يوم النحر ، رقم الحديث : ٣٠٥٧ ، مرجع سابق ، ص ١٠١٦ .

قوله (مستنقدا) على صيغة اسم الفاعل ، الثاني على صيغة اسم المفعول أي أنا أحقق أحوال أناس و أبحث عنها و أشهد على أحوال أخرى ، هذا إذا كان بالذال المهملة كما في كثير من الأصول ، و أما إذا كان بالذال المعجمة كما في بعض الأصول فمعناه واضح و الله تعالى أعلم ^(١) .

موضع الشاهد:

(... أَلَا وَإِنِّي مُسْتَنْقِدُ أَنَاسًا ، وَ مُسْتَنْقَدٌ مِنِّي أَنَاسٌ ...) .

التحليل البلاغي:

جاء الجناس بين اسمين (مسنقد - مسند) أحدهما اسم فاعل ، و الآخر اسم مفعول ، فالكلمة الأولى (مسنقد) و هي اسم فاعل ، أي : أن رسول الله ﷺ سيميز و يخلص أنساً يوم القيمة بفضل شفاعته ﷺ ، و الكلمة الثانية (مسند) و هي اسم مفعول و تعني سيخلص أنساً و يساعدون منه و يحكم بهم إلى النار ، و الجناس غير تام و يسمى جناساً محرفاً ^(٢) .

وقع الجناس في الحديث القدسي موقعاً حميداً و حسناً و مقبولاً ، و ذلك لأن التحسين و الفضيلة راجعة و عائدة إلى المعنى ، فالكلمتان : (مسنقد - مسند) كلمتان متتشابهتان في نوع الحروف و ترتيبها و عددها و مختلفان في حركاتها و كذلك معناها ، فلو لا كسر القاف و فتحها لكرر و تردد اللفظ و المعنى ، و لكن الاختلاف وقع في الحركات و من ثم كان له تأثيره في المعنى ، فهنا تظهر حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكبير و الإعادة .

(١) : شروح ابن ماجه ، قدم له و حققه : رائد بن صبرى أبو علقة ، ج ١ ، كتاب المنسك ، باب خطبة يوم النحر ، ص ١١٤٨ .

(٢) : الجناس المحرف : إن اختلفا في هيات الحروف فقط . (الإيضاح) ص ٣٧٦ .

و يظهر السُّرُّ البلاغي من الجناس في الحديث القدسي من خلال التناغم الداخلي الصادر من تماثل الكلمات تماماً تماماً ، فالكلمتان تحملان نفس عدد الحروف و نوعها و ترتيبها ، مما جعل لها أصداء في القلب و العقل و الذهن .

و قد أفاد الجناس أيضاً تناسباً و توازناً و خاصة في ذلك الموقف العظيم الذي وقف به النبي ﷺ و كأنه يحس بدنو أجله ، و يريد تبليغ صحابته و أمته ، و يعلمهم مصالح دينهم و دنياهم ، و يدعو لهم ، و قد أسهم الجناس أيضاً في تلامس الكلام و ترابطه ، و قد أثر ذلك في سمو الأسلوب و بلاغته .

و ما لا شك فيه أنه يظهر في الحديث القدسي عنصر التشويق ، و ينشط الفكر و الذهن ، و خاصة عند تردد اللفظين اللذين يحملان نفس عدد الحروف و نوعها و ترتيبها و تختلف في حركاتها .

ال الحديث السادس:

حدّثني محمد بن عثمان : حدّثنا خالد بن مخلد : حدّثنا سليمان ابن بلايل : حدّثني شريك بن عبد الله بن أبي غير عن عطاء ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (إن الله قال: من عادى لي ولائياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقارب إلي بالتوافق حتى أحبه ، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألي لا أعطيك ، ولئن استعاذني لا أعيذك ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددت عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءاته) ^(١).

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له ^(٢).

موضع الشاهد:

(... وما يزال عبدي يتقارب إلي بالتوافق حتى أحبه ، فإذا أحبته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألي لا أعطيك ، ولئن استعاذني لا أعيذك ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددت عن نفس المؤمن ...).

التحليل البلاغي:

وقع الملحق بالجنس عن طريق الاستيقاف ^(١) في الحديث القدسي السابق ، في موقع عدة : بين الفعلين (أحبه - أحبته) (استعاذني - أعيذك) و الاسم

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ٢٣ ، كتاب الرقاق ، باب التواضع ، رقم الحديث : ٦١١٦ ، مرجع سابق ، ص ٢٢ - ٢٣.

(٢) : انظر البحث : ص ١٧٣ .

و الفعل المضارع : (سَمِعْةٌ - يَسْمَعُ) و كذلك (بَصَرَةٌ - يُبْصِرُ) ، و الفعل الماضي الاسم : (تَرَدَّدْتُ - تَرَدَّدِي) فقد جاء كل اشتتقاق من أصل واحد .

فكل من الفعلين المضارع والماضي (أَحِبَّهُ - أَحْبَبْتُهُ) ينحدران من أصل واحد و هو الحب ، و كل من الاسم و الفعل المضارع (سَمِعْةٌ - يَسْمَعُ) يرجعان إلى أصل واحد ، و هو السمع ، كذلك الاسم و الفعل المضارع (بَصَرَةٌ - يُبْصِرُ) يرجعان إلى أصل واحد و هو الإبصار ، و كذلك الفعل الماضي و المضارع (اسْتَعَاذَنِي - أَعِيدَنَهُ) يرجعان إلى أصل واحد و هو الاستعاذه ، و كذلك الفعل الماضي و الاسم (تَرَدَّدْتُ - تَرَدَّدِي) يرجعان إلى أصل و هو التردد .

و في كل ما سبق نجد أن الاشتتقاق كان لوجوده سر بلاغي مهم تتحقق بوجوده ، و إن ذهب هذا الاشتتقاق ذهب و غادر السر البلاغي ، فمنها :

الموسيقى الداخلية و التناغم اللفظي و الجرس الصوتي و هذه من أبرز الأسرار البلاغية ، و قد أسهم في تثبيت المعنى و ترسيخه في ذهن المتلقى و قلبه .

و يظهر السر أيضاً في حسن الإلقاء مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة ، فالله يعشق إذا أحب عبده كان (سَمِعْةُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ) و (بَصَرَةُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ) فلا يصرف سمعه و بصره و لا يشغل جوارحه إلا بما يرضي الله و يأمره به ، فالله سبحانه يكون سمعه و بصره في المعاونة على عدوه .

و قد أسهمت شواهد الاشتتقاق الخمسة في ترابط الأسلوب و تلامنه ، و يظهر ذلك من خلال التوازن و التنااسب الذي طبع به الحديث .

(١) : أن يجمع اللفظين الاشتتقاق . (الإبصاح) : ص ٣٨٠ .

الحديث السابع:

وَحَدَّثَنِي حُسَيْنُ بْنُ حُرَيْثٍ ، حَدَّثَنَا الْفَضْلُ بْنُ مُوسَى ، عَنْ حُشَيْمٍ بْنِ عِزَّاً ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : (أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ ، وَغَفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا أَمَّا إِنِّي لَمْ أَقْلُهَا ، وَلَكِنْ قَالَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ) ^(١) .

المضمون العام للحديث :

جاء الإسلام و لبعض القبائل رفعة على بعض ، بالمال تارة ، و بالقوة البدنية تارة أخرى ، و بالقوة العقلية و السلوكية ثالثة ، و بالأصل و الأحساب رابعة ، فتحول كل هذه الموازين إلى ميزان الإسلام ، و صار السبق إلى الإسلام ، و بذل النفس و المال في سبيل إعلاء كلمة الله و الجهاد في سبيل الله ، هو الميزان الحقيقي ، الذي يفاضل به بين القبائل ، فارتقت بهذا الميزان قبائل كانت قبل الإسلام غير رفيعة ، و هبطت بهذا الميزان قبائل كانت قبل الإسلام عالية مرمودة .

يؤكد رسول الله ﷺ هذا المعنى في نفوس أصحابه ، و يقرره غایة التقرير فيقول:
غفار بسبق إسلامها غفر الله لها ^(٢) .

و قال النووي : " قوله ﷺ : (أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ) قال العلماء : من المسالمة و ترك الحرب ، قيل : هو دعاء ، و قيل : خبر . قال القاضي في المشارق : هو من أحسن الكلام ، مأخوذ من سالمته إذا لم تر منه مكروها ، فكأنه دعا لهم بأن يصنع الله بهم ما يوافقهم ، فيكون سالمها بمعنى سلمها ، و قد جاء فاعل بمعنى فعل ، كقاتله الله أي قتلها " ^(٣) .

موضع الشاهد:

(أَسْلَمُ سَالَمَهَا اللَّهُ ، وَغَفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا ...) .

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، حقيقه محمد فؤاد عبد الباتي ، ج ١٥ ، كتاب فضائل الصحابة ، باب دعاء النبي ﷺ لغفار و أسلم ، رقم الحديث : ٢٥١٦ ، مرجع سابق ، ص ٦٠ .

(٢) : فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، ج ٩ ، مرجع سابق ، ص ٥٥٦ .

(٣) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، ص ٥٩-٦٠ .

التحليل البلاغي:

وقع الملحق بالجنس عن طريق المشابهة^(١) في الحديث القدسي السابق في موقعين هما : (أَسْلَمُ - سَالَمَهَا) و (غِفَارُ - غَفَرَ) فإن أسلم ليست من المسالمة ، و لا غفار من المغفرة ، بل هي أسماء قبائل مرتجلة لهم .

و يظهر السُّرُّ البلاغي للملحق بالجنس عن طريق المشابهة من وجوه عدة منها : حسن الإفادة مع أن الصورة صورة التكرير والإعادة ، و يظهر ذلك جلياً في كل من (أَسْلَمُ - سَالَمَهَا ، و غِفَارُ - غَفَرَ) فكل من أسلم و غفار أسماء قبائل وقد ذُكر " سَالَمَهَا اللَّهُ " أي : جعلها الله مساملة للإسلام فيما مضى ، و لأنها أسلمت دون اشتراك في الحروب^(٢) .

و ذُكر (غَفَرَ اللَّهُ لَهَا) ليحتمل أن معناها دعاء ، أي : أusal الله أن يغفر لها ما تقدم و ما تأخر ، و المراد قطعاً من آمن منهم ، و قد اختارت غفار بقوله : " غَفَرَ اللَّهُ لَهَا " لما اشتهروا به قبل إسلامهم من سرقة الحجيج الذين يمررون بديارهم .

حكى ابن التين أن بني غفار كانوا يسرقون الحاج في الجاهلية ، فدعا لهم النبي ﷺ بعد أن أسلموا ليمحو عنهم ذلك العار ، و هي جملة لفظها خير ، و يحتمل أن يكون معناها خبراً أيضاً ، إشعاراً بأن ذنبها السابق قد غفر ؛ لأن الإسلام يجبر ما قبله^(٣) .

و إلى جانب حسن الإفادة يظهر التشويق بما يحمله من تنشيط الفكر و تفتح للذهن ، و ذلك عند تكرار الألفاظ و ترددتها و اختلاف المعاني و مناسبة اللفظ للمعنى ، و من هنا ترسخ و تثبت المعاني و تستقر في القلوب و الأذهان و العقول ، و خاصة عندما يصاحبها التجاوب الموسيقي ، و التجانس الصوتي ، و تناغم الحرس ، حيث يضفي على الأسلوب إضافة رائعة .

(١) : أن يجمعهما المشابهة ، و هي ما يشبه الاشتغال ، و ليس به . (الإيضاح) : ص ٣٨١.

(٢) : فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، ج ٩ ، مرجع سابق ، ص ٥٥٧.

(٣) : المرجع السابق ، ص ٥٥٦.

المبحث الثاني:

السجع

التعريف باللون البدائي:

ذكر صاحب تحرير التحبير أنَّ السجع : " هو أن يتونَّ المتكلِّم أو الشاعر في أجزاء كلامه ، بعضها غير متَّنَّة بزنة عروضيَّة و لا محصورة في عدد معين ، بشرط أن يكون روئُ الأسجاع روئيَّ القافية ، و الفرق بينة و بين التسميط كون أجزائه على روئيَّة قافيتها ، و بينه و بين التجزئة احتلاف زنة أجزائه ، و مجئها على غير عدد محصور معين " ^(١) .

و أكتفى السكاكي بقوله عن السجع : " و من جهات الحسن الأسجاع و هي في النثر كما في القوافي في الشعر... " ^(٢) .

و أشار الخطيب القزويني إلى أنَّ السجع : " تواطُؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد ، و هذا معنى قول السكاكي : (الإسجاع في النثر كالقوافي في الشعر) " ^(٣) .

و شرح سعد الدين التفتازاني قول الخطيب بقوله : " (السجع قيل و هو تواطُؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد) في الآخر (و هو معنى قول السكاكي هو) أي السجع (في النثر كالقافية في الشعر) يعني أنَّ هذا مقصود كلام السكاكي و محموله ، و إلا فالسجع على التفسير المذكور بمعنى المصدر ، يعني توافق الفاصلتين في الحرف الأخير ، و على كلام السكاكي هو نفس اللفظ المتواتئ الآخر في أواخر الفقر و لذا ذكره السكاكي بلفظ الجمع و قال : إنها في النثر كالقوافي في الشعر و ذلك لأنَّ القافية لفظ في آخر البيت ، أما الكلمة نفسها أو الحرف الأخير منها أو غير ذلك على تفضيل المذاهب و ليست عبارة عن تواطُؤ الكلمتين من أواخر الأبيات

(١) : تحرير التحبير ، ٣٠٠.

(٢) : مفتاح العلوم ، ٢٠٣ .

(٣) : الإيضاح ، ٣٨٤ .

على حرف واحد فالحاصل أن السجع قد يطلق على الكلمة الأخيرة من الفقرة باعتبار توافقها للكلمة الأخيرة من الفقرة الأخرى ، و قد يطلق على نفس توافقهما و مرجع المعنيين واحد " ^(١) .

و علّق ابن يعقوب المغربي على قول الخطيب بقوله : " (السجع) أي النوع المسمى بالسجع (و هو) أي السجع (تواطؤ) أي توافق (الفاصلتين) ، و بما الكلستان اللتان في آخر الفقرتين من النشر بمنزلة القافيتين في البيتين (على حرف واحد) أي توافق الفاصلتين في كونهما على حرف واحد في آخر كل منهما ، و ربما يفهم من إضافة التوافق إليهما أن لهما حالتين : التوافق و عدمه ، و في كلا الحالتين يسميان فاصلتين ، و هو الأقرب لكلامهم (و هو) أي و هذا التفسير (معنى قول السكاكي هو) أي السجع (في النثر كالكافية في الشعر) و من المعلوم أن الكافية في الشعر هي لفظ ختم به البيت ، أما الكلمة نفسها أو الحرف الآخر منها أو غير ذلك كأن تكون من الحرك قبل الساكنين إلى الانتهاء على ما تقرر من المذاهب فيها ... " ^(٢) .

و ذكر صاحب عروس الأفراح : " (و منه السجع الخ) ش من البديع اللغطي السجع مأخوذه من سجع الحمام و هو تغريده و هو محمود ، و قال الرماني : السجع عيب و كأنه يريد ما يقصد لفظه غير تابع للمعاني و يسمى غير ذلك فواصل كما سيأتي عن غيره ، قال الخفاجي : السجع محمود إنما الاستمرار عليه في الدوام لا يحمد ، و لذلك لم تجيء فواصل القرآن كلها على سبيل السجع ، بل فيه ذلك تارة و غيره أخرى (قيل و هو تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد) يعني الكلمتين اللتين هما آخر القراءتين (و هو معنى قول السكاكي هو في النثر كالكافية في الشعر) ... " ^(٣) .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٢) : شروح التلخيص ، ج ٤ : ٤٤٥ - ٤٤٦ .

(٣) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٤٥ .

و أشار الدسوقي على ما ذكر السعد إلى أنَّ قوله : (و منه السجع) اعلم أن هنا ألفاظاً أربعة ينبغي استحضار معانيها لكترة دورانها على الألسن فيزول الالتباس السجع و الفاصلة و القرينة و الفقرة ، فالقرينة قطعة من الكلام جعلت مزاوجة لأخرى ، و الفقرة ، مثلها أن شرط مزاوجتها الأخرى و إلا كانت أعم سواء كانت مع تسجيع أو لا كما هو ظاهر كلامهم ، و أما الفاصلة فهي الكلمة الأخيرة من القرينة التي هي الفقرة ، و أما السجع فقد يطلق على نفس الفاصلة الموافقة لأخرى في الحرف الأخير ، منها و يطلق على تواافق الفاصلتين في الحرف الأخير ، و إلى هذا أشار المصنف بقوله : قيل و هو تواظئ أي تواافق الفاصلتين أي الكلمتين اللتين هما آخر الفقرتين حالة كونهما من النثر ... " ^(١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البدوي اللغطي (السجع) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٤٥ - ٤٤٦ .

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانُ ، حَدَّثَنَا شَعِيبٌ ، حَدَّثَنَا أَبُو الزَّنَادَ ، عَنْ الْأَعْرَجِ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : (قَالَ اللَّهُ : كَذَّبَنِي أَبْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، فَمَا تَكْذِبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ : لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي ، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَانَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ ، وَأَمَّا شَتَمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ : اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ لَمْ أَلِدْ ، وَلَمْ أُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفَّاً أَحَدٌ) ^(١).

المضمون العام للحديث:

ثبت في هذا الحديث القدسي إثبات البعث بعد الموت ، و نفي أن يكون الله سبحانه و تعالى ولداً ، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيراً .
و قد بدأ الحديث القدسي بقول الله سبحانه إن ابن آدم كذبه و شتمه و لم يكن له ذلك .

ثم شرع بالتفصيل ، فقال عَبَّاكَ : (فَمَا تَكْذِبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي ، وَلَيْسَ أَوَّلُ الْخَلْقِ بِأَهْوَانَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ ...) " أي : بل إن العادة أن الإعادة أهون من البدء ، و إن كلاهما بالنسبة إلى الله سواء ، فإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون .

و قوله عَبَّاكَ : (وَأَمَّا شَتَمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا) ، و إنما كان ذلك شتماً لما فيه من التنقير ؛ لأن الولد إنما يكون من والدة تحمله ثم تضعه ، و يستلزم ذلك سبق نكاح ، و الناكح يستدعي باعثاً على ذلك ، و الله تعالى منزه عن ذلك .
(وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ) صمد : فعل بمعنى مفعول ، أي : مصمود إليه و مقصود من كلخلق .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٨ ، كتاب التفسير ، باب قوله : (قل هو الله أحد) ج ١٨ ، ص: ٢١٧.

(لَمْ أَلِدْ ، وَلَمْ أُولَدْ) لأنه تعالى لما كان واجب الوجود بذاته ، كان قديماً موجوداً قبل كل موجود ، ولما كان كل مولود محدثاً أي : له أول انتفت الولدية . و لما كان الله لا يشبه أحداً من خلقه ولا يجأنسه ، حتى لا يكون له من جنسه صاحبة ، فيتوالد انتفت الوالدية .

(وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُّاً أَحَدٌ) أي : مكافئاً وماثلاً .

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام - رحمه الله تعالى - : " السلوب الواجبة لله تعالى على قسمين : أحدهما : سلب نقيصة ، كالسنة والنوم والموت ، وسلب للمشارك في الكمال : كسلب الشريك .

و أما قوله : " لم يلد ولم يولد " فإنه سلب للنقص ، إذ الولد والوالد لا يكونان إلا من جسمين ، و هما من الأغيار ، و الأغيار نقص يتزه الله تعالى عنه . و إن كانوا يدلان بالالتزام على أن الولد مثل الوالد ، فبذلك يعودان إلى سلب المشاركة في الكمال . أ. ه .

ثم قال أبو عبد الله البخاري رحمه الله تعالى : قوله : " الله الصمد " و العرب تسمى أشرافها الصمد .

قال أبو وائل شقيق ابن سلمة : هو السيد الذي انتهى سؤدد . و قال ابن عباس رضي الله عنهم : هو الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجهم و مسائلهم ، و هو من صمد إذا قصد ، و هو الموصوف به على الإطلاق ، فإنه مستغن عن خلقه و عن غيره مطلقاً ، و كل ما عداه يحتاج إليه في جميع جهاته ... " ^(١) .

موضع الشاهد:

(... فَقَوْلُهُ اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ، وَأَنَا الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، لَمْ أَلِدْ ، وَلَمْ أُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُّاً أَحَدٌ) .

(١) : الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، مرجع سابق ، ص ٣٤-٣٥ .

التحليل البلاغي:

وقع السجع في الحديث القدسي بين ثلاثة فوائل^(١) هي : (الصَّمْدُ ، أُولَدُ ، أَحَدُ) وقد اختلفت من الفوائل وزناً و اتفقت رواياً ، و يسمى هذا النوع من السجع المطرف^(٢) ، فوزن (الصَّمْدُ وَأَحَدُ) يختلف عن وزن (أُولَدُ) و الروي واحد و هو حرف الدال .

و قد تواترت في السجع السابق شروط حُسْنِه ، فقد لوحظ أن الألفاظ المسجوعة حلوة رنانة ، صافية حسنة ، فيها الألفاظ تابعة للمعنى ، فالمعنى هو الذي ساق الألفاظ و استدعاهما و قادها ، و هذا مصدق لقول شيخ البلاغة الإمام عبد القاهر : " و على الجملة فإنك لا تجد تجنیساً مقبولاً ، و لا سَجْعاً حَسَنَاً ، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه و استدعاه و ساق نحوه ... "^(٣).

و يظهر السرُّ البلاغي للسجع في أنه يؤثر في النغمة و الألباب تأثيراً بالغاً ، لما يحدثه من نغمات موسيقية جذابة و قوية تطرب لها الأذن ، و يقبلها السمع دون ملل ، و من هنا ترسخ المعاني في القلوب و العقول ، و هذا هو مغزى البلاغة .

" و السجع عنصر من عناصر التناسب في الكلام ، فالأسلوب مقسم إلى فقر متساوية ، متباينة المقاطع ، متباينة الأوزان ، متباينة النغم ، و هذا مؤدي إلى ربط الكلام و تلامحه "^(٤) .

و قد يتميز الحديث القدسي السابق بموسيقى هادئة غمرته ، و أضفت عليه جوًّا إيحائيًّا ، يصور حقيقة كونية ثابتة ، و هي حقيقة البعث بعد الموت ، و نفي أن يكون الله سبحانه و تعالى ولداً ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، و هذه الموسيقى منبعها

(١) : الفاصلة : هي الكلمة الأخيرة من الفقرة أو القراءة . (علم البديع ، بسيوني عبد الفتاح فيد ، ص ٢٩٠ .

(٢) : إن اختلفتا (أي الفقرتين) في الوزن فهو السجع المطرف . (الإيضاح) ، ص ٣٨٤ .

(٣) : أسرار البلاغة ، الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، مرجع سابق ، ص ١١ .

(٤) : دراسات مهجرية في علم البديع ، الشحات أبو سليم ، مرجع سابق ، ص ١١٠ .

و مكمنها السجع الذي جاء في فقرات الكلام ، و هذا التكرار النغمي الذي وفره السجع أضفى على الحديث القدسي سلاسة و رونقاً ، و ساعد بشكل كبير في توضيح الدلالات الإيحائية الكامنة في الحديث ، فجاءت تقرر حقيقة و هي إثباتبعث بعد الموت ، و نفي أن يكون الله سبحانه و تعالى ولداً .

ال الحديث الثاني:

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ . حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ عُمَرَ بْنِ حَمْزَةَ، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . أَخْبَرَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَطْوِي اللَّهُ عَرَقَ وَجَلَ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى . ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ . أَيْنَ الْجَبَارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضَيْنِ بِشِمَالِهِ . ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ . أَيْنَ الْجَبَارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

حيث الحديث و دل على وجوب تعظيم الله عَزَّوجلَّ ، و تعظيمه توحيده و تنزييهه عن الشرك.

الحديث إخبار من ابن عمر عن النبي بأن الله يوم القيمة سيطوي السماوات السبع بيمنيه ، ثم سيطوي الأرضين السبع بشماليه ، و عند طي كل واحدة منها سينادي الجبارين و المتكبرين مستصغرًا شأنهم و مقرأ إياهم ، معناً أنه هو صاحب الملك الحقيقي الكامل الذي لا يضعف و لا يزول ، و أن كل من سواه من ملك و ملوك و عادل و جائز زائل و ذليل بين يديه عَزَّوجلَّ ، لا يسأل عما يفعل و هم يسألون .

موضع الشاهد:

(... أَيْنَ الْجَبَارُونَ ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ...) .

التحليل البلاغي:

(١) : صحيح مسلم ، كتاب صفة القيمة و الجنة و النار ، باب في البعث والنُّسُور وصفة الأرض يوم القيمة ، ج ١٧ رقم الحديث : ٢٧٨٨ ، ص ١٠٩ .

وقع السجع في الحديث القدسي السابق بين فاصلتين هما : (**الْجَبَّارُونَ** ، **الْمُتَكَبِّرُونَ**) و قد اختلفت الفاصلتان وزناً و اتفقت روياً ، و يسمى هذا النوع السجع المطرف ، فوزن (**الْجَبَّارُونَ**) مختلف عن وزن (**الْمُتَكَبِّرُونَ**) و الروي واحد و هو حرف الراء .

و قد جاء السجع في هذا الحديث جميلاً بليغاً ، اكتسى و لبس به اللفظ حلة بحية ، و ازداد به المعنى قوة و فخامة ، جاء به الأسلوب مؤثراً في النفس مستولياً على الأسماع و العقول ، و قد قرر حقيقة و هي إثبات تحريم التجبر و التكبر ، فالله عَزَّلَهُ صاحب الملك فقط صاحب التصرف المطلق ، فجاء الاستفهام من الله عَزَّلَهُ في قوله : (**أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ، أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ**) استحقاراً و تصعيراً لكل من كثر ظلمه و عدوانه و طغيانه ، و لكل من تكبر على الحق يرده ، و على الخلق يحتقرهم .

تساوت كل من (**الْجَبَّارُونَ**) و (**الْمُتَكَبِّرُونَ**) في الجمع و التضعيف ، و قد أسهمن ذلك في صنع الإيقاع الموسيقي النغمي ، و كان ذلك مدعاه لجذب الانتباه ، و يظهر من خلال ذلك شدة بأس و قوة هؤلاء الجبارين و المتكبرين في الدنيا ، و ضعفهم يوم القيمة أمام الله سبحانه العزيز الجبار المتكبر ، فما أضعفهم و أذلهم و أحقرهم في ذلك اليوم ! الذي يفر فيه المرء من أخيه و أمه و أبيه و صاحبته و بنيه .

الحديث الثالث:

حَدَّثَنَا فُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ : حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ عُمَارَةَ ، عَنْ أَبِي رُزْعَةَ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرُأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي ، وَبَشِّرْهَا بِيَوْمٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصْبٍ لَا صَحَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

وضَعَ الحَدِيثُ الْقَدِيسِيُّ الْسَّابِقُ فَضْلَ السَّيِّدَةِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، وَمَا أَعْدَهُ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا مِنَ الْفَضْلِ وَالثَّوَابِ الْجَزِيلِ فِي جَنَّاتِ الْخَلْدِ ، وَهُوَ بَيْتٌ مِنْ قَصْبٍ لَا صَحَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ .

وَقَدْ بَدَأَ الْحَدِيثُ الْقَدِيسِيُّ عِنْدَمَا أَتَى جِبْرِيلَ - النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ بِحِرَاءَ ، فَقَالَ : (يَا رَسُولَ اللَّهِ) هَذِهِ - إِشَارَةٌ إِلَى مَا فِي ذَهَنِ جِبْرِيلِ - (خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ) أَيِّ تَوْجِهٍ مِنْ (مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ) أَيِّ : مَعْ خَبْزٍ (أَوْ طَعَامٌ) أَيِّ : مَشْتَمِلٌ عَلَيْهِمَا (فَإِذَا أَتَتْكَ) أَيِّ تَحْقِيقٍ مَأْتَاهَا عِنْدَكَ ، (فَاقْرُأْ عَلَيْهَا) بِفَتْحِ الرَّاءِ أَيِّ : أَبْلَغْهَا ، (السَّلَامُ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِيَوْمٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصْبٍ) بِفَتْحِ التَّيَنِّينِ ، أَيِّ : لَؤْلُؤٌ بِحُوفٍ وَاسِعٌ كَالْقَصْرِ الْمُنِيفِ . وَقَالَ ابْنُ حَمْرَاءَ : " أَيِّ مَنْ قَصَبَ الْلَّؤْلُؤَ ، وَلَمْ يَقُلْ مَنْ لَؤْلُؤٌ إِذْ فِي لَفْظِ الْقَصْبِ مَنْاسِبَةٌ لِأَنَّهَا أَحْوَزَتْ قَصْبَ السَّبْقِ لِمُبَادِرَتِهَا إِلَى الإِيمَانِ دُونَ غَيْرِهَا ... (لَا صَحَبَ) بِفَتْحِ الصَّادِ وَالْخَاءِ الْمُعْجَمَةِ وَلَا لَنْفِيِ الْجِنِّ أَيِّ : لَا صِيَاحٌ أَوْ لَا اخْتِلاطٌ صَوْتٌ (فِيهِ) أَيِّ : فِي الْقَصْبِ الْمُعْبَرُ بِهِ عَنِ الْقَصْرِ وَفِي نَسْخَةِ فِيهَا ، فَالضَّمِيرُ رَاجِعٌ إِلَى الْجَنَّةِ . وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ (وَلَا نَصَبَ) بِفَتْحِ التَّيَنِّينِ قَالَ تَعَالَى : ﴿ لَا يَمْسِنَا فِيهَا نَصَبٌ ﴾

(١) : صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ ، كِتَابُ مَنَاقِبِ الْأَنْصَارِ ، بَابُ تَزْوِيجِ النَّبِيِّ ﷺ خَدِيجَةَ ، وَفَضْلَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ، رقمُ الْحَدِيثِ : ٣٨٢٠ ، مَرْجِعٌ سَابِقٌ ، ص ٧٢٦ .

وَلَا يَمْسِنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿فاطر : ٣٥﴾ أي : كلال ، قال شارح : أي لا يكون لها شاغل يشغلها عن لذائذ الجنة و لا تعب ينقصها . و قال القاضي : نفي عن القصب الصخب و النصب لأنه ما من بيت في الدنيا يسكنه قوم إلا كان بين أهله صخب و جلبة و إلا كان في بناه و إصلاحه نصب و تعب ، فأخبر الله تعالى أن قصور الجنة حالية عن هذه الآفات . قال الطيبي : و يؤيد الوجه الثاني أن بناء بيت الجنة حاصل بقوله كن ، ليس كأبنية الدنيا ، فإنما يتسبب بناؤها بصخب و نصب ، و كذا السكون فيها لا يخلو عنهمَا و ليس حكم بيت في الجنة كذلك " ^(١) .

موضع الشاهد:

(... وَبَشِّرُهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصْبٍ لَا صَخْبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ) .

التحليل البلاغي:

وقع السجع في الحديث القدسي بين فاصلتين هما : (قصب، نصب) و قد اتفقت فيه الفاصلتان فقط وزناً و تقفيه ، و يسمى هذا النوع من السجع المتوازي ^(٢) ، فإن (قصب) و (نصب) متفتنان وزناً و روياً .

جاء السجع في الحديث القدسي عفواً بعيداً عن التتكلف ، و جاءت ألفاظه مألوفة و منسجمة انسجاماً تاماً مع المعنى ، ظهرت موسيقية الألفاظ و الذي أكسبها السجع نغمة عذبة ، آنسـت لها السمع و تأثرت بها النفس .

فالسجع أتـى مـقرراً لـحقيقة واقـعة بإـذن الله تعالى ، حيث أرسـل الله تعالى خديـجة - رضـي الله عنـها - التـحـية و البـشـارة ، مـحملـتين منـ أمـين السمـاء جـبرـيل ، مدـفـوعـتين إلىـ أمـين الأرض (محمد ﷺ) ليـقوم بـدورـه بتـبـلـغ التـحـية الكـريـمة و البـشـارة الكـريـمة منـ كـريـم عنـ كـريـم ، إلىـ سـيـدة نـسـاء العـالـمـين خـديـجة رـضـي الله عنـها .

(١) : مرقة المصايـح شـرح مشـكـاة المصـايـح ، ج ١١ ، كـتاب المـناـقب ، بـاب مـناـقب أـزوـاج الـنبي ﷺ ، و رـضـي الله عنـهـنـ ، مـرـجـع سـابـق ، ص ٣٢٩-٣٣٠ .

(٢) : انـظـر : الإـيـضـاح ، ص ٣٨٥ .

فلخدجة رضي الله عنها سلام و جنة و رضوان ، بعد ما بشرها رسول الله ﷺ ببيت في الجنة من لؤلؤ ، و بيوت الجنة قصور تنعم في قصرها بغایة المدّوء و النعيم ، و قد عبر عن ذلك بقوله : (... بِيَتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصْبٍ لَا صَبَّرَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ) . فعند التأمل في (قصب) و (نصب) يلاحظ جمال اللفظ المستخدم و مناسبته للمعنى الذي زاده قوة و فخامة و جزالة و هذا بخلاف القول : (بيت من لؤلؤ لا صياح فيه و لا تعب) ففي الأول نجد أن الأسلوب كان في ذروة البلاغة و البيان ، و هذا ما لا نجد في الثاني ، و قد أُسهم السجع في ترابط أجزاء الكلام و تلاممه .

الحديث الرابع:

حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصٍ : حَدَّثَنَا أَبِي : حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ : سَمِعْتُ أَبَا صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ طَنَّ عَبْدِي بِي ، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذُكْرَنِي ، فَإِنْ ذُكْرِنِي فِي نَفْسِهِ ذَكْرُهُ فِي نَفْسِي ، وَإِنْ ذُكْرَنِي فِي مَلِإِ ذَكْرُهُ فِي مَلِإِ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ بَاعًا ، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً) ^(١).

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له ^(٢).

موضع الشاهد:

(...) وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ بَاعًا...).

التحليل البلاغي:

وقع السجع في الحديث القدسي السابق بين فاصلتين هما : (ذِرَاعًا ، بَاعًا) و قد اختلفت الفاصلتان وزناً و اتفقت روياً ، و يسمى هذا النوع من السجع المطرف ، و ذلك لأن وزن (ذِرَاعًا) يختلف عن وزن (بَاعًا) و الروي واحد و هو حرف العين . رسخ السجع في الحديث حقيقة و هي وجوب حسن الظن بالله عَزَّوجَلَّ ، و فضل الإكثار من ذكره ، و بين أن قرب الله من عبده إذا تقرب إليه بأنواع الطاعات .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، كتاب التوحيد ، باب قوله تعالى : (وَيُحَدِّرُكُمُ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ) و قوله جل ذكره : (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا آعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ) ، رقم الحديث : ٦٩٥٦ ، مرجع سابق ، ص ١١٨ .

(٢) : انظر البحث : ص ١١٣ .

و قد جاء هذا الحسن البديعي على أكمل صور البلاغة و الفخامة و الرصانة خاصة و أنه أتى بألفاظ بحية ، و معانٍ جزلة ، و تراكيب متناسقة متجانسة بعضها مع بعض .

و في استخدامه (ذراعاً ، باعًا) أهمية كبرى ، و يكمن ذلك في ذكره لوحدات قياس متعارف عليها في ذلك الوقت ، فالعرب كانت تقيس في السابق بالذراع و الباع ، و يضاف إلى ذلك التناغم الموسيقي الصادر من اختياره لتلك الألفاظ ، فظهرت ميزة و هي شدة ارتباط الفاصلة و تماسكتها بما قبلها من الكلام ، و كان ما سبقها لم يكن إلا تمهيداً لها بحيث لو حذفت لاختل معنى الكلام .

فالمتأمل في الحديث يرى أن تراكيبه تتميز بالتلاحم و الترابط ، و ذلك يعود إلى أسباب عدة منها السجع ، فالحديث يشتمل على فكرة كلية رئيسية واحدة و هي حسن الظن بالله تعالى و تنبثق من هذه الفكرة أفكار جزئية متابعة متناسقة النظم وهي :

١. أن الله مع العيد حين يذكره .
 ٢. إذا ذكر العبد الله وَجَّهَ في نفسه ذكره الله وَجَّهَ في نفسه .
 ٣. إذا ذكر العبد الله وَجَّهَ في ملأ ذكره الله وَجَّهَ في ملأ خير منهم .
 ٤. إذا اقترب العبد من الله وَجَّهَ شبراً اقترب الله وَجَّهَ إليه ذراعاً .
 ٥. إذا اقترب العبد من الله وَجَّهَ ذراعاً اقترب الله وَجَّهَ إليه باعاً .
 ٦. إذا أتى العبد الله وَجَّهَ ماشياً ، أتاه الله وَجَّهَ هرولة .
- فقد أسهם السجع في تأكيد المعنى و توضيحه و ترسيقه فمن تقرب إلى الله تعالى بالطاعة بمقدار الذراع ، فالله يتقرب إليه بالثواب و المغفرة و الرحمة بمقدار الباع ، و في ذلك دليل على كرم الله وَجَّهَ لعباده .

الحديث الخامس:

عَنْ أَبِي إِسْحَاقِ عَنْ الْأَغْرِيِّ مُسْلِمٌ أَنَّهُ شَهَدَ عَلَى أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدِ الْخَدْرِيِّ رضي الله عنهمما أَنَّهُمَا شَهَدَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ . يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَأَنَا أَكْبَرُ . وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ . قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي . وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَلَا شَرِيكَ لِي . وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ . قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، لِي الْمُلْكُ ، وَلِي الْحَمْدُ . وَإِذَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةً إِلَّا بِاللَّهِ . قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةً إِلَّا بِي) .

قال أبو أسحق : ثم قال الآخر شيئاً" لم أفهمه ، قال : فقلت لأبي جعفر : ما قال؟ فقال: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (مَنْ رُزِقْهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

يظهر في الحديث القدسي السابق فضل ذكر الله تعالى و خاصة قول لا إله إلا الله ، فالله تبارك و تعالى يرضى و يصدق على ما يقول العبد من الأذكار الموجودة بالحديث أعلاه ، و ثمرة تصديقه لذلك الذكر إثابة عبده عليه عظيم الثواب ، فمن رزقهن - أي : ذكر لا إله إلا الله - عند موته لم تمسه النار أبداً .

و قد ورد في حاشية السندي : قوله : " (مَنْ رُزِقْهُنَّ) على بناء المفعول و رجع نائب الفاعل إلى (من) ، أي من أعطاه الله تعالى هذه الكلمات عند الموت و وفقه لها لم تمسه النار ، بل يدخل الجنة ابتداء مع الأبرار . اللهم اجعلنا من رزقته إياهن " ^(٢) .

(١) : صحيح ابن ماجه ، ط ١ ، المجلد الثالث ، كتاب الأدب ، باب فضل لا إله إلا الله ، رقم الحديث : ٣٠٧٦ ، الرياض ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، ١٤١٧ هـ ، ٢٤٣-٢٤٤ .

(٢) : سنن ابن ماجه بشرح الإمام السندي ، ط ١ ، كتاب الأدب ، باب فضل لا إله إلا الله ، ج ٤ ، (بيروت : دار المعرفة ، ١٤١٦ هـ) ، ص ٢٤٤-٢٤٥ .

موضع الشاهد:

(... وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ . قَالَ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا
أَنَا وَحْدِي ...) .

التحليل البلاغي:

وقع السجع في الحديث القدسي السابق بين فاصلتين هما : (عَبْدِي ، وَحْدِي)
و قد اتفقت فيه الفاصلتان فقط وزناً و تقفيه ، و يسمى هذا النوع من السجع
المتوازي ، فإن (عَبْدِي) و (وَحْدِي) متفوقتان وزناً و روياً .

و يظهر في السجع أن اللفظ جاء فيه تابع للمعنى فكلمتا (عَبْدِي ، وَحْدِي) جاءتا
تابعتين لمعنى الحديث منساقتين له انسياقاً و منقادتين له انقياداً ، و قد أحدثت هاتان
اللفظتان نغمة مؤثرة و موسيقى رنانة ، و أيضاً يظهر في الألفاظ أنها حلوة عذبة خالية
من الغثاثة و البرودة ؛ لأنها أتت عن طبع و لم تأت عن تكليف .

و ترجع بلاغة السجع في قول رسول الله السابق إلى أنه يؤثر في النفس تأثير
السحر ، و يلعب بالأفهام لعب الريح بالهشيم لما يحدثه من النغمة المؤثرة و الموسيقى
القوية التي تطرب لها الأذن ، و تهش لها النفس ، فتقبل على السماع من غير أن
يداخلها ملل أو يخالطها فتور ، فيتمكن المعنى من الأذهان و يقر في الأفكار ، و يعز
لدى العقول ...^(١). و هذا ما نلاحظه في كلمتي (عَبْدِي ، وَحْدِي) فقد تقرر عن
طريق السجع حقيقة كونية ، و هو أنه لا إله إلا الله ، فالذكر سبب لتصديق الرب وَجَلَّ
عبده ، فإنه أخبر عن الله تعالى بأوصاف كماله و نعوت جلاله ، فإذا أخبر بها العبد
صدقه ربه ، و من صدقه الله تعالى لم يحشر مع الكاذبين ، و رُحِي له أن يحشر
مع الصادقين ، و من رُزِقَ و أُعْطِي هذه الكلمات عند الموت لم تمسه النار بإذن الله
تعالى ، بل سيدخل جنات الخلد مع الأبرار .

(١) : الصبغ البديعي ، أحمد موسى ، د . ط ، مصر ، دار الكاتب العربي ، ١٣٨٨ هـ ، ص ٤٧٩ .

المبحث الثالث:

رد العجز على الصدر

التعريف باللون البدوي:

ذكر ابن أبي الإصبع المصري في باب رد الأعجاز على الصدر : " و هو الذي سماه المتأخرون التصدير ، وقد قسمه ابن المعتر ثلاثة أقسام : الأول ما وافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في صدره ، (أو كانت مجازة لها) ... و الثاني : ما وافق آخر كلمة من البيت أول كلمة منه ... و الثالث : ما وافق آخر كلمة من البيت بعض كلماته في أي موضع كان ... " ^(١) .

و عَرَفَ السِّكَاكِيَّ رَدَ العَجْزَ عَلَى الصَّدْرِ بِقُولِهِ : " هُوَ أَنْ يَكُونَ إِحْدَى الْكَلْمَتَيْنِ الْمُتَكَرِّرَتَيْنِ أَوِ الْمُتَجَانِسَتَيْنِ أَوِ الْمُلْحَقَتَيْنِ بِالْمُتَجَانِسِ فِي آخِرِ الْبَيْتِ وَ الْأُخْرَى قَبْلَهَا فِي أَحَدِ الْمَوَاضِعِ الْخَمْسَةِ مِنْ الْبَيْتِ ، وَ هِيَ صَدْرُ الْمُصْرَاعِ الْأُولُّ وَ حَشْوُهُ وَ آخِرُهُ وَ صَدْرُ الْمُصْرَاعِ الثَّانِي وَ حَشْوُهُ ... " ^(٢) .

و بَيْنَ الْخَطِيبِ الْقَزوِينِيِّ أَنَّ رَدَ الْعَجْزَ عَلَى الصَّدْرِ فِي النَّشْرِ : " أَنْ يَجْعَلَ أَحَدُ الْلَّفْظَيْنِ الْمُكَرَّرَيْنِ ، أَوِ الْمُتَجَانِسَيْنِ ، أَوِ الْمُلْحَقَيْنِ بِهِمَا ، فِي أَوَّلِ الْفَقْرَةِ وَ الْآخِرُ فِي آخِرِهِمَا " ^(٣) .

و شرح سعد الدين التفتازاني قول الخطيب القزويني : " (رد العجز على الصدر و هو في النشر أن يجعل أحد اللفظين المكررين) أي المتتفقين في اللفظ و المعنى (أو المتاجنسين) أي المتشابهين في اللفظ دون المعنى (أو الملحقين بهما) أي بالمتاجنسين يعني اللذين يجمعهما الاشتتقاق أو شبه الاشتتقاق (في أول الفقرة) و قد عرفت معناها (و) اللفظ (الآخر في آخرها) أي آخر الفقرة ... " ^(٤) .

(١) : تحرير التعبير ، ١١٦.

(٢) : مفتاح العلوم ، ٢٠٣.

(٣) : الإيضاح ، ٣٨١.

(٤) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٣٣-٤٣٤.

و ذكر ابن يعقوب المغربي شارحا قول الخطيب : " (رد العجز على الصدر) أي النوع المسمى بذلك (و هو) أي رد العجز على الصدر يكون في النثر و في النظم ، فهو (في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين) و هما المتفقان لفظا و معنى (أو) أحد (المتجانسين) و هما المتشابهان في اللفظ دون المعنى (أو) أحد (الملحقين بهما) أي بالتجانسين ، و قد تقدم أن الملحقين بالتجانسين قسمان ما يجمعهما الاشتقاد و ما يجمعهما شبه الاشتقاد (في أول الفقرة) متعلق بأن يجعل أي هو في النثر أن يجعل في أول الفقرة أحد المذكورين من تلك الأنواع (و) يجعل اللفظ (الآخر) منها (في آخرها) أي في آخر تلك الفقرة ، و الفقرة في أصلها اسم لعظم الظهر استعيرت للحلي المصنوع على هيئته ، ثم أطلقت على كل قطعة من قطع الكلام الموقوفة على حرف واحد لحسنها و لطافتها ... " ^(١) .

و شرح بهاء الدين السبكي قول الخطيب حيث قال : " (و منه رد العجز مع الصدر الخ) أي من أنواع التحسين اللفظية لا من الجناس كما توهمه الخطيب لتصريح السكاكي و كل من تكلم في هذا العلم بعده بما قلناه رد العجز على الصدر ، و يسمى التصدير ، و هو تارة يكون في النظم و تارة يكون في النثر ، ففي النثر هو عبارة عن جعلك أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بهما أي بالتجانسين في أول الفقرة و الآخر في آخرها ... " ^(٢) .

كما ذكر الدسوقي أن : " قوله (رد العجز) أي إرجاع العجز للصدر بأن ينطبق به كما نطق بالصدر (قوله : المتفقين في اللفظ و المعنى) أي و لا يستغنى بأحدهما عن الآخر (قوله : في أول الفقرة) متعلق بجعل أي هو في النثر أن يجعل في الفقرة أحد المذكورين من تلك الأنواع الأربع ، و يجعل اللفظ الآخر من ذلك النوع في آخر تلك الفقرة (قوله : و قد عرفت معناها أي في بحث الأرصاد فلذا لم يتعرض لبيانها

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٣٣-٤٣٤ .

(٢) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٣٣ .

و حاصل ما مر أن الفقرة بفتح الفاء وكسرها في الأصل اسم لعظم الظهر ، ثم استعييرت للحلي المصور على هيئته ، ثم أطلقت على كل قطعة من قطع الكلام الموقوفة على حرف واحد لحسنها و لطافتها ، و التحقيق أنه لا يشترط فيها أن تكون مصاحبة لأخرى فصح التمثيل بقوله و تخشى الناس الخ و بقوله سائل اللئيم الخ لأن كلاً منهما ليس معه أخرى ... " ^(١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البدعوي اللغطي (رد العجز على الصدر) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٣٣ .

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا قُتْبَيْهُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ أَعْمَشٍ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً ، يَطْوُفُونَ فِي الطُّرُقِ ، يَأْتِمُسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا : هَلْمُوا إِلَى حَاجَتِكُمْ ، قَالَ : فَيُحْفُونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيُخْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدونَكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَا ، وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ تَسْبِيحةً ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَمَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالَ : يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ ، قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَا ، وَاللَّهِ يَا رَبَّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً ، قَالَ : فَمِمْ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : مِنِ النَّارِ ، قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَا ، وَاللَّهِ يَا رَبَّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فَرَارًا ، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً ، قَالَ : فَيَقُولُ فَأَشْهُدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، قَالَ : يَقُولُ مَلَكُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ : فِيهِمْ فُلَانٌ ، لَيْسَ مِنْهُمْ ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ ، قَالَ : هُمُ الْجُلَسَاءُ ، لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)^(١).

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له^(٢).

موضع الشاهد:

(... قَالَ هُمُ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ) .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكومياني ، كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز و جل ، رقم الحديث : ٦٠٣٤ ، مرجع سابق ، ص ١٨٦-١٨٨.

(٢) : انظر البحث : ص ٢٢٨ .

التحليل البلاغي:

وقع رد العجز على الصدر بين كلمتين وردت إحداهما في أول الفقرة (**الجلسة**) و الثانية في آخرها وهي (**جليسُهُمْ**) ، وقد جمع بينهما الاشتقاء فكل منهما يرجع أصلها إلى الفعل الماضي الثلاثي (**جلسَ**) .

و قد أكد رد العجز على الصدر و جاء " دليتل على فضيلة مجالسة الصالحين ، و أن الجليس الصالح ر بما يعم الله سبحانه و تعالى بجليسه رحمته و إن لم يكن مثله ؛ لأن الله قال : قد غفرت لهذا . مع أنه ما جاء من أجل الذكر و الدعاء لكنه جاء حاجة ، و قال : (هم القوم لا يشقي بهم جليسهم) و على هذا فيستحب الاجتماع على الذكر و على قراءة القرآن و على التسبيح و التحميد و التهليل و كل يدعون لنفسه ، و يسأل الله لنفسه ، و يذكر لنفسه " ^(١) .

و ترجع بلاغة هذا الفن البدائي إلى أمرتين :

أولهما : دلالته على تأكيد المعاني و تقريرها و ذلك أن اللفظ عندما يكرر يتأكد معناه في ذهن السامع و يتقرر ^(٢) ، و هذه الصورة بدت واضحة فعندما كرر جليسهم أكد المعنى و قرره و رسمه و ثبته في ذهن السامع ، حيث إن جميع الجلوس شملتهم المغفرة و الرحمة سواء من جهة بنية الذكر و التهليل و التحميد و التمجيد ، أم جاء حاجة من حوئچ الدنيا .

و أما الأمر الذي الشيء ترجع له بلاغة هذا الفن هو " دلالة أول الكلام على آخره ، و ارتباط آخره بأوله ، و تلك هي البلاغة ، فقد قال الخبراء بفن القول : البلاغة : أن يكون أول كلامك دالاً على آخره ، و آخره مرتبطاً بأوله ... و قد كان

(١) : الهدية في شرح الأحاديث القدسية ، مرجع سابق ، ج ١ ، ص ٤١٤ .

(٢) : علم البداع ، بسيوني عبد الفتاح فيد ، مرجع سابق ، ص ٣٠٥ .

صناع الكلام يفخرون بدلالة أول كلامهم على آخره ، و ارتباط آخره بأوله ، كما كان
النقاد يفطرون للكلام الجيد المتماسك ، و يدركون آخره عند سماعهم لأوله ... " ^(١) .

(١) : المرجع السابق : ص ٣٠٥ .

الحديث الثاني:

حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ عَنْ مَالِكٍ بْنِ أَنَسٍ ، فِيمَا قُرِئَ عَلَيْهِ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ مَعْمَرٍ ، عَنْ أَبِي الْجَبَابِ ، سَعِيدٍ بْنِ يَسَارٍ ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُونَ بِجَلَالِي ، الْيَوْمَ أُظْلَهُمْ فِي ظِلِّي ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

يوضح الحديث القدسي فضل الحب في الله ، و الكراهة التي ينالها الإنسان من وراء ذلك .

و قد بدأ الحديث بقوله ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) " أي : في الموقف العظيم يوم القيمة ، في يوم القيمة أطوار وأحوال " ^(٢) .

ثم قال الله عز و جل : (أَيْنَ الْمُتَحَابُونَ بِجَلَالِي) " و الاستفهام نداء لهم ، و ليس استفهماماً عن مكانهم ، فهو أعلم بهم ، و المتحابون بتشدد الباء ، و أصله المتحابون ، أي: الذين اشترکوا في جنس المحبة ، و أحب كل منهما الآخر حقيقة ، لا إظهاراً فقط ، و الباء للتعليل" ^(٣) ، أي: من أجل طاعتي و عظمتي لا للدنيا " ^(٤) .

و معنى : (الْيَوْمَ أُظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي) " أي : أنه لا يكون من له ظل مجازاً في الدنيا ، و جاء في غير مسلم : ظل عرسي ، قال القاضي : ظاهره أنه في ظله من الحر ، و الشمس و وهج الموقف ، و أنفاس الخلق ، قال: و هذا قول

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ١٥ ، كتاب البر و الصلة و الآداب ، باب في فضل الحب في الله ، رقم الحديث: ٢٥٦٦ ، مرجع سابق ، ص ١٠١

(٢) : فتح المعم شرح صحيح مسلم ، ج ١٠ ، مرجع سابق ، ص ٢٨٦

(٣) : المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٤) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، ص ١٠١ .

الأكثرين ، و قال عيسى بن دينار : معناه : كفه من المكاره ، و إكرامه و جعله في كنفه و ستره ، و منه قولهم : السلطان ظل الله في الأرض ، و قيل : يتحمل أن الظل هنا عبارة عن الراحة و النعيم يقال هو في عيش ظليل أي طيب " (١) .

موضع الشاهد:

(... الْيَوْمَ أُظْلِهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي) .

التحليل البلاغي:

جاء الفن البدوي رد العجز على الصدر بين كلمتين وردت إحداهما في أول الفقرة (ظِلِّي) ، و الثانية في آخرها و هي (ظِلِّي) و جمع بينهما التكرار .

و يظهر السرُّ البلاغي لهذا الفن من خلال تأكيد المعنى و تقريره و ترسيخه و تثبيته في ذهن السامع ، فعندما جاء اللفظ المكرر (ظِلِّي) و هي آخر كلمة في الحديث القدسي ، تأكيد المعنى في ذهن السامع ، ففضل الحب في الله عظيم ، و هو أن يكون في حماية الله عز وجل ، ف (الْيَوْمَ أُظْلِهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي) " ظاهره أن هناك ظلاً و وقاية من الحر و الشمس ، و هو كذلك ، ففي الأحاديث أن الشمس تدنو من الرؤوس ، حتى يغرق بعض الناس في العرق ، و إذا كانت الشمس المعلومة قد كورت قبل ذلك ، فلا حجر على القدرة من إعادتها ، أو خلق شمس أخرى ، قال القاضي : ظاهره أنه في ظله من الحر و الشمس و وهج الموقف و أنفاس الخلق ، قال : و هذا قول الأكثرين أ. ه و قيل : إن التعبير كناية و لا ظل ، و لا حر ، و لا شمس ، و المراد : حمايته من المكاره ، و جعله في كنفه و إكرامه و ستره ، فهو من

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، ص ١٠١ .

قبيل : السلطان ظل الله في الأرض ، و يحتمل أن يكون كنایة عن الراحة و النعيم ،
كما يقال هو في عيش ظليل أي طيب " ^(١) .

و يظهر السُّرُّ البلاغي أيضًا في ارتباط الكلام بعضه مع بعض و تلامح أجزائه ،
و تأزّرها بعضها مع بعض ، فالسامع يستطيع أن ينطق بالكلمة الأخيرة بمجرد سماعه
لأول الفقرة ، فرد العجز على الصدر يعد رابطًا من روابط التذكرة ، فعند قول الله عز
و جل : (الْيَوْمَ أُظْلِهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمٍ لَا ظِلَّ إِلَّا ...) فيستطيع السامع النطق بـ (ظلّي)
و لو لم ير هذا الحديث أو لم يسمعه من قبل .

و لرد العجز على الصدر فضل كبير في قوة الأسلوب و الصياغة ، و تماسك
اللبنات ، و جودة السبك ، و هذا واضح أشد الوضوح في الحديث القدسي .

(١) : فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، ج ١٠ ، مرجع سابق ، ص ٢٩ .

الحديث الثالث:

حَدَّثَنِي رُهْبَرُ بْنُ حَرْبٍ . حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ . أَخْبَرَنَا رَوْحُ بْنُ الْقَاسِمِ عَنْ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْقُوبَ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ أَبِيهِ هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرُكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي ، تَرَكْتُهُ وَشَرَكْهُ) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

يوضح الحديث السابق وجوب الإخلاص في العمل و ذم الرياء ، فالله سبحانه و تعالى أغني أن يشاركه غيره ، فمن عمل عملاً له و لغيره لم يقبل الله منه ، بل إن الله يتركه لذلك الغير ، فهذا الحديث من الترهيب من أن يقصد الإنسان بعبادته غير الله .

و قد بدأ الحديث القدسية بقول الله تعالى : (أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ) أي أنا أغني من يزعم أنهم شركاء على فرض أن لهم غنى . (عَنِ الشُّرُكِ) أي : عما يشركون به مما بيني و بين غيري في قصد العمل . و المعنى : ما أقبل إلا ما كان خالصاً لوجهه و ابتغاء لمرضاته . فاسم المصدر الذي هو الشرك مستعمل في معنى المفعول و يؤيد ما قررناه ما أوضحه بطريق الاستئناف بقوله : (مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ) أي : في قصد ذلك العمل (معي) أي : مع ابتغاء وجهي (غيري) أي من المخلوقين فلا يضره قصد الجنة و توابعها مثلا ، فإنها من جملة مرضاته سبحانه ، و إن كان المقام الأكمل أن لا يعبد لطمع جنة أو خوف نار ، فإنه عد كفرا عند بعض العارفين . . . و قوله :

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ١٨ ، كتاب الزهد والرقاء ، باب من أشرك في عمله غير الله ، (و في نسخة : باب تحريم الرياء) رقم الحديث : ٢٩٨٥ ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

(**تَرْكُتُهُ وَ شِرْكُهُ**) خبر (من) و الواو بمعنى مع ، أو المعنى تركته عن نظر الرحمة و تركت عمله المشترك عن درجة القبول ^(١).

" قال الطيبي - رحمه الله : اسم التفضيل هنا بحد ذاته ، و الإضافة فيه للبيان ، أو على زعم القوم ، و فيه أن وجه الإضافة للبيان يحتاج إلى مزيد البيان ، و كأنه أراد أن معناه : أنا غني مما بينهم دونهم ، ثم قال : و الضمير المنصوب في (**تَرْكُتُهُ**) يجوز أن يرجع إلى العمل و المراد من الشرك الشريك ^(٢).

قال النووي : "... معناه : أن غني عن المشاركة و غيرها ، فمن عمل شيئاً لي و لغيري لم أقبله ، بل أتركته لذلك الغير ، و المراد : أن عمل المرأى باطل ، لا ثواب فيه و يأثم به" ^(٣).

موضع الشاهد:

(**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشَّرِيكِ مَنْ عَمِلَ عَمَلاً أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرْكُتُهُ وَ شِرْكُهُ**).

التحليل البلاغي:

وقع رد العجز على الصدر بين كلمتين وردت إحداهما في أول الفقرة : (**الشُّرَكَاءِ**) والثانية في آخرها : (**شِرْكُهُ**) ، و قد جمع بينهما الاشتلاق ، فكل منهما يرجع إلى أصلها في الفعل الماضي الثلاثي (**شَرَكَ**).

(١) : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصايح ، ج ٩ ، كتاب الرقاق ، باب الرياء و السمعة ، مرجع سابق ، ص ٥٠١-٥٠٢.

(٢) : المرجع السابق ، ص ٥٠٢.

(٣) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ١٥ ، كتاب الزهد و الرقائق ، باب من أشرك في عمله غير الله ، (و في نسخة : باب تحريم الرياء) رقم الحديث : ٢٩٨٥ ، مرجع سابق ، ص ٩٠

و يتضح السُّرُّ البلاغي للفن البديعي رد العجز على الصدر في الحديث السابق في

أمرین :

أولهما : دلالته على تأكيد المعانی و تقريرها ، و ذلك أن اللفظ عندما يذكر مجانساً عن طريق الاستدراك للآخر يتأكد معناه في ذهن السامع و يتقرر و يرسخ ، فالمتأمل في الحديث يجد أن لفظ (الشَّرْكَاءُ ، الشَّرْكُ ، أَشْرَكَ ، شِرْكَهُ) تكرر وجوده في الحديث أربع مرات ، و كلها تعود و ترجع إلى أصل واحد ، و ذلك يدل على تحريم الربا ، و ضرورة الإخلاص في العمل ، فالإخلاص شرط في قبول الله تعالى للعمل الصالح ، فقد قال الله تعالى في ذلك :

(وَمَا أُمِرْوًا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) ^(١) (أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْحَالِصُ) ^(٢) فالله أغني الشركاء عن الشرك ، فإذا أشرك إنسان في أمر يجب أن يكون قاصداً بذلك الله و الناس فإن الله غير محتاج لذلك العمل ، و سيتركه و شركه ، كما أوضح ذلك النووي بقوله : "... عمل المawai باطل لا ثواب فيه ، و يأثم به " ^(٣) ، فعلى المسلم أن يراقب أعماله التي يؤديها ، فما كان فيه شركاً مع الله تعالى فعليه أن يصحح نيته بأن تكون خالصة لله .

ثانيهما: يظهر في الترابط بين المعانی و التلامم بين أجزاء الكلام ، فهو يؤدي إلى تقوية السبك و تماسك اللبنات ، و جودة المعانی ، و جزالة الألفاظ ، فالحديث قليل اللفظ عظيم المعنى ، فالله تعالى أغني الشركاء ، و حذر من أن يقصد الإنسان بعبادته غير الله ، و عد ذلك من عظام الذنوب ، بل من الشرك به ؛ لأنه ينافي الإخلاص الذي يقتضي أن يقصد المسلم بعمله الله وحده لا شريك له .

(١) : البينة : ٥ .

(٢) : الزمر : ٣ .

(٣) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، مرجع سابق ، ص ٩٠ .

الحديث الرابع:

حَدَّثَنَا عَبْدُهُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ : حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ الْجُعْفِيُّ عَنْ رَائِدَةَ : حَدَّثَنَا يَعْنَى بْنُ
بِشْرٍ عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَارِمٍ : حَدَّثَنَا جَرِيرٌ قَالَ : خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ فَقَالَ : (إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لَا تُضَامُونَ
فِي رُؤْيَتِهِ) ^(١).

المضمون العام للحديث:

أثبت الحديث القدسي أن المؤمنين يوم القيمة سيرون الله عز وجل كما يرون
القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته .

و رؤية الله تعالى في الجنة للمؤمنين هي أعظم لذة لهم ، و أعظم نعيم و أعظم
حبور أو سرور يصل إليهم ، يبهج نفوسهم ، و تستثير و تضيء به وجوههم .

و قد جاء الحديث السابق إثباتاً من أنكر الرؤية أو تصور بأن الله عز وجل شُبّه
بالقمر ، فمعنى " التشبيه بالقمر أنكم ترون رؤية محققة لا شك فيها ، و لا تعب ،
و لا خفاء ، كما ترون القمر كذلك ، فهو تشبيه للرؤية بالرؤية لا المرئي بالمرئي ، و لا
كيفية الرؤية بالكيفية " ^(٢) .

موضع الشاهد:

(إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبِّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ)

التحليل البلاغي:

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ٢٣ ، كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (يَوْمَ يُبَدِّلُ نَاطِرَةً إِلَى نَاطِرَةٍ) ^{٤٤} ، رقم الحديث: ٦٩٥٨ ، ص ١٤٠ - ١٤١.

(٢) : المرجع السابق : ص ١٤١ .

وَقَعَ رد العجز على الصدر بين كلمتين وردت إحداهما في أول الفقرة : (سَتَرْوَنَ) وَالثانية في آخرها و هي : (رُؤْيَتِهِ) ، و قد جمع بينهما الاستدراك فكل منهما يرجع أصلها إلى الفعل الماضي الثلاثي (رأى) .

وَقَدْ أَكَدَ رد العجز على الصدر و جاء دليلاً على رؤية المؤمنين لرحم عز وجل يوم القيمة ، و هي رؤية لذة و بهجة و نعيم و سرور في جنات النعيم ، فعندما أتت الكلمة (سَتَرْوَنَ) في أول الحديث ثم جاءت الكلمة (رُؤْيَتِهِ) في آخر الحديث أَسْهَمَتِ الثانية في تأكيد معنى الأولى و تقريره و ترسيخته ، إضافة إلى الكلمة (كَمَا تَرَوْنَ) التي وردت في وسط الحديث ، فالكلمات جميعها بمحض الصورة البلاغية جاءت تأكيداً و ترسيختاً و تثبيتاً و تقريراً لمعنى واحد ، ألا و هو إثبات رؤية المؤمنين لرحم عز وجل يوم القيمة لمن أنكر ذلك ، أو لمن تصور و شك أن ورود الكلمة البذر هنا للتشبيه (أي : تشبيه الله به) تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وَأَيْضًا ، يلاحظ أن رد العجز على الصدر كان سبباً من أسباب تلامس الأسلوب و ترابطه و تآزره لما بين (سَتَرْوَنَ) و (رُؤْيَتِهِ) من التشابه الشكلي الذي أدى في نهاية الأمر إلى موسيقى رنانة جعلت الأسلوب مميزاً ، و جذاباً ، و ذا أثر قوي في النفس و القلب .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ بَهْرَامَ الدَّارِمِيُّ : حَدَّثَنَا مَرْوَانٌ يَعْنِي ابْنَ مُحَمَّدِ الدَّمْشِقِيَّ : حَدَّثَنَا سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ يَزِيدَ ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسِ الْخُولَانِيِّ ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، أَنَّهُ قَالَ : (يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً . فَلَا تَظَالُمُوا . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ . فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطِعُمُونِي أُطْعِمُكُمْ . يَا عِبَادِي ، كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ . فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ . يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَأَنَا الَّذِي أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ؛ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرُ لَكُمْ . يَا عِبَادِي ، إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضْرُونِي . وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْسِي فَتَنْفَعُونِي . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ . مَا زادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقْصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا . يَا عِبَادِي ، لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسَأْلَتَهُ مَا نَقْصَ ذَلِكَ مَا عَنِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمُخِيطُ إِذَا دَخَلَ الْبَحْرَ . يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَخْصِيهَا لَكُمْ ، ثُمَّ أُوْفِيكُمْ إِيَاهَا ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلِيْهِ حَمْدُ اللَّهِ ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ) .

قَالَ سَعِيدٌ: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخُولَانِيُّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ جَثَا عَلَى رُكْبَيْهِ^(١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له^(٢) .

(١) : صحيح مسلم ، شرح النووي ، ج ١٥ ، كتاب البر و الصلة و الآداب ، باب تحريم الظلم ، رقم

الحادي : ٢٥٧٧ ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ - ١٠٩ .

(٢) : انظر البحث : ص ٢٤٤ .

موضع الشاهد:

(يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَّمُوا ...) .

التحليل البلاغي:

وقع رد العجز على الصدر بين كلمتين وردت إحداها في أول الفقرة : (الظلم) و الثانية في آخرها وهي : (تَظَالَّمُوا) ، وقد جمع بينهما الاشتراك فكل منهما يرجع أصلها إلى الفعل الماضي الثلاثي (ظلم) .

و قد نص و أكد رد العجز على الصدر على تحريم الظلم بين العباد ، و هو من أعظم المقاصد التي جاءت الشريعة بتقريرها ، و ترسيخها في أذهان الناس ، فوردت الكلمة (الظلم) في أول الفقرة دالة على تنزيه الله لنفسه عن الظلم ، فهو سبحانه أحكم الحاكمين و أعدل العادلين في السماوات السبع والأرضين ، وقد جاء ذلك في الذكر

المبين ، حيث ورد : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَعِّفُهَا وَيُؤْتَ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (٤٠) و أيضاً قال جل في علاه : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٤٦) ، و وردت الكلمة الثانية (فَلَا تَظَالَّمُوا) محمرة للظلم بين العباد ، و نهاية إياهم أن يتظالموا فيما بينهم ، فالظلم أنواع كثيرة ، وقد بين هذا الفن البديعي نوعاً من أنواع الظلم و هو ظلم الإنسان لغيره بأخذ حقه ، أو الاعتداء عليه في بدنه أو ماله أو عرضه أو نحو ذلك .

(١) : النساء : ٤٠ .

(٢) : فصلت : ٤٦ .

فمن خلال ذلك تتبين قيمة الفن البديعي البلاغي التي تكمن في تقرير المعنى ، و تأكيده ، و إيضاحه ، و إيصاله للمتلقي في أجل صورة ، إضافة إلى ما تتميز به من نغمة موسيقية كانت ذات أثر قوي في النفس و العقل .

و رد العجز على الصدر الوارد بين كلمتي : (**الظلم** ، **تَظَالَّمُوا**) سبب من أسباب تلامح الأسلوب و ترابط المعنى الذي يشير أولاً و آخرًا إلى تحريم الظلم مطلقاً ، و يدل على ذلك حرف التوكيد "إن" و ضمير المتكلم "الياء" في (إِنِّي) ، و لفظ التحرير ذاته في قوله (حَرَّمْتُ) ، و تكرار لفظي (التحريم ، والظلم) في قوله : (إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً فَلَا تَظَالَّمُوا) ، و قد ختمت الجملة الأولى من الحديث بقوله : (فَلَا تَظَالَّمُوا) مع أن المراد فهم مما سبقها ، فإن المعنى قد تم عند قوله : (مُحَرَّماً) ، لكنه أعاد المعنى المراد مرة أخرى بقوله : (فَلَا تَظَالَّمُوا) ، و هذا المعنى يفيد المنع قوة .

المبحث الرابع:

لزوم ما لا يلزم

التعريف باللون البديعي:

ذكر ابن أبي الإصبع تعريف لزوم ما لا يلزم في باب الالتزام حيث قال : " هو أن يلتم الناثر في نثره ، أو الشاعر في شعره قبل روئيّ البيت من الشعر حرفًا فصاعداً على قدر قوّته ، وبحسب طاقته ، مشروطًا بعدم الكلفة " ^(١) .

عَرَفَ صاحب الإيضاح لزوم ما لا يلزم بأنه : " أن يجيء قبل حرف الروي و ما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع " ^(٢) .

و ذكر العلّامة سعد الدين التفتازاني أن : " (لزوم ما لا يلزم) و يقال له الإلزام و التضمين و التشديد و الإعنات أيضًا (و هو أن يجيء قبل حرف الروي) ، و هو الحرف الذي تبني عليه القصيدة و تنسّب إليه ، فيقال قصيدة لامية أو ميمية مثلاً ، من رویت الحبل إذا فتلته ؛ لأنّه يجمع بين الأبيات ، كما أن الفتل يجمع بين قوى الحبل ، أو من رویت على البعير إذا شدّت عليه الرواء و هو الحبل الذي يجمع به الأحمال (أو ما في معناه) أي قبل الحرف الذي هو في معنى حرف الروي (من الفاصلة) يعني الحرف الذي وقع في فواصل الفقر موقع حرف الروي في قوافي الأبيات ، و فاعل يجيء هو قوله : (ما لا ليس بلازم في السجع) يعني أن يؤتى قبله بشيء لو جعل القوافي أو الفواصل ألسجاماً لم يحتاج إلى الإتيان بذلك الشيء و يتم السجع بدونه ، فمن زعم أنه كان ينبغي أن يقول ما ليس بلازم في السجع أو القافية ليوافق قوله قبل حرف الروي أو ما في معناه فهو لم يعرف معنى هذا الكلام ، ثم لا يخفى أن المراد بقوله : يجيء قبل كذا ما ليس بلازم في السجع أن يكون ذلك في بيتين أو أكثر ،

(١) : تحرير التحبير ، ٥١٧.

(٢) : الإيضاح ، ٣٨٩.

أو فاصلتين أو أكثر ، و إلا ففي كل بيت أو فاصلة يجيء قبل حرف الروي أو ما في معناه ما ليس بالازم في السجع ... " ^(١) .

و ذكر صاحب موهب الفتح : " (و منه) أي و من البديع اللغطي (لزوم ما لا يلزم) أي النوع المسمى بلزوم ما لا يلزم ، و يقال له الإلزام و التضمين لتضمينه قافيته ما لا يلزمها و الإعنات أي الإيقاع فيما فيه عنت بفتحتين أي مشقة و شدة (و هو) أي لزوم ما يلزم المسمى بما ذكر (أن يجيء قبل حرف الروي أو) يجيء قبل (ما في معناه) أي قبل ما في معنى الروي (من الفاصلة) بيان لما ، و أطلق الفاصلة على الحرف الذي هو في معنى الروي و هو الحرف الذي تختتم به فاصلة من الفواصل ، و قوله : (ما ليس بالازم في السجع) فاعل يجيء ، يعني أن لزوم ما لا يلزم هو أن تأتي بحرف قبل الروي ، أو ما يجري مجرى الروي من حرف الفاصلة بحرف لا يلزم ذلك الحرف في السجع ... " ^(٢) .

و أشار صاحب العروس إلى " (و منه) أي من التحسين اللغطي (لزوم ما لا يلزم و هو أن يجيء قبل حرف الروي أو ما في معناه من الفاصلة) أو السجعة (ما ليس لازما في السجع) و الأولى أن يقال التقافية ليعلم السجع و النظم ... " ^(٣) .

و ورد في حاشية الدسوقي على شرح السعد أن " قوله (الإلزام) أي لأن المتكلم شاعرًا كان أو ناثرًا ألزم نفسه أمرا لم يكن لازما له (قوله : و التضمين الخ) أي لتضمينه قافيته ما لا يلزمها (قوله : و الإعنات) أي الإيقاع فيما فيه عنت أي مشقة لأن إلزام ما لا يلزم فيه مشقة (قوله : قبل حرف الروي) أي من القافية ، و يؤخذ من قول الشارح لأنه يجمع بين الأبيات أن الإضافة غير بيانية و المعنى قبل الحرف الذي

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٦٣-٤٦٥ .

(٢) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٦٣-٤٦٤ .

(٣) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٦٢-٤٦٤ .

يجمع بين الأبيات و يحتمل أنها بيانية لأنهم قد يعبرون بالروي بدون حرف مراد به الحرف المذكور (قوله : و هو الحرف) أي الأخير من القافية (قوله : فيقال قصيدة لامية) أي إن كان الحرف الأخير من قافية لاما و هكذا (قوله : من رویت الحبل) أي مأخوذ من قولك رویت الحبل (قوله : إذا فتلته) أي و يلزمها الجمع (قوله : لأنه) أي الروي (قوله : بين قوى الحبل) أي طاقاته (قوله : الرواء) بكسر الراء و المد (قوله و هو الحبل الذي يجمع به الأحمال) أي و الحرف الأخير من القافية الذي تنسب إليه القصيدة يجمع بين الأبيات (قوله : أو ما في معناه) عطف على حرف الروي أي أو يجيء قبل الحرف الذي في معناه (قوله : يعني الخ) أشار الشارح إلى أن قوله : من الفاصلة بيان لما في معناه وأنه أطلق الفاصلة على الحرف الذي يختتم بها الفاصلة فهو من تسمية الجزء باسم الكل ، و الظاهر أن الفاصلة باقية على معناها الحقيقي وهو الكلمة الأخيرة من الفقرة أي حال كونه كائنا من الفاصلة (قوله : ما ليس بلازم في السجع) ما عبارة عن شيء كما قال الشارح (قوله : يعني أن يؤتى قبله) أي قبل ما ذكر من حرف الروي أو الحرف الذي في معناه ... " ^(١) .

و الآن مع الاستشهاد لهذا اللون البدائي اللغطي (لزوم ما لا يلزم) ، و بيان قيمته البلاغية في الأحاديث القدسية لنرى مدى تأثيره على سياق الكلام و مقامه .

(١) : شروح التلخيص ، ج ٤ ، ٤٦٣-٤٦٤ .

الحديث الأول:

حَدَّثَنَا قُتْبَيْهُ بْنُ سَعِيدٍ ، حَدَّثَنَا جَرِيرٌ ، عَنْ أَعْمَشٍ ، عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً ، يَطْوُفُونَ فِي الطُّرُقِ ، يَأْتِمُسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا : هَلْمُوا إِلَى حَاجَتِكُمْ ، قَالَ : فَيَحْفُونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ، قَالَ : فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ : مَا يَقُولُ عِبَادِي ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ ، وَيَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدونَكَ ، فَيَقُولُ : هَلْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُونَ : لَا ، وَاللَّهِ مَا رَأَوْكَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَكَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبَادَةً ، وَأَشَدَّ لَكَ تَمَجِيدًا وَتَحْمِيدًا وَأَكْثَرَ تَسْبِيحةً ، قَالَ : فَيَقُولُ : فَمَا يَسْأَلُونِي ؟ قَالَ : يَسْأَلُونَكَ الْجَنَّةَ ، قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَا ، وَاللَّهِ يَا رَبَّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ أَنَّهُمْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا ، وَأَشَدَّ لَهَا طَلَبًا ، وَأَعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً ، قَالَ : فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : مِنِ النَّارِ ، قَالَ : يَقُولُ : وَهَلْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَا ، وَاللَّهِ يَا رَبَّ مَا رَأَوْهَا ، قَالَ : فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا ؟ قَالَ : يَقُولُونَ : لَوْ رَأَوْهَا كَانُوا أَشَدَّ مِنْهَا فَرَارًا ، وَأَشَدَّ لَهَا مَخَافَةً ، قَالَ : فَيَقُولُ فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ ، قَالَ : يَقُولُ مَلَكُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ : فِيهِمْ فُلَانٌ ، لَيْسَ مِنْهُمْ ، إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ ، قَالَ : هُمُ الْجُلَسَاءُ ، لَا يُشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ)^(١).

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له ^(٢).

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكوماني ، ط ٢ ، ج ٢٢ ، كتاب الدعوات ، باب فضل ذكر الله عز وجل ، رقم الحديث : ٦٠٣٤ ، مرجع سابق ، ١٨٨-١٨٦ .

(٢) : انظر البحث : ص ٢٢٨ .

موضع الشاهد:

(... قَالَ : يَقُولُونَ : يُسَبِّحُونَكَ وَ يُكَبِّرُونَكَ ، وَ يَحْمَدُونَكَ وَ يُمَجَّدُونَكَ ...).

التحليل البلاغي:

لقد جاء الفن البديعي اللفظي لزوم ما لا يلزم في الحديث القدسي حيث التزم ^{صلوات الله عليه} قبل الفاصلة (الكاف) بأكثر من حرف وهو حرفي (الواو والنون)، ولا يخفى أن هذا غير مقصود منه ^{صلوات الله عليه}، إنما صدر عن طبع، و جاء عفواً، ولم يكن متكلاً و متعنتاً، بل اقتضاه المقام، واستدعته المناسبة، و جاء تابعاً للمعنى، وليس المعنى تابعاً له.

و عندما يتأمل في الكلمات (يُسَبِّحُونَكَ و يُكَبِّرُونَكَ ، و يُمَجْدُونَكَ) كلها تفسر من أنواع العبادات التي ينبغي صرفها لله تعالى فقط دون سواه ، فالتسبيح ^(١) معناه التنزيه ، سبّح له : نزَّهَ الله تعالى ، و التكبير ^(٢) معناه التَّعْظِيم ، و الحمد ^(٣) ضد الذَّم ، و هو أعم من الشكر ، و التمجيد ^(٤) من المجد و هو الكرم ، و بذلك يُرى كيف استجلب النبي ﷺ الكلمات المناسبة معنوياً ، و المترائمة لفظياً بحيث أحدثت نوعاً رائعاً من الموسيقى الرنانة بأذني السامع و القارئ على حِلٍ سواء .

(١) : مختار الصحاح ، الرازي ، مادة سبع ، مرجع سابق ، ص ١١٩

(٢) : المرجع السابق ، مادة كبر ، ص ٢٣٤ .

(٣) : المرجع السابق ، مادة حمد ، ص ٦٤.

(٤) : المرجع الساقي ، مادة مجد ، ص ٢٥٧

الحديث الثاني:

حَدَّثَنَا سَلَمَةُ بْنُ شَيْبٍ وَعَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَا : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ أَيُوبَ عَنْ أَبِي قِلَابَةَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ) ، قَالَ : أَحْسَبُهُ قَالَ : فِي الْمَنَامِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ : هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِّ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قَالَ : قُلْتُ : لَا ، قَالَ : فِي نَحْرِي ، فَعَلِمْتُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ هَلْ تَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِّ الْمَلَأُ الْأَعْلَى ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، قَالَ : فِي الْكَفَّارَاتِ . وَالْكُفَّارَاتُ : الْمُكْثُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ ، وَالْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى الْجَمَاعَاتِ ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي الْمَكَارِهِ ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ ؛ عَاشَ بِخَيْرٍ ، وَمَاتَ بِخَيْرٍ ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيْوَمْ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ . وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ إِذَا صَلَّيْتَ فَقُلْ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ ، وَإِذَا أَرْدَتَ بِعَادِكَ فِتْنَةً ؛ فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ ، قَالَ : وَالدَّرَجَاتُ : إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ) ^(١).

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له ^(٢).

موضع الشاهد:

الشاهد يقع في ثلاثة مواضع:

(١) : سنن الترمذى ، ج ٥ ، كتاب تفسير القرآن ، باب (٣٨) ، رقم الحديث : ٣٢٤٧ ، مرجع سابق ، ص ٣٦٦ - ٣٦٧.

(٢) : انظر البحث : ص ٢١٦ .

• (... المُكْثُ فِي الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ ، وَالْمَشْيُ عَلَى الْأَقْدَامِ إِلَى

الْجَمَاعَاتِ...) .

• (... فِعْلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكُ الْمُنْكَرَاتِ...) .

• (... إِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ...) .

التحليل البلاغي:

جاء الفن البديعي اللفظي لزوم ما لا يلزم في الحديث القدسي السابق حيث التزم النبي ﷺ قبل الفاصلة في الموضعين ، الأول و الثالث ، بحرف واحد ، و هو ألف المد ، و أما بالنسبة للموضع الثاني فقد التزم ﷺ بمحرفين قبل الفاصلة ، و هما : الراء و ألف المد ، و مما تجدر الإشارة إليه أن هذا الالتزام غير مقصود منه ﷺ ، إنما جاء عفواً و صادراً عن طبع غير متكلف ، فالمقام استدعاه و المناسبة طلبته .

ففي الموضع الأول يوضح ﷺ فيما يختصه الماء الأعلى ، ثم ذكر في الكفارات و ذكر إجابة شافية كافية ، شديدة التأثير على العقل و الفكر ، و ذلك نتيجة استخدامه لوناً بديعياً مشبعاً بالموسيقى الداخلية و الخارجية صادراً عن الانسجام و التوافق الصوتي بين الكلمات و دلالاتها ، فاختيار الرسول ﷺ اللفظي (الصلوات ، الجماعات) ينم عن ذوق رفيع و طبع سليم .

و في الموضع الثاني يوضح ﷺ دعاء عظيماً من أجمع الأدعية و أكملاها ، فهو يسأل الله فعل الخيرات و ترك المنكرات ، فهو بذلك يتضمن طلب فعل كل خير و ترك كل شر ، و إن حصل ذلك حصل على خيري الدنيا و الآخرة ، فقد التزم ﷺ بمحرفين قبل الفاصلة و هما الراء و ألف ، و التزم كذلك بالحركات مما نتج عن ذلك موسيقى

داخلية و خارجية ، إضافة إلى القيمة و الدلالة الفكرية المعنية ، فحرف المد السابق أكسب المقطع نغمة موسيقية عذبة ، فكانت تلك العبارات أكثر تأثيراً في المتلقى .

و في الموضع الثالث يوضح الرسول ﷺ ما هي الدرجات التي يختصم فيها الملا الأعلى أيضاً ، ثم ذكر (إِفْشَاءُ السَّلَامِ ، وَ إِطْعَامُ الطَّعَامِ ، وَ الصَّلَاةُ بِاللَّيْلِ وَ النَّاسُ نِيَامٌ) فاستخدامه ﷺ لكلمات (السلام - الطعام - نِيَامٌ) لم يأت اعتباطاً ، بل جاء و صدر عن ذوق قويم ، و فهم سليم ، و لسان عربي مبين ، فتلك الكلمات جاءت مختومة بحرف (الميم) و مسبوقة بحرف المد (الألف) فتميزت بالتوافق الموسيقي بينها ، إضافة إلى الإيقاع الداخلي ، فجاءت تلك العبارات المنغمة المعبرة فمن أجل أن يترقي الإنسان في درجات الجنة ، فعليه :

أولاً : أن يفشي السلام بين الناس و يسلم على من عرف و من لم يعرف ، فهو أدعي إلى التحاب و التلاطف بين الناس .

ثانياً : إطعام الطعام ؛ فهو أفضل ما في الإسلام ؛ لأنّه يؤلف القلوب و يقرب الأبعد .

ثالثاً : أن يصلّي بالليل و الناس نائم ، فالصلوة صلة بين العبد و ربه ، فكيف و قد يصلّي الإنسان بالليل ، و ينادي الله تعالى ، و قد ترك لذة النوم ، و استيقظ دون غيره من الناس ليقابل رب العزة وَجْهَكَ ؟ .

الحديث الثالث:

حَدَّثَنَا مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ : حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ الْمَلِكِ عَنْ رِبْعَيْ بْنِ حِرَاشٍ قَالَ : قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرِو لِحَدِيفَةَ : أَلَا تَحْدَثُنَا مَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِنَّ مَعَ الدَّجَالِ إِذَا خَرَجَ مَاءً وَنَارًا ، فَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهَا النَّارُ فَمَاءٌ بَارِدٌ ، وَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ فَنَارٌ) تُحْرِقُ ، فَمَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ فَلَيَقْعُدُ فِي الَّذِي يَرَى أَنَّهَا نَارٌ ، فَإِنَّهُ عَذْبٌ بَارِدٌ . قَالَ حَدِيفَةَ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ فَقِيلَ لَهُ : هَلْ عَمِلْتَ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : مَا أَعْلَمُ ، قِيلَ لَهُ : انْظُرْ ، قَالَ : مَا أَعْلَمُ شَيْئًا غَيْرَ أَنِّي كُنْتُ أَبَايُغَالُونَ فِي الدُّنْيَا وَأَجَازَهُمْ فَأَنْظُرْ الْمُوسِرَ وَأَتَجَاوِزْ عَنِ الْمُعْسِرِ ، فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ فَقَالَ : وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَلَمَّا يَئِسَ مِنِ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ : إِذَا أَنَا مُتُّ فَاجْمِعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا ، وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا ، حَتَّى إِذَا أَكَلْتُ لَحْمِي وَخَلَصْتُ إِلَى عَظِيمٍ فَامْتُحَنْتُ فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا ، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحَا فَادْرُوهُ فِي الْيَمِّ فَفَعَلُوا ، فَجَمَعَهُ اللَّهُ فَقَالَ لَهُ : لِمَ فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : مِنْ خَشْيَتِكَ ، فَغَفَرَ اللَّهُ لَهُ) .

قَالَ عُقْبَةُ بْنُ عَمْرِو بِوَأَنَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ ذَاكَ وَ كَانَ نَبَاشًا ^(١) .

المضمون العام للحديث:

يحمل هذا الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه ثلاثة أحاديث رواها حذيفة

بنويته فال الأول : يتحدث فيه عن فتنة المسيح الدجال ، و الثاني : يتحدث فيه عن فضيلة إنذار الميسر ، و الثالث : يتحدث فيه عن الرجل الذي أمر أهله بإحرافه بعد موته .

(١) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٤ ، كتاب بدء الخلق ، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ، رقم الحديث : ٣٢٢٩ ، مرجع سابق ، ص ٨٨ - ٨٩ .

فالأول قال حذيفة : "إِنِّي سَمِعْتُهُ (أي : ﷺ) يَقُولُ إِنَّ مَعَ الدَّجَالِ إِذَا خَرَجَ مَاءً وَنَارًا...)" ، أي و ما يتولد منه من أسباب النعم ، بحسب الظاهر المعتبر عنه بالجنة فيما تقدم يرغب إليه من أطاعه ^(١) .

(وَنَارًا) أي: ما يكون ظاهره سبباً للعذاب والمشقة والألم يخوف به من عصاه ، (فَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهُ مَاءٌ بَارِدٌ فَنَارٌ تُحْرِقُ...) المعنى أن الله تعالى يجعل ناره ماءً بارداً عذباً على من كذبه وألقاه فيها غيطاً كما جعل نار نمرود برداً وسلاماً على إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، و يجعل ماءه الذي أعطاه من صدقته ناراً حرقاً دائمة . و محمله أن ما ظهر من فتنته ليس له حقيقة ، بل تخيل منه و شعبدة كما يفعله السحراء المشبعون ، مع احتمال أن الله تعالى يقلب ناره و ماءه الحقيقيين فإنه على كل شيء قد يرى (فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ) أي الدجال أو ما ذكر من تبليسه (مُنْكِمٌ فَلِيَقُعُّ فِي الَّذِي يَرَى أَنَّهَا نَارٌ) أي فليختبر تكذيبه و لا يالي بإيقاعه فيما يراه ناراً (فِإِنَّهُ عَذْبٌ طَيْبٌ) أي في الحقيقة أو بالقلب أو بحسب المال والله تعالى أعلم بالحال ^(٢) .

و الثاني : قول حذيفة : (سَمِعْتُهُ (أي : ﷺ) يَقُولُ : إِنَّ رَجُلًا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَتَاهُ الْمَلَكُ لِيَقْبِضَ رُوحَهُ...) " و في هذا الحث على التيسير على المعسرين ، و عدم العسر في المدaineة و المعاملة ، و الحث على إنتظار المعسرين ، أو إعفائهم

(١) : مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايح ، كتاب الفتن ، باب العلامات بين يدي الساعة و ذكر الدجال ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، ص ١١٢ .

(٢) : مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصايح ، مرجع سابق ، ج ١٠ ، مع اختلاف في ألفاظ الحديث مع أنه نفس الراوي (حذيفة رضي الله عنه) ، ص ١١٢ .

و مسامحتهم ، و أن ذلك من أسباب العفو عنهم يوم القيمة ، و تيسير الله عليهم يوم القيمة " ^(١) .

" و المشروع لكل مؤمن أن يتخلق بهذا الخلق ، و أن يحرص على أن يكون من أهل التيسير و العفو و الإنظار و عدم المضايقة " ^(٢) .

و الثالث: قول حذيفة : " وَسِمْعُتُهُ (أي : الرسول ﷺ) يَقُولُ إِنَّ رَجُلًا حَضَرَهُ الْمَوْتُ فَلَمَّا يَئِسَ مِنَ الْحَيَاةِ أَوْصَى أَهْلَهُ...) و هو حديث الرجل الذي أمر أهله بإحراقه بعد موته خشية من الله تعالى ، و كيف كان الخوف منه سبحانه من أسباب مغفرة الذنوب ، ففي القصة أن رجلاً من بنى إسرائيل أوصى أهله عندما يئس من الحياة أن إذا مات أن يجمعوا له حطباً كثيراً ، و يوقدوا فيه النار ، و يضعوه حتى تأكل النار لحمه و تخلص إلى عظميه و تتحشر ، و الامتحاش هو الاحتراق ^(٣) ، ثم يأخذوا العظام بعد الامتحاش فيطحونها و ينتظروا (يَوْمًا رَاحًا) قال الجوهري : معناه : " يوم راح : أي شديد الريح ، و إذا كان طيب الريح يقال : ريح بالتشديد " ^(٤) ، و قال الخطابي : " يوم راح : أي : ذو ريح ، كما يقال : رجل مال أي : ذو مال " ^(٥) ، فعندما يأتي ذلك اليوم فاذروه في اليم ، ففعل بنوه ما أوصاهم به أبوهم ، فجمعته الله تعالى ،

(١) : الهداية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، ج ٢، ص ١٧١، وقد تقدم مضمون هذا الحديث ، انظر البحث : ص ٧٩ ، ولكن باختلاف طرق الرواية .

(٢) : المرجع السابق ، ص ١٧١.

(٣) : صحيح البخاري ، شرح الكرماني ، ج ١٤ ، كتاب بدء الخلق ، باب ما ذكر عن بنى إسرائيل ، مرجع سابق ، ص ٨٩ .

(٤) : المرجع السابق ، ص ٨٩.

(٥) : المرجع السابق ، ص ٨٩ .

" و قال له : لم فعلت ذلك ؟ قال: من حشيتك ، فغفر الله له ، قيل: و كان نباشاً ، أي : الرجل الموصي ، سراقاً للأكفان " ^(١) .

موضع الشاهد:

ورد الشاهد في موضوعين:

الأول: (...فَأُنظِرْ الْمُؤْسَرَ وَأَتَجَاؤْ عَنِ الْمُعْسِرِ، ...) .

الثاني: (...حَتَّىٰ إِذَا أَكَلْتُ لَحْمِي وَخَلَصْتُ إِلَى عَظِيمٍ...) .

التحليل البلاغي:

جاء الفن البديعي اللفظي لزوم ما لا يلزم في الحديث القديسي السابق في موضوعين

اثنين : حيث الترمي في الموضع الأول قبل الفاصلة (راء) بحرف واحد ، و هو (السين) في كل من (المؤسر ، المعسر) ، و مما لا يخفى أن ذلك صادر عن طبع و ذوق سليمين ، فصلوات الله عليه يروي قصة ذلك الرجل الذي كان يباع الناس و يجازيهم ، حينما أتاه الملك كي يقبض روحه و سأله هل عملت من خير ؟ و قال : إنه لا يعلم ، غير أنه كان مسامحاً في الاقتضاء والاستيفاء ، و يقبل ما فيه نقص يسير . فالرسول ﷺ أراد أن يبين سعة رحمة الله تعالى بعباده ، فقد غفر الله عز و جل له بهذا العمل على الرغم من قلته ، و كذلك أراد أن يبين فضل إنتظار المؤسر و التجاوز عن المعسر ، فعند استخدامه ﷺ للفظي (المؤسر ، المعسر) استخدم إيقاعاً جيلاً و نغماً معبراً و موسيقى عذبة ، فكان المدف الذي يرمي إليه هو إيضاح المعنى ، و إفهامه و ترسيخه في العقول والألباب و حصل له ما أراد ، فعند استخدامه تلك اللفظتين ، أتى بفنين بديعين هما : الطباق ، و لزوم ما لا يلزم ، فهذا الفن

ساعدنا على إيصال المعنى عن طريق موسيقى الأصوات التي انفعلت بها النفوس و تأثرت بها القلوب .

و في الموضع الثاني الترمي عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَرَّكَ اللَّهُ بِهِ وَسَلَّمَ قبل الفاصلة (الياء) بحرف هو (الميم) في كل من (لحمي ، و عظمي) و ما تحدى الإشارة إليه أن ذلك غير مقصود ، فليس في كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَرَّكَ اللَّهُ بِهِ وَسَلَّمَ لزوم ما لا يلزم ؛ لأن كلامه عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَرَّكَ اللَّهُ بِهِ وَسَلَّمَ يعد من أعلى مراتب البيان البلاغي بما يحتويه من بديع الصنع و رفيع القول .

فالرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَرَّكَ اللَّهُ بِهِ وَسَلَّمَ يروي قصة ذلك الرجل الذي أوصى بنيه بعد موته بإحراقه و طحن عظامه و رميها في يوم شديد الريح باليم ، خشية و خوفاً من الله ، وقد غفر الله له ، فقد استخدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَرَّكَ اللَّهُ بِهِ وَسَلَّمَ لفظتي (لحمي ، و عظمي) فهاتان اللفظتان تحملان معنيين بدعيين هما : مراعاة النظير ، و لزوم ما لا يلزم ، استطاع الرسول عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَرَّكَ اللَّهُ بِهِ وَسَلَّمَ من خلالهما إيصال المعنى و ترسيخه بالأذهان و تشييته . فالخوف و الخشية من الله في هذا الحديث كان سبباً من أسباب مغفرة الذنوب ، و تكفير الخطايا ، عن طريق ذلك الفن الذي يحمل الموسيقى بنوعيها الخارجية و الداخلية ، و نشأ ذلك من خلال انسجام الحروف بعضها مع بعض و اتساق اللفظتين (لحمي ، و عظمي) مع بعضهما ، فقد اشتراكت الكلمتان بأكثر من حرف ، و كان لهذا الاشتراك فائدة موسيقية عظيمة ، و قيمة نغمية جليلة أدت إلى زيادة ربط الألفاظ بالمضمون .

الحديث الرابع:

وَ حَدَّنِي عَنْ مَا لِكِ ، عَنْ أَبِي حَازِمَ بْنِ دِينَارٍ ، عَنْ أَبِي إِدْرِيسِ الْحُولَانِيِّ ، أَتَهُ قَالَ :
 دَخَلْتُ مَسْجِدَ دِمْشِقَ . فَإِذَا فَتَّى شَابٌ بَرَّاقُ الشَّنَائِيَا . وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ ، إِذَا اخْتَلَفُوا فِي
 شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْهِ . وَصَدَرُوا عَنْ قَوْلِهِ . فَسَأَلْتُ عَنْهُ ، فَقِيلَ : هَذَا مُعاَذُ بْنُ جَبَلِ .
 فَلَمَّا كَانَ الْعَدُ ، هَجَرْتُ . فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بِالتَّهَجِيرِ . وَوَجَدْتُهُ يُصَلِّي قَالَ :
 فَإِنْتَظَرْنَاهُ حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ . ثُمَّ جَعْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قُلْتُ : وَاللَّهِ
 إِنِّي لَا يُحِبُّكَ لِلَّهِ . فَقَالَ : أَلَّهُ ؟ فَقُلْتُ : أَلَّهُ . فَقَالَ : أَلَّهُ . فَقَالَ :
 أَلَّهُ ، قَالَ : فَأَخَدَ بِحُبُوبَةِ رَدَائِي فَجَبَدَنِي إِلَيْهِ . وَقَالَ : أَبْشِرْ . فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِينَ
 فِي ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِي ، وَالْمُتَرَاوِرِينَ فِي ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِي) ^(١) .

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له ^(٢).

موضع الشاهد:

(وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِينَ فِي ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِي ، وَالْمُتَرَاوِرِينَ فِي ، وَ
الْمُتَبَاذِلِينَ فِي) .

التحليل البلاغي:

جاء الفن البدعوي اللفظي لزوم ما لا يلزم في الحديث القدسي السابق حيث التزم

بذكر الكلمة (في) في جميع الفقرات الأربع ، إلى جانب التزامه ^{بكلمة} قبل الفاصلة

(١) : الموطأ ، الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، كتاب إسعاف المبطأ لرجال الموطأ ، الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، كتاب الجامع ، باب ما جاء في المتحابين في الله . رقم الحديث: ١٦ ، مرجع سابق ، ص ٨٢٧ .

(٢) : انظر البحث : ص ١٩٤ .

(النون) بحرف الياء في كل من (المُتَحَايِّنَ ، وَ المُتَجَالِسِينَ ، وَ المُتَرَاوِينَ ، وَ المُتَبَاذِلِينَ) .

فقد أراد أن يوضح ﷺ أوصافاً و علاماتٍ ، من يتصرف بها وجبت محبة رب العزة له ، و محبة الله هي الغاية الكبرى و النعمة العظمى ، التي يتשוק إليها كل مؤمن ، فوضَّح ﷺ تلك العلامات بعبارات قصيرة متوازنة ، و جمل منتقاة عذبة ، و أسلوب متلاحم متlapping ، يشد ذهن المتلقى و يلفت انتباذه ، و كان تلك الجمل عقود رُكِبت من اللؤلؤ و الياقوت و المرجان ، فأوصل ﷺ المعنى إلى ذهن المتلقى بأسلوب منمق عذب موسيقى نتج أولاً : عن تكرار الكلمة (في) أربع مرات ، و لقد لعب تكرار تلك الكلمة دوراً عظيماً في الموسيقى اللغافية ، إلى جانب زriadته في إيضاح المضمون المعنوي .

و نتج ثانياً : عن التزامه ﷺ بحرف (الياء) قبل الفاصلة (النون) ، الذي يعد عالمة من علامات جمع المذكر السالم ، ففي تتابع (الياء و النون) و الذي يليه الكلمة (في) في الجمل المتوازنة شكّلت مقطوعة موسيقية متدايقية الألحان و الأنغام ، مثلت المعنى خير تمثيل و أجمله و أكمله .

و في استخدامه ﷺ للألفاظ : (المُتَحَايِّنَ ، وَ المُتَجَالِسِينَ ، وَ المُتَرَاوِينَ ، وَ المُتَبَاذِلِينَ) دعوة إلى التواصل و الاجتماع و التحاب و التزاور و التبادل بين المسلم و أخيه ، فكل كلمة تحدث تعبيراً في الوجود ، و من ثم تؤثر في الإدراك و النفس و العقل .

الحديث الخامس:

حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ غِيلَانَ وَغَيْرًا وَاحِدًا قَالُوا : حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَاقُ : أَخْبَرَنَا التَّوْرِيُّ :

أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ أَنَّ الْأَغْرَى حَدَّثَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (يُنَادِي مُنَادٍ) : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيِوْ فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوْ فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبَاسُوا أَبَدًا ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَتِلَكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أَوْرَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾) [الزخرف : ٧٢].

قال أبا عيسى وروى ابن المبارك وغيره هذا الحديث عن الثوري ولم يرفعه ^(١).

المضمون العام للحديث:

سبق التعرض له ^(٢).

موضع الشاهد:

(... إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيِوْ فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقُمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشْبُوْ فَلَا تَهْرُمُوا أَبَدًا ، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبَاسُوا أَبَدًا) .

التحليل البلاغي:

(١) : الجامع الكبير (سنن الترمذى) ، ج ٥ ، أبواب تفسير القرآن، ٤٠ و من سورة الزمر ، رقم الحديث ٣٥٢٧ ، مرجع سابق ، ص ٤٥٢ .

(٢) : انظر البحث : ص ٢٠٧ .

جاء الفن البديعي اللفظي لزوم ما لا يلزم في الحديث القديسي السابق حيث التزم بِكَلِيلِهِ بذكر كلمة (أَبَدًا) في جميع الفقرات الأربع ، إلى جانب التزامه بِكَلِيلِهِ قبل الفاصلة (واو الجماعة) بحرف الميم في كل من (تَسْقَمُوا — تَهْرُمُوا) .

فقد أراد بِكَلِيلِهِ أن يوضع جزءاً يسيراً من نعيم الجنة ، و ذلك عندما ينادي منادٍ حينما يدخل أهل الجنة ، و يبشرهم بأربع نعم متولية دائمة عليهم ، و هي الحياة الدائمة و عدم الموت ، و الصحة الدائمة و عدم المرض ، و الشباب الدائم و عدم الهرم ، و النعيم الدائم و عدم البأس ، فوضّح بِكَلِيلِهِ هذا النعيم بحمل متوازنة ، و عبارات منمقة منتقاة ، و مقاطع موسيقية منغمة ، و أسلوب جزل تكسوه الفخامة و الرصانة و الفصاحة .

فالمقام مقام تبشير للمؤمنين المشتاقة نفوسهم للجنة و نعيمها ، فجاء التبشير عن طريق تلك الجمل المختومة بكلمة (أَبَدًا) ؛ تأكيداً للمعنى و ترسيحاً و تثبيتاً له في الذهن ، فالتكرار في الحديث كان ذا أثر عظيم في توفير الجانب الموسيقي .

و كذا أظهر الجانب الموسيقي في ختامه بِكَلِيلِهِ لكل فقرة من الفقرات قبل كلمة (أَبَدًا) بواو الجماعة المتصل بالفعل المضارع ، و الذي يعد حرفًا من حروف المد ، و قد نتج عن ذلك تناغم موسيقي بديع ، و إيقاع جميل ، تطرب الأذن لسماعه ، و تتلذذ به الأفءدة و النفوس ، فما تکاد موسيقى الجملة تنتهي و تستقر في الأسماع حتى تعود ألحانها المؤثرة تتردد في الجملة التي تليها و هكذا حتى نهاية الحديث ، مما يجعل الجمل سلسلة من الموجات الصوتية و النغمات الموسيقية المتصلة التي لا تنتهي إلا بعد أن تكون قد بلغت من المستمع مبلغاً عظيماً .

الخاتمة

حَمْدًا لِكَ اللَّهُمَّ ، بِكَ الْمُعْوَنَةُ وَالتَّوْفِيقُ وَالْهَدَايَةُ لِأَقْوَمِ طَرِيقٍ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ الَّذِي أَتَيْتَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابَ ، وَعَصَمْتَهُ مِنَ الْخَطَا
وَأَهْمَمْتَهُ الصَّوَابَ ، وَمَنْتَ عَلَيْهِ بِفَضْلِيَّةِ الْبَيَانِ ، فَفَنِدَ بِقَاطِعِ حَجْتِهِ قَوْلَ مَنْ عَارَضَهُ
مِنْ أَهْلِ الزُّورِ وَالْبَهْتَانِ ، وَبَعْدَ :

قَدَّمْتُ فِيمَا سَبَقَ غَايَةً جَهْدِيَّ وَثُرَّةً بِحْثِيَّ الَّذِي بَذَلْتُ فِي سَبِيلِهِ كُلَّ مَا اسْتَطَعْتُ
إِلَيْهِ سَبِيلًا ، وَأَتَضَرَعُ إِلَى الْمُوْلَى سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ لَا يُضِيعَ لِي جَهْدًا ، وَأَنْ يَجْعَلَ لِهِ
مِنَ الْقَبْوُلِ وَالرَّضَا فِي نَفْسِ أَسَاتِذَتِي الْأَفَاضِلِ مَا يَجْعَلُهُمْ يَتَغَاضَوْنَ عَمَّا قَدْ يَكُونُ بِدْرَ
مِنِي مِنَ الْخَطَا وَالْزَّلْلِ ، أَوِ السَّهْوِ وَالنَّسِيَانِ ؟ فَالْمُتَصْفَحُ لِلشَّيْءِ أَبْصَرُ بِمَوْاقِعِ الْخَلْلِ مِنَ
مَنْشِئِهِ ، لَاسِيمًا إِذَا كَانَ ضَلِيلًا فِيمَا قَدَّمَ إِلَيْهِ ، وَمَا كَانَ مِنَ الصَّوَابِ فَمِنَ اللَّهِ
وَحْدَهُ ، وَمَا كَانَ مِنَ الْخَطَا وَالنَّسِيَانِ فَمِنْ نَفْسِي وَالشَّيْطَانِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
بِنِعْمَتِهِ تَمَّ الصَّالِحَاتُ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾^(١) .

وَلَعْلَ منْ أَبْرَزَ النَّتَائِجَ الَّتِي تَوَصَّلَتْ إِلَيْهَا مِنْ خَلَالِ تَلْكَ الْمُدْرَسَةِ الْمُتَوَاضِعَةِ

ما يَلِيهِ :

- أن الصورة البديعية في الحديث القدسية ليست من قبيل الخلية اللفظية التي يمكن الاستغناء عنها ، بل هي من صلب المعنى جاءت لأن السياق و المقام يتطلبها و يستدعي وجودها في الكلام .

- يعد فتاً الطباق و الجناس من أبرز الفنون البدعية الموجودة في الأحاديث القدسية و أشهرها شيئاً و انتشاراً .
- تتراوح المقابلات في الأحاديث القدسية بين معنيين إلى ثلاثة معانٍ ، و عدم وجودها بأكثر من ذلك – كما يبدو لي – .
- قلة ظهور في المبالغة و التورية في الأحاديث القدسية بالنسبة للألوان البدعية الأخرى – كما يظهر لي – .
- خلو الأحاديث القدسية – كما يبدو لي – من جناس التركيب لما يظهر فيه من تكلف و تصنع ترفضانه الفطرة السليمة و الطبع القويم .

و من أبرز التوصيات و المقترنات ما يأتي :

- ضرورة أن يكون الدارس مرتّاً عند تعامله مع الأحاديث القدسية ، مع الحرص على إعمال العقل و الفكر و عدم الركون و التسليم بكل ما يقع تحت أيدينا من مادة علمية على أنه شيء مقدس لا يمكن تبديله أو تنقيحه ، بل لابد أن يستخرج الدارس ما في داخل أعمقه من معانٍ و لطائف رآها في النص .
- ينبغي للدارس التأمل و التدبر و التريث عند تحليله للأحاديث القدسية و إطلاق الأحكام ، و عدمأخذ اللفظ على ظاهره ؛ فذلك أدعى للوصول إلى المهد المنشود .
- أنصح الباحثين بالتوجه إلى دراسة الأحاديث القدسية و ذلك لقلة الدراسات البلاغية و اللغوية المتعلقة بها ، و أخيراً و ليس بآخر أقول : اللهم علمنا ما ينفعنا و انفعنا بما علمتنا .

الفهارس الفنية

فهرس الآيات

الصفحة	السورة	رقمها	الآيات
١١٥	البقرة	١٥٢	﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ ﴾ •
١٨٢	آل عمران	١٥٩	﴿ فِيمَا رَحْمَةٌ مِّنَ اللَّهِ لِنَتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَطَّا غَلِيلَ الْقَلْبِ لَا نَفَضُوا مِنْ حَوْلَكَ . ﴾ •
٢٠٠	آل عمران	- ١٦٩ ١٧٠	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَيِّلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينٌ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِّنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَشْرِفُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوْهُمْ مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ •
١٥٥	آل عمران	١٩٢	﴿ إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَيْتَهُ . ﴾ •
٣١٣	النساء	٤٠	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةٌ يُضَعِّفُهَا وَيُؤْتَ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ . ﴾ •
٨٠	النساء	٤٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكَ

				<p>بِاللَّهِ فَقَدْ أَفْرَى إِثْمًا عَظِيمًا .</p>
٨٠	الأنعام	٨٨		<p>وَلَوْ أَسْرَكُوا لَحِيطًا عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . •</p>
٢	الأعراف	٤٣		<p>الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَنَا لِهَذَا وَمَا كَانَ لِنَهْتَدِي لَوْلَا أَنْ هَدَنَا اللَّهُ . •</p>
١٢٣	الأفال	٧٥		<p>وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ . •</p>
١٨٣	التوبه	٧٣		<p>وَأَغْلَظُ عَلَيْهِمْ . •</p>
٣٥	الحجر	٩		<p>إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الْكِتَابَ كَرَوِينَا لَهُ لَهُ حَفْظُونَ . •</p>
١٣٨	النحل	٩٦		<p>مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقِ . •</p>
٨٢	الكهف	١١٠		<p>فَنَّ كَانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ عَهْلًا صَلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا . ١١٠ .</p>
١١٢	طه	٥٢		<p>قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضُلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى . ٥٦ .</p>
٩٥	العنكبوت	٢١		<p>يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ .</p>
٧٥	السجدة	١٧		<p>فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قَرَّةَ أَعْيُنٍ .</p>

٢٩٠	فاطر	٣٥	﴿لَا يَمْسِنَا فِيهَا نَصْبٌ وَلَا يَمْسِنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ .
٣٠٨	الزمر	٣	﴿أَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْخَالِصُ﴾ .
٣١٢	فصلت	٤٦	﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَيْدِ﴾ .
١٥	الأحقاف	٩	﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَاعِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ .
٣٧	الحشر	٥	﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصْوَلِهَا فَإِذَا ذِي اللَّهِ﴾ .
١٤٩	النازعات	-١٣	﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجَرَةٌ وَحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ .
١٤٩	المزمل	١٧	﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوَلَدَنَ شِبَابًا أَلَّا سَمَاء مُنْفَطِرٍ بِهِ﴾ .
١٥٣	عبس	٤٠	﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَرَّهُ تَرَهُقُهَا قَرْرَةٌ﴾ .
٣٠٨	البينة	٥	﴿وَمَا أُمِرْتُ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ .

فهرس الأحاديث

<u>الصفحة</u>	<u>الأحاديث</u>
١٤١	(أَبْشِرْ فِيَنَ اللَّهُ يَقُولُ : هِيَ نَارِي أَسْلَطْهَا عَلَى عَبْدِي الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا ...) . •
٥٥	(ابْنَ آدَمَ ازْكَعْ لِي مِنْ أَوْلَ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ ...) . •
٢٩١	(أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ حَدِيْجَةٌ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ ...) . •
٢١٧، ٣٢٢	(أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، قَالَ : أَحْسَبْتُهُ قَالَ : فِي الْمَنَامِ فَقَالَ يَا مُحَمَّدُ ...) . •
٢٥٤	(أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، قُلْتُ : لَبَّيْكَ رَبِّي وَ سَعْدِيَّكَ ...) . •
٢٧٤	(أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا ، وَأَيُّ شَهْرٍ هَذَا ، وَأَيُّ بَلْدٍ هَذَا ...) . •
٢٦٩	(أَجَحَّ إِنَّهَا صَلَادَهُ رَغْبٌ ، وَ رَهَبٌ ، سَأَلْتُ رَبِّي - عَزَّ وَ جَلَّ - فِيهَا ثَلَاثَ حِصَابٍ ، فَأَعْطَانِي اثْتَنِينِ وَ مَنْعَنِي وَاحِدَهٗ ...) . •
١٣١	(إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبْيَتِيهِ فَصَبَرَ عَوْضَتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ ...) . •
٨٢	(إِذَا أَحَبَّ عَبْدِي لِقَائِي أَحَبَبْتُ لِقَاءَهُ ...) . •
٢٩٦	(إِذَا قَالَ الْعَبْدُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ . يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ : صَدَقَ عَبْدِي ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ، وَأَنَا أَكْبَرُ ...) . •

٢٧٩	(أَسْلَمْ سَالِمَهَا اللَّهُ ، وَغِفَارٌ غَفَرَ اللَّهُ لَهَا أَمَا إِنِّي لَمْ أَفْلَهَا ...) .
١٥٦	(أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذْنُ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ...) .
١٠٥	(أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعْلَمَكُمْ مَا جَهَلْتُمْ إِمَّا عَلَمْنِي يَوْمِي هَذَا كُلُّ مَالٍ تَحْلُثُهُ عَبْدًا ...) .
٣٠٨	(أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ . عَنِ الشُّرُكِ مَنْ عَمِلَ عَمَالًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي عَيْرِي ، تَرَكُتُهُ وَشَرَكُهُ ...) .
، ١١٣	(أَنَا عِنْدَ ظَلَّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعْهُ إِذَا ذُكْرِي ...) .
، ١٧١	
٢٩٣	
١٣٧	(أَنْفَقْ أَنْفِقْ عَلَيْكَ وَقَالَ : يَدُ اللَّهِ مَلْأَى لَا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ ، سَحَاءُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ ...) .
١٨١	(أَنَّ هَذِهِ، الْآيَةُ الَّتِي فِي الْقُرْآنِ ﴿يَأْمُها أَنَّهُ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ...) .
٥٨	(إِنَّ اللَّهَ زَوَّى لِي الْأَرْضَ . فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَ مَغارِبَهَا ...) .
٦٥	(إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسِبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمْ الصَّلَاةُ ...) .
٢٥٥	(إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ يَقُولُونَ لَبَيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ ...) .
٧٩	(إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ وَكَانَ يُدَافِئُ النَّاسَ ...) .
٩٨، ٢٣٢	(إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسِبُ بِهِ الْعَبْدُ بِصَلَاتِهِ ، فَإِنْ صَلُحْتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَبْخَحَ ...) .

١١٨	(إِنَّ اللَّهَ ، إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ، دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ : إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبْهُ ...) •
١٥٩	(إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَاقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَسَعْيَنَ سِجَّلًا ...) •
٢٣٤	(إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَتُهُ بِالْحُرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ إِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ...) •
٢٧٦	(إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ . فَأُتَيَّ بِهِ فَعَرَفَهُ نِعْمَةٌ فَعَرَفَهَا ...) •
٢٠١	(إِنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةً ، يَطْوُفُونَ فِي الطُّرُقِ ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا ...) •
٣٠١	(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلَائِكَةً عَشِيشَةً عَرَفَةً بِأَهْلِ عَرَفَةَ ...) •
٣١٩	(إِنَّ أُمَّتَكَ لَا يَرَأُونَ يَقُولُونَ : مَا كَدَا ، مَا كَدَا ، حَتَّى يَقُولُوا : هَذَا اللَّهُ خَلَقَ الْحَقِّ ...) •
٢٦٥	(إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : أَيْنَ الْمُتَحَابُونَ بِخَلَالِي . الْيَوْمُ أَظْلَاهُمْ فِي ظِلِّي ...) •
٣٠٤	(إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ) •
٣١٠	(إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ إِنَّ مَعَ الدَّجَالِ إِذَا خَرَجَ مَاءٌ وَنَارًا فَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهَا النَّارُ فَمَاءٌ بَارِدٌ وَأَمَّا الَّذِي يَرَى النَّاسُ أَنَّهَا مَاءٌ بَارِدٌ فَنَارٌ حُرْقٌ ...) •
٣٢٤	(بَعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ) •
٨	(تَحَاجَّتِ الْجَنَّةُ وَ النَّارُ ، فَقَالَتِ النَّارُ : أُوْثِرْتُ بِالْمُتَكَبِّرِينَ وَ الْمُتَجَبِّرِينَ ...) •
٩٤	

٢٢١	(تَكَفَّلَ اللَّهُ لِمَنْ جَاهَدَ فِي سَبِيلِهِ لَا يُخْرِجُهُ إِلَّا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ وَ تَصْدِيقُ كَلِمَاتِهِ ...) .
١٨٨	(ثَلَاثَةُ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَعْطَى بِثُمَّ عَدَرَ ...) .
٢٣٦	(ثَلَاثَةُ يُخْبِثُهُمُ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : رَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَهُمْ بِاللَّهِ ، وَمَمْ يَسْأَهُمْ بِقَرَابَةِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَهُمْ فَمَنْعُوهُ فَتَخَلَّفُهُمْ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا) .
١٩٧	(حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَا تِهِمْ ، فَإِذَا حَلَقَهُ فِي أَهْلِهِ فَخَانَهُ ...) .
٢٥٥	(خَلَقَ اللَّهُ الْحَلْقَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحْمُ ...) .
٩١	(سَأَلْتُ رَبِّيَ ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي شَتَّىْنِ وَمَعْنَى وَاحِدَةً . سَأَلْتُ رَبِّيَ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّيِّئَةِ فَأَعْطَانِيهَا ...) .
١٢١	قال: جاءَ حَبْرٌ من الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا نَحْدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعِي، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعِي
١٤٣	(الْكَبِيرِيَاءُ رِدَائِيُّ ، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِيُّ ...) .
١٦٢	(كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَمَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَتَّمَنِي وَمَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، فَأَمَّا تَكْذِيْبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي ...) .
٢٧١	(مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرُأْ فِيهَا بِأَمْ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ . هِيَ خِدَاجٌ . هِيَ خِدَاجٌ . غَيْرُ تَمَامٍ ...) .
٢٣٨	(سَأَلْتُ رَبِّيَ ثَلَاثًا فَأَعْطَانِي شَتَّىْنِ وَمَعْنَى وَاحِدَةً . سَأَلْتُ رَبِّيَ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّيِّئَةِ فَأَعْطَانِيهَا ...) .
١٦٧	قال: جاءَ حَبْرٌ من الْأَحْبَارِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّا نَحْدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَاوَاتِ عَلَى إِصْبَعِي، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعِي
١٢٨	(الْكَبِيرِيَاءُ رِدَائِيُّ ، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِيُّ ...) .
٢٨٤	(كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَمَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، وَشَتَّمَنِي وَمَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ ، فَأَمَّا تَكْذِيْبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي ...) .
٢١٣	(مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرُأْ فِيهَا بِأَمْ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ . هِيَ خِدَاجٌ . هِيَ خِدَاجٌ . غَيْرُ تَمَامٍ ...) .

١٣٣	(مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِاُمِّ الْفُرْقَانِ فَهِيَ حِدَاجٌ ...) .
، ٨٨	(هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ؟ " قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ...) .
٢١١	(وَجَبَتْ مَحْبَبَتِي لِلْمُتَحَايِّبِينَ فِيَّ وَالْمُتَحَالِسِينَ فِيَّ ...) .
، ١٩٥	
٣٢٩	
٥٢	(يَا ابْنُ آدَمَ تَقْرَعْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غَيْ ...) .
، ٢٤٤	(يَا عِبَادِي ، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّماً . فَلَا تَظَالِمُوا ...) .
٣١٢	
١٤٨	(يَا آدَمُ . يَقُولُ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدِيْكَ ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ دُرْسِتَكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ ...) .
١٧٨	(يَتَنَزَّلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلُّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ يَقُولُ ...) .
٧٠	(يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ ...) .
٨٥	(يُؤْتَى بِالْمَوْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَيُوقَفُ عَلَى الصِّرَاطِ ...) .
٦٢	(يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ يَسُبُ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ ...) .
١١٠	(يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : أَمَّ أَجْعَلَ لَكَ سَمْعًا وَبَصَرًا وَمَالًا وَوَلَدًا ...) .
٢٨٧	(يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى . ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ . أَيْنَ الْجَبَارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ ...) .
١٥٢	(يَلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ آزَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَعَلَى وَجْهِهِ آزَرَ قَنْرَةٌ وَغَبَرَةٌ ...) .

٢٠٧ ٣٣٠	<p>● (يُنَادِي مُنَادٍ : إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيِيْوَا فَلَا تَمُوْثُوا أَبَدًا ، وَ إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوْا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا ...) .</p>
------------	---

فهرس المصطلحات البلاغية

الصفحة	المصطلح البلاغي
٤٠٠ ، ١٥	البديع..... ●
٦٨	تجاهل العارف..... ●
٢٠٦	التقسيم..... ●
١٢٤	التورية ●
١٢٩	التورية المبينة..... ●
١٣١	التورية المجردة..... ●
١٤١	التورية المرشحة..... ●
١٨٦	الجمع..... ●
٢٥٩	الجنس..... ●
٢٦٢	الجنس التام ●
٢٧٣	الجنس الحرف ●
٢٦٦	الجنس المستوفى..... ●
٢٦٨	الجنس المضارع..... ●
٢٧١	الجنس المطرف..... ●
٢٦٢	الجنس المماثل..... ●
٢٧١	الجنس الناقص..... ●
٢٢٥	حسن الابتداء..... ●

٢٤١	حسن الانتهاء.....	●
٢٩٧	رد العجز على الصدر.....	●
٢٨٠	السجع.....	●
٤٨	الطباق.....	●
٦١	طبق التدبيح.....	●
٥٤	طبق السلب.....	●
٢٨٥	الفاصلة.....	●
٣١٥	لزوم ما لا يلزم.....	●
١٤٦	المبالغة.....	●
١٦٥	مراجعة النظير.....	●
٤١	الحسنات اللفظية.....	●
٤١	الحسنات المعنوية.....	●
١٠٢	المشاكلة.....	●
٧٧	المقابلة.....	●

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .
- الاتجاه الوج다اني في الشعر العربي المعاصر ، عبد القادر القط ، الطبعة الثالثة ، دار النهضة العربية ، لبنان ، دون ذكر تاريخ نشر.
- الإتحافات السننية في الأحاديث القدسية ، الشيخ العلامة : محمد المدني ، بدون ذكر عدد الطبعة ، دار المعارف ، الهند ، ١٣٢٣ هـ .
- الأحاديث القدسية ، بدون ذكر مؤلف ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٦ هـ .
- الأحاديث القدسية ، فوزي شعبان ، بدون ذكر طبعة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، بدون ذكر تاريخ النشر .
- الأحاديث القدسية جماعاً و دراسة ، عمر علي عبد الله محمد ، الطبعة الأولى ، مكتبة العلوم والحكم ، المملكة العربية السعودية ، المدينة المنورة ، ١٤٢٤ - ١٤٢٥ هـ .
- الأحاديث القدسية و منزلتها في التشريع ، شعبان محمد اسماعيل ، الطبعة الأولى ، دار المريخ للنشر ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٠٢ هـ .
- أدب الأحاديث القدسية ، أحمد الشريachi ، الطبعة الثانية ، دار الاعتصام ، دون ذكر مدينة دار النشر ، ١٣٩٨ هـ .
- أسرار البلاغة ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه و علق عليه : محمود محمد شاكر ، الطبعة الأولى ، مطبعة المدني ، مصر ، ١٤١٢ هـ .

- إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي ، دون ذكر عدد الطبعة ، دار الكتاب العربي ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٠ هـ .
- الإيضاح في علوم البلاغة ، الخطيب القزويني ، تحقيق : محمد عبد القادر الفاضلي ، الطبعة الأولى ، المكتبة العصرية ، لبنان ، بيروت ، ١٤٢٥ هـ .
- البحث العلمي أسسه و مناهجه و أساليبه و إجراءاته ، رحبي مصطفى ، دون ذكر عدد الطبعة ، بيت الأفكار الدولية ، عمان ، دون ذكر تاريخ نشر .
- البديع في ضوء أساليب القرآن الكريم ، عبد الفتاح لاشين ، دون ذكر عدد الطبعة ، دار الفكر العربي ، مصر ، القاهرة ، ١٤٣٠ هـ .
- البلاغة فنونها و أفنانها (علم البيان و البديع) ، فضل حسن عباس ، الطبعة الحادية عشر ، دار الفرقان ، عمان ، ٢٠٠٦ م .
- البيان النبوي ، محمد رجب البيومي ، الطبعة الثانية ، دار الوفاء ، مصر ، ١٤٢٣ هـ .
- البيان و التبيين ، الجاحظ ، الطبعة الرابعة ، الجزء الثالث ، تحقيق : عبد السلام هارون ، مكتبة الحانجى، القاهرة ، دون ذكر تاريخ نشر .
- تاج العروس من جواهر القاموس ، مرتضى الزبيدي ، تحقيق : مصطفى حجازي ، دون ذكر عدد الطبعة ، التراث العربي ، الكويت ، ١٣٩٣ هـ .
- تحرير التحبير في صناعة الشعر و النثر و بيان إعجاز القرآن ، ابن أبي الإصبع المصري ، تقديم و تحقيق : حنفي محمد شرف، يشرف على إصدارها : محمد توفيق عويسة ، الجمهورية العربية المتحدة ، المجلس

الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث ، بدون ذكر عدد الطبعة أو بلد أو دار أو تاريخ النشر .

- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى ، ضبط : عبد الرحمن محمد عثمان ، دون ذكر عدد الطبعة ، الجزء العاشر ، دار الفكر ، مصر ، دون ذكر تاريخ النشر .

- الجامع الكبير (سنن الترمذى) ، حقيقه و خرج أحاديشه و علق عليه ، شعيب الأرنؤوط – جمال عبد اللطيف ، الطبعة الثانية ، الرسالة العلمية ، سوريا ، دمشق ، ١٤١٣ هـ .

- الحديث النبوي الشريف تاريخه و مصطلحاته ، بدران أبو العينين بدران ، دون ذكر عدد الطبعة ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ م .

- دراسات منهجية في علم البديع ، الشحات محمد أبو ستيت ، الطبعة الأولى ، دون ذكر دار النشر ، مصر ، ١٩٩٤ م .

- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني ، قرأه و علق عليه : محمود محمد شاكر ، الطبعة الثالثة ، مطبعة المدینی ، مصر ، ١٤١٣ هـ .

- سنن ابن ماجه ، بشرح الإمام أبو الحسن الحنفي الشهير بالسندي ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٦ هـ .

- سنن ابن ماجة ، تعليق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دون ذكر عدد الطبعة ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، دون ذكر تاريخ نشر .

- سنن أبي داود ، إعداد و تعليق : عزّت عبيد الدعّاس و عادل السيد ، الطبعة الأولى ، دار ابن حزم ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٨ هـ .

- سنن أبي داود ، إعداد و تعليق : عزّت عبيد الدعّاس و عادل السيّد ، الطبعة الأولى ، دار ابن حزم ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٨ هـ .
- سنن الترمذى ، إعداد : الشيخ هشام سعير البخاري ، دون ذكر عدد طبعة ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٥ هـ .
- سنن النسائي ، بشرح الإمامين : السيوطي و السندي ، تحقيق : السيّد محمد سيد ، علي محمد علي ، سيد عمران ، ضبط أصوله : مصطفى محمد حسين الذهبي ، الطبعة الأولى ، دار الحديث ، مصر ، القاهرة ، ١٤٢٠ هـ .
- شرح عقود الجمان في علم المعانى و البيان ، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، دون ذكر عدد طبعة ، دار الفكر ، لبنان ، بيروت ، دون ذكر تاريخ نشر .
- شروح سنن ابن ماجة ، تحقيق : رائد بن صبرى بن أبي علقة ، الطبعة الأولى ، بيت الأفكار الدولية ، عمان ، ٢٠٠٧ م .
- الصبغ البدعى ، أحمد موسى ، دون ذكر عدد الطبعة ، مصر ، دار الكاتب العربي ، دون ذكر تاريخ نشر .
- صحيح ابن ماجه ، محمد ناصر الدين الألبانى ، الطبعة الأولى ، مكتبة المعارف للنشر و التوزيع ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، دون ذكر تاريخ نشر .
- صحيح البخارى ، دون ذكر عدد طبعة ، بيت الأفكار الدولية ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤١٩ هـ .
- صحيح البخارى ، شرح الكرماني ، الطبعة الثانية ، دار إحياء التراث ، بيروت ، ١٤٠١ هـ .

- صحيح مسلم ، شرح النووي ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الرابعة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ٢٠١٠ م .
- صحيح مسلم ، شرح النووي ، حَقَّ أصوله على خمس نسخ خطية د . محمد عبد الرحمن المرعشلي ، قدم له : محمد صبحي حلاق ، الطبعة الأولى ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان ، بيروت ، ١٤٢٠ هـ .
- علم البديع " دراسة تاريخية و فنية لأصول البلاغة و مسائل البدع " ، بسيوني عبد الفتاح فيود ، الطبعة الثالثة ، مؤسسة المختار ، مصر ، القاهرة ، ١٤٣١ هـ .
- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ابن حجر العسقلاني ، أخرجه الشيخ : عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، أكمل التعليقات : علي بن عبد العزيز الشبك ، رقم كتبها و أبوابها و أحاديثها : محمد فؤاد عبد الباقي ، الطبعة الأولى ، دار السلام ، المملكة العربية السعودية ، الرياض ، ١٤٢١ هـ .
- فتح المنعم شرح صحيح مسلم ، موسى شاهين لاشين ، الطبعة الأولى ، دار الشروق ، مصر ، القاهرة ، ١٤٢٣ هـ .
- في البلاغة العربية علم البديع ، عبد العزيز عتيق ، دون ذكر عدد الطبعة ، دار النهضة العربية ، لبنان ، بيروت ، ١٤٠٥ هـ .
- لسان العرب ، جمال الدين ابن منظور ، الطبعة الأولى ، دار صادر ، لبنان ، بيروت ، دون ذكر تاريخ نشر .
- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر الرازي ، دون ذكر عدد الطبعة ، مكتبة لبنان ، لبنان ، بيروت ، ١٩٩٣ م .

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصايح ، تحقيق الشيخ: جمال عيتاني ،
دون ذكر عدد الطبعة ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، دون ذكر
تاريخ نشر.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل ، رقم أحاديثه محمد عبد السلام عبد
الشافي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ هـ .
- معارف السنن شرح سنن الترمذى ، محمد يوسف بن السيد محمد
الحسيني البنورى ، الطبعة الثالثة ، دون ذكر دار نشر ، باكستان ،
١٤١٣ هـ .
- معجم الأحاديث القدسية الصحيحة و معها الأربعون القدسية ، الإمام
أبي الحسن نور الدين علي بن سلطان محمد القاري ، إعداد و تحقيق : أبي
عبد الرحمن كمال بن بسيوني الأبياري المصري ، الطبعة الأولى ، مؤسسة
الكتب الثقافية ، لبنان ، بيروت ، ١٤١٣ هـ .
- مفتاح العلوم ، السكاكي ، الطبعة الأولى ، مطبعة مصطفى البابي
الحلبي و أولاده ، مصر ، دون تاريخ نشر .
- مقدمة ابن خلدون ، الطبعة الرابعة ، دار القلم ، لبنان ، بيروت ،
١٩٨١ م .
- الموطأ. الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه ، كتاب إسعاف المبطأ
لرجال الموطأ ، الإمام جلال الدين عبدالرحمن السيوطي ، الطبعة الثالثة ،
دار ابن حزم، لبنان ، بيروت ، ١٤١٦ هـ .
- الهدية في شرح صحيح الأحاديث القدسية ، لأصحاب الفضيلة العلماء
— الإمام / ابن شرف النووي ، وشيخ الإسلام / ابن تيمية ، و الإمام /
ابن القيم الجوزية ، و الشيخ عبد العزيز بن باز . و الشيخ / محمد

العشرين ، و الشيخ / صالح آل الشيخ، و الشيخ / عبد العزيز
الراجحي ، جمع و ترتيب : محمد سيد فرج ، الأولى ، مطبعة العمرانية ،

. ١٤٣١ هـ .

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٧	المقدمة
٢٢	التمهيد
٢٤	١. معنى الحديث القدسي
٣١	٢. الفرق بين القرآن و الحديث القدسي
٣٧	٣. الفرق بين الحديث النبوى و الحديث القدسى
٤٠	٤. البديع و منزلته بين الدراسات البلاغية
٤٦	الفصل الأول : الألوان البدائية المعنية في الأحاديث القدسية ، و قيمتها البلاغية ، و يتضمن :
٤٧	❖ المبحث الأول : الطباق و المقابلة
٤٨	أولا : الطباق
٤٨	- التعريف باللون البديعي
٥٢	- الشواهد
٧٧	ثانيا : المقابلة
٧٧	- التعريف باللون البديعي
٧٩	- الشواهد
١٠١	❖ المبحث الثاني : المشاكلة
١٠٢	- التعريف باللون البديعي
١٠٤	- الشواهد
١٢٣	❖ المبحث الثالث : التوربة
١٢٤	- التعريف باللون البديعي
١٢٧	- الشواهد

١٤٥	❖ المبحث الرابع : المبالغة
١٤٦	- التعريف باللون البدوي
١٤٧	- الشواهد
١٦٤	❖ المبحث الخامس : مراعاة النظير
١٦٥	- التعريف باللون البدوي
١٦٧	- الشواهد
١٨٥	❖ المبحث السادس : الجمع و التقسيم
١٨٦	أولاً : الجمع
١٨٦	- التعريف باللون البدوي
١٨٨	- الشواهد
٢٠٥	ثانياً : التقسيم
٢٠٥	- التعريف باللون البدوي
٢٠٧	- الشواهد
٢٢٤	❖ المبحث السابع : حسن الابتداء و حسن الانتهاء
٢٢٥	أولاً : حسن الابتداء
٢٢٥	- التعريف باللون البدوي
٢٢٨	- الشواهد
٢٤١	ثانياً : حسن الانتهاء
٢٤١	- التعريف باللون البدوي
٢٤٤	- الشواهد
٢٥٧	الفصل الثاني : الألوان البدوية اللفظية في الأحاديث القدسية و قيمتها البلاغية ، و يتضمن :
٢٥٨	❖ المبحث الأول : الجناس
٢٥٩	- التعريف باللون البدوي
٢٦١	- الشواهد

٢٧٩ ♦ المبحث الثاني : السجع
٢٨٠ - التعريف باللون البدائي
٢٨٢ - الشواهد
٢٩٦ ♦ المبحث الثالث : رد العجز على الصدر
٢٩٧ - التعريف باللون البدائي
٣٠٠ - الشواهد
٣١٤ ♦ المبحث الرابع : لزوم ما لا يلزم
٣١٥ - التعريف باللون البدائي
٣١٨ - الشواهد
٣٢٢ الخاتمة ، و تتضمن :
٣٢٢ ♦ خلاصة البحث
٣٢٢ ♦ النتائج
٣٢٣ ♦ التوصيات و المقترنات
٣٣٤ ♦ الفهرس الفنية ، و تشمل :
٣٣٥ ● فهرس الآيات
٣٣٨ ● فهرس الأحاديث
٣٤٣ ● فهرس المصطلحات البلاغية
٣٤٥ ● فهرس المصادر و المراجع
٣٥٢ ● فهرس الموضوعات

Al-Badie⁽¹⁾ Image in the Divine Traditions – Rhetorical and Analytical Study

The Abstract

All praise is due and belongs to Allah alone. May the blessings and peace of Allah be upon His messenger.

In this research, I have adopted the descriptive and analytic approach, whereby I categorized the study into two chapters. The nature of the research demanded that it should comprise of an introduction and two chapters preceded by a preface and followed by a conclusion. The chapters came as follows:

Chapter One: Semantic styles of Al-Badie' in the divine traditions and their rhetorical value. It comprises of:

Sub-chapter one: Tibaq (combining between two opposite meanings in a sentence) and Muqabalah (juxtaposing two or more meanings with another in a context).

Sub-chapter two: Al-Mushakalah: Mentioning something by another's wording for falling in its company.

Sub-chapter three: Pun

Sub-chapter four: Hyperbole

Sub-chapter five: Taking into account the peer and proportionality

Sub-chapter six: Combination and partition

Sub-chapter seven: Good initiation and good completion

Chapter Two: Verbal styles of Al-Badie' in the divine traditions and their rhetorical value. It comprises of:

Sub-chapter one: Alliteration

Sub-chapter two: Assonance

⁽¹⁾ (Branch of Rhetorical science dealing with the improvement of verbal and semantic aspects of speech).

Sub-chapter three: the act of placing one of the repeated or homogeneous words, at the beginning of the paragraph and the other at the end.

Sub-chapter four: keeping to a particular style of speech unnecessarily.

The most outstanding findings of this research are as follows:

First: That Al-Badie' image in the divine traditions is not just a verbal beatification that can be done away with. Rather, it is part of the core meanings because the context requires its presence in the speech.

Second: Tibaq (combining between two opposite meanings in a sentence) and alliteration are considered as part of the most famous and widespread styles of Al- Badie' found in divine traditions.

Third: Muqabalah (juxtaposing two or more meanings with another in a context) in divine traditions occurred in two or three meanings and not more as it appeared to me.

Four: Scarcity of the styles of hyperbole and pun in the divine traditions in regards to other rhetorical styles as it appeared to me.

Five: The research has unveiled that the divine traditions are void of structural alliteration because they involve affectation and artificiality, which the sound and true human nature rejects. May Allah send His blessings and peace upon our prophet, his family and companions.